

# وضوء المنزلة الأولى من القرآن الكريم

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البُستِي

المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين

رحمه الله



بتحقيق وتصحيح

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله عنه

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

محمد عبد الرزاق حمزة

المدرس بالمسجد الحرام



١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م

obeykanda.com

## ترجمة الإمام ابن حبان<sup>(١)</sup>

أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمي - كذا  
نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري ، المعروف بفنجان ، وواقفه غيره  
إلى معبد - ثم قال : ابن هديبة بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله  
ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم بن مر بن أد بن  
طابخة بن إلياس بن مضر .

الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مكثراً من الحديث والرحلة ، والشيوخ ،  
عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . ومن تأمل  
تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بجرأ في العلوم .

سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد  
العالية ، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه : عن إمام الأئمة أبي بكر بن  
خزيمة ، ولازمه وتلمذ له ، وصارت تصانيفه عدة لأصحاب الحديث ، غير أنها  
عزيزة الوجود .

سمع بيده بسّ : أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضي ، وأبا الحسن محمد  
ابن عبد الله بن جنيد البستي .

وبهارة : أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمي .

وبمرو : أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي ،  
وأبا يحيى محمد بن يحيى بن خالد المديني .

(١) عن معجم البلدان لياقوت ( ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٨ ) .

وبقرية سنج : أبا علي الحسين بن محمد بن مصعب السنجي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقل الهورقاني .

وبالصغد بما وراء النهر : أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمداني .

وبنسا : أبا العباس الحسن بن سفيان الشيباني ، ومحمد بن عمر بن يوسف ، ومحمد بن محمود بن عدي النسويين .

وبنيسابور : أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج الثقفى ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأزدي .

وبأرغيان : أبا عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغواني .

وبجرجان : عمران بن موسى بن مجاشع ، وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزان الجرجانيين .

وبارى : أبا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرئ ، وعلى بن الحسن بن مسلم الرازي .

وبالكرج : أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ ، والحسين ابن إسحاق الأصبهاني .

وبعسكر مُسكرَم : أبا محمد عبد الله بن محمد بن موسى الجواليقي ، المعروف بعبدان الأهوازي .

وبنُستَر : أبا جعفر محمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ .

وبالأهواز : أبا العباس محمد بن يعقوب الخطيب .

وبالأبلة : أبا يعلى محمد بن زهير ، والحسين بن محمد بن بسطام الأبلين .

وبالبصرة : أبا خليفة الفضل بن الحباب الجحى ، وأبا يعلى زكرياء بن يحيى

الساجى ، وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابي .

وبواسط : أبا محمد جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، والخليل بن محمد  
الواسطي ابن بنت تميم بن المنتصر .

وبنم الصلح : عبد الله بن قحطبة بن مرزوق الصلحي .

وبنهر سائبس ، قرية من قرى واسط : خلاد بن محمد بن خالد الواسطي .

وببغداد : أبا العباس حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، وأبا أحمد الهيثم بن

خلف الدوري ، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي .

وبالكوفة : أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلي .

وبمكة : أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه ، صاحب

كتاب الإشراف في اختلاف الفقهاء ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم

الجندي .

وبسامرا : علي بن سعيد العسكري - عسكر سامرا .

وبالموصل : أبا يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلی ، وهارون بن المسكين

البلدي ، وأبا جابر زيد بن علي بن عبد العزيز بن حيان الموصلی ، وروح بن

عبد الحميد الموصلی .

وببلد سنجان : علي بن إبراهيم بن الهيثم الموصلی .

وبنصيبين : أبا السري هاشم بن يحيى النصيبيني ، ومسدد بن يعقوب بن

إسحاق الفلوسي .

وبكفرتوتى ، من ديار ربيعة : محمد بن الحسين بن أبي معشر السلمي .

وبسرغامرطا ، من ديار مضر : أبا بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك بن

عبد الله بن مسرح الخرائي .

وبالرافقة : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادي .

- و بالركة : الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان .  
و بمنبج : عمر بن سعيد بن سنان الحافظ ، وصالح بن الأصبع بن عامر التنوخي .  
و بحلب : علي بن أحمد بن عمران الجرجاني .  
و بالمصيصة : أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصي .  
و بأنطاكية : أبا علي وصيف بن عبد الله الحافظ .  
و بطرسوس : محمد بن يزيد الدورقي ، وإبراهيم بن أبي أمية الطرسوسي .  
و بأذنة : محمد بن علان الأذني .  
و بصيدا : محمد بن أبي المعافى بن سليمان الصيداوي .  
و ببيروت : محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي المعروف بمكحول .  
و بجمص : محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعي الراهب .  
و بدمشق : أبا الحسن أحمد بن عمير بن حوصاء الحافظ ، وجعفر بن أحمد  
ابن عاصم الأنصاري ، وأبا العباس حاجب بن أركين الفرغاني الحافظ .  
و بالبيت المقدس : عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي الخطيب .  
و بالرملة : أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني .  
و بمصر : أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، وسعيد بن داود  
ابن وردان المصري ، وعلي بن الحسين بن سليمان المعدل .  
و جماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم .  
وروى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الله بن منده الأصبهاني ،  
وأبو عبد الله محمد بن أحمد الغنجار الحافظ البخاري ، وأبو علي منصور بن عبد الله  
ابن خالد الذهلي المروزي ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعي ، وجعفر  
ابن شعيب بن محمد السمرقندي ، والحسن بن منصور الإسبيجاني ، والحسن بن  
محمد بن سهل الفارسي ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُشَام الشُّرُوطِي ، وجماعة كثيرة لا تحصى .

أخبرنا القاضي الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحَرَسْتَانِي - إِذْنَا - عن أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي عن أبي عثمان سعيد البحتري قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول :

أبو حاتم البستي القاضي كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، صنف ، فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يُسَبَق إليه ، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن . ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤ و حضرناه يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما سألتناه الحديث نظر إلى الناس ، وأنا أصفرهم سنًا - فقال : اسْتَمَلِ ، فقلت : نعم ، فاستمليت عليه ، ثم أقام عندنا ، وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها ، وانصرف إلى وطنه ، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته .

أخبرنا أبو اليمين زيد بن الحسن الكندي - شِقَاهَا - قال : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي - إِذْنَا - عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت - كتابة - قال : ومن الكتب التي تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجها به واضعوها : مصنفات أبي حاتم محمد بن حبان البُستِي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السَّجَزِي ، ووقفني على تذكرة بأسمائها ، ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها ، لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته ، سوى ما عدلت عنه واطرحته .

فمن ذلك : كتاب الصحابة ، خمسة أجزاء . وكتاب التابعين : اثنا عشر جزءا . وكتاب أتباع التابعين : خمسة عشر جزءا . وكتاب تبَع الأتباع : سبعة عشر جزءا ، وكتاب تبَاع التبَع : عشرون جزءا . وكتاب الفصل بين النقلة :

عشرة أجزاء . وكتاب العلل ، علل أوهام أصحاب التواريخ : عشرة أجزاء . وكتاب  
علل حديث الزهري : عشرون جزءا . وكتاب علل حديث مالك : عشرة أجزاء .  
وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه : عشرة أجزاء . وكتاب علل ما استند إليه  
أبو حنيفة : عشرة أجزاء . وكتاب ما خالف الثوري [فيه] شعبة : ثلاثة أجزاء .  
وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما انفرد به  
أهل مكة من السنن : عشرة أجزاء ، وكتاب ما عند شعبة عن قتادة ، وليس عند  
سعيد عن قتادة : جزآن ، وكتاب غرائب الأخبار : عشرون جزءا . وكتاب  
ما أغرب [فيه] الكوفيون عن البصريين : عشرة أجزاء . وكتاب ما أغرب  
البصريون [فيه] عن الكوفيين : ثمانية أجزاء ، وكتاب أسامي من يُعرف  
بالكنية : ثلاثة أجزاء . وكتاب كُفَى من يعرف بالأسامي : ثلاثة أجزاء .  
وكتاب الفصل والوصل : عشرة أجزاء . وكتاب التمييز بين حديث النضر  
الحدّاني والنضر الحزاز : جزآن . وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك  
وأشعث بن سوار : جزآن ، وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر  
ومنصور بن راذان : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل بين مكحول الشامى  
ومكحول الأزدي : جزء . وكتاب موقوف مارفع : عشرة أجزاء . وكتاب  
آداب الرجال : جزآن . وكتاب ما أسند جُنادة عن عبادة : جزء . وكتاب  
الفصل بين حديث ثور بن زيد وثور بن يزيد : جزء ، وكتاب ما جعل  
عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر : جزآن . وكتاب ما جعل شيبان سفيان ،  
أو سفيان شيبان : ثلاثة أجزاء ، وكتاب مناقب مالك بن أنس : جزآن ، وكتاب  
مناقب الشافعى : جزآن ، وكتاب المعجم على المدن : عشرة أجزاء ، وكتاب القلّين  
من الحجازيين : عشرة أجزاء . وكتاب القلّين من العراقيين : عشرون جزءا .  
وكتاب الأبواب المتفرقة : ثلاثون جزءا . وكتاب الجمع بين الأخبار المتضادة :

جزءان ، وكتاب وصف المعدل والمعدل : جزءان . وكتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا : جزء . وكتاب وصف العلوم وأنواعها : ثلاثون جزءا . وكتاب الهداية إلى علم السنن ، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقہ ، يذكر حديثا ويترجم له ، ثم يذكر من ينفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أي بلد هو ؟ ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر ما في ذلك الحديث من الفقہ والحكمة . فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما . وإن تضاد لفظه في خبر آخر تلتطف للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقہ والحديث معا . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر - يعني السجزي - فقلت له : أكل هذه الكتب موجودة عندهم ، ومقدور عليها ببلاذكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والنزر الحقيق . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبّل كتبه ووقفها ، وجمعها في دار رسمها بها . فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ ، ويتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ، ويجلدوها ، إحرازاً لها . ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به . والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام : وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعاً : كتاب التقسيم والأنواع : خمس مجلدات ، قرأتها على أبي القاسم الشحامى . عن أبي الحسن البجاني عن أبي هارون الزوزنى عنه . وكتاب روضة العقلاء .

[ وهو هذا ] قرأته على حنبل السَّجْزِي عن أبي محمد التوني عن أبي عبد الله الشرطى عنه .

وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب ، مثل كتاب الهداية إلى علم السنن ، من أوله قدر مجلدين .

وله - وهو أشهر من هذه كلها - كتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، أدرك عليه في كتاب التقاسيم . فقال : في أربع ركعات يصلحها الإنسان ستمائة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجناها بفصولها في كتاب صفة الصلاة ، فأغنى ذلك عن نظمها في هذا النوع من هذا الكتاب .

قال أبو سعد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب ، بقصر الريح ، سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندى ، سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الأسترايذى يقول : أبو حاتم بن حبان البستى كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم . ألف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة من كل فن .

أخبرتني الحرة زينب الشعرية - إذنا - عن زاهر بن طاهر ، عن أحمد بن الحسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمبغية ، ولم جرايات يستنفقونها ، داره ، وفيها خزانة كتبه في يدي وصى ، سلمها إليه ليبيدها لمن يريد نسخ شيء منها في الضعفة ، من غير أن يخرجها منها ، شكر الله له عنايته في تصنيفها ، وأحسن مثوبته على جميل نيته في أمرها بفضلها ورأفته ! .

وأخبرني القاضي أبو القاسم الحرساني في كتابه ، قال : أخبرني وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الریح - إذنا - سمعت الحسن بن أحمد الحافظ سمعت أبا بشر النيسابوري يقول : سمعت أبا سعيد الإدريسي يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري - الرجل الصالح بسمرقند - يقول : كنا مع أبي بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمه في بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البستي ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمه : يا بادر ، تنح عني ، لا تؤذيني ، أو كلمة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ فقال : نعم أكتب كل شيء يقوله .

أخبرني الخطيب أبو الحسن السديدي - مشافهة بمرو - قال : أخبرني أبو سعد - إذنا - أخبرنا أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي - إجازة - سمعت والدي سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ - وذكر كتاب الجرحين لأبي حاتم البستي ، فقال : كان لعمر بن سعيد ابن سنان المنبجعي ابن رحل في طلب الحديث ، وأدرك هؤلاء الشيوخ ، وهذا تصنيفه - وأساء القول في أبي حاتم .

قال الحاكم : أبو حاتم كبير في العلوم ، وكان يُحسد لفضله وتقدمه . وقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي الحديثي - وذكر أنه نقله من خط أبي الفضل أحمد بن علي بن عمرو السليمان البيهكندي الحافظ من كتاب شيوخه - وكان قد ذكر فيه ألف شيخ في باب الكذابين - قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، قدم علينا من سمرقند سنة ۳۳۰ أو سنة ۳۲۹ ، فقال لي أبو حاتم سهل بن السري الحافظ : لا تكتب عنه ، فإنه كذاب . وقد صنف لأبي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة حتى قلده قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن

يقتلوه ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلالاً فى البزازين ، حتى اشترى له ثياباً بمخمسة آلاف درهم إلى شهرين وهرب فى الليل ، وذهب بأموال الناس .

قال : وسمعت السليمانى الحافظ بنيسابور قال لى : كتبت عن أبى حاتم البستى ؟ فقلت : نعم . فقال : إياك أن تروى عنه . فإنه جاءنى فكتب مصنفاتى ، وروى عن مشايخى ، ثم إنه خرج إلى سجستان بكتابه فى القرامطة ، إلى ابن بابو ، حتى قبله وقلده أعمال سجستان ، فمات به .

قال السليمانى : فرأيت وجهه وجه الكذابين ، وكلامه كلام الكذابين . وكان يقول : يا بني ، اكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستى إمام الأئمة ، حتى كتبت بين يديه ، ثم محوته ، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق القرَّاب : سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستانى يقول : توفى أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤ .

وعن شيخنا أبى القاسم الخرسَتنى عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد ابن محمد البحترى سمعت محمد بن عبد الله الضبى يقول : توفى أبو حاتم البستى ليلة الجمعة لثمان ليالٍ بقين من شوال سنة ٣٥٤ .

ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصفة التى ابتناها بمدينة بُستَ بقرب داره . وذكر أبو عبد الله الفنجار الحافظ فى تاريخ بخارى : أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ وقبره ببُست معروف إلى الآن يزار ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببست .

## مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوى أدام الله نأيدَهُ ! وأجزل من كل خير مَزِيدُهُ ! في شهور سنة اثنتين وستائة .

قال : حدثنا الأمير القاضي الإمام عمدة الدين مُعين الإسلام ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد البوسنجي من لفظه ببوسنج<sup>(١)</sup> في شهور سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

قال : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفر حنبل بن علي بن الحسين البخاري الصوفي السني ، رحمه الله !

قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد التوني<sup>(٢)</sup> سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشروطي .

قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، رضى الله عنه ! قال :

(١) بالسين المهجلة من قري ترمذ ، وبالشين المعجمة بليدة من نواحي هراة .

(٢) التوني : نسبة إلى تون ، مدينة من ناحية قهستان قرب قان ، حكاه ياقوت

ونسب إليها أبا محمد هذا ، وذكر روايته عن شيخه الشروطي .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفرد بوحداية الألوهية ، المتعززة بعظمة الربوبية ، القائم على نفوس العالم بأجلها ، والعالم بتقلبها وأحوالها ، المان عليهم بتواتر آلائه ، المتفضل عليهم بسوانح نعماته ، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير ، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير ، فضت فيهم بقدرته مشيئته ، ونفذت فيهم بعزته إرادته ، فألمهم حسن الإطلاق ، وركب فيهم تشعب الأخلاق ، فهم على طبقات أقدارهم يمشون ، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون ، وفيما قضى وقدر عليهم يهيمون و ( ٥٣: ٢٣ كل حزب بما لديهم فرحون ) .

وأشهد أن لا إله إلا الله فاطر السموات العلاء ، ومنشئ الأرضين والثرى ، لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه ( ٢٣: ٢١ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ) وأشهد أن محمدا عبده المصطفى ، ورسوله المرزوق ، بعثه بالنور المضي ، والأمر المرضي ، على حين فترة من الرسل ، ودروس من السبل ، فدمغ به الطغيان ، وأكمل به الإيمان ، وأظهره على كل الأديان ، وقع به أهل الأوثان ، فصلى الله عليه وسلم ما دار في السماء فلك ، وما سبح في الملكوت ملك ، وعلى آله أجمعين ! .

أما بعد ، فإن الزمان قد تبين للعاقل تغيره ، ولاح للبيب تبدله ، حيث يبس ضرعه بعد الفزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، وبسح مذاقه بعد العذوبة ، فنبغ فيه أقوام يدعون التمكن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل ؛ من شهوات صدورهم ، وترك ما يوجب نفس العقل بهجسات

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذى يعقدون عليه عند المضلات : النفاق والمداهنة ، وفروعه عند ورود النائبات : حُسن اللباس والفصاحة ، وزعموا أن مَنْ أَحكم هذه الأشياء الأربع فهو العاقل ، الذى يجب الاقتداءُ به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك<sup>(١)</sup> الذى يجب الازورار عنه<sup>(٢)</sup> .

فلا رأيت الرعاع<sup>(٣)</sup> من العالم يفترون بأفعالهم ، والهمج من الناس يقتدون بأفعالهم ، دعانى ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء فى أيامهم ، من معرفة الأحوال فى أوقاتهم ، ليكون كالنذكرة لذوى الحجى<sup>(٤)</sup> عند حضرتهم ، وكالمعين لأولى النهى عند غيبتهم ، يفوق العالمُ به أقرانه ، والحافظ له أتراه ، يكون النديم الصادق للعاقل فى الخلوات ، والمؤنس الحافظ له فى الفلوات ، إن خصَّ به من يجب من إخوانه ، لم يفتقده من ديوانه ، وإن استبدَّ به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أبين فيه ما يحسن للعاقل استعماله من الخصال الحمودة ، ويقبح به إتيانه من الخلال المذمومة ، مع القصد فى لزوم الاختصار ، وترك الإمعان فى الإكثار ، ليخفف على حامله ، وتعيه أذن مستمعه ، لأن فنون الأخبار ، وأنواع الأشعار ، إذا استقصى المجتهد فى إطالتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يرجح تمكن من الكمال فى الإكثار ، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، والهادى إلى الرشاد ، وإياه أسأل لإصلاح الأسرار ، وترك المعاقبة على الأوزار ، إنه جواد كريم ، روءف رحيم .

(١) الأنوك : أى الأحمق .

(٢) الازورار : الاتقباض والتباعد .

(٣) الرعاع : أى الجهلة والدماء (٤) الحجى - بالكسر مقصوراً - العقل .

والنهى : جمع نية - بالضم - وهى العقل أيضاً

## ذكر الحث على لزوم العقل

وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شُبَيْوَةَ حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فُضَيْلُ بن عياض عن محمد بن ثور عن مَعْمَرٍ عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَيَكْرَهُ سَفَافَهَا <sup>(١)</sup> » .

قال أبو حاتم : لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً في العقل ؛ لأنَّ أبان بن أبي عياش ، وسلَمَةَ بن وَرْدَانَ ، وَعُمَيْرُ بن عمران ، وعليُّ ابن زيد ، والحسن بن دينار ، وعَبَّادُ بن كثير ، وميسرة بن عبد ربه ، وداودُ ابن الحَبَّرِ ، ومنصور بن صقر وذويهم ، ليسوا ممن أحتج بأخبارهم ، فأخرج ما عندهم من الأحاديث في العقل <sup>(٢)</sup> .

وإن محبة المرء المسكارم من الأخلاق وكرهته سفافها هو نفس العقل . فالعقل به يكون الحظ ، ويؤنس الغربة ، وَيَثْبِي القاعة ، ولا مال أفضل منه ، ولا يَتِمُّ دينٌ أحد حتى يَتِمَّ عقله .

والعقل : اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب ، والعلم باجتنب الخطأ ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إذا دخل في أول حدِّ الدهاء قيل له : شيطان ، فإذا عَتَمَا في الطغيان قيل : مَارِدٌ ، فإذا زاد على ذلك قيل : عَبْقَرِيٌّ <sup>(٣)</sup> ، فإذا جمع إلى خُبْثِهِ شِدَّةٌ شَرٌّ قيل : غَيْرِيَّت

(١) سفافها : أي دنيئها وخسيسها (٢) أي أن هؤلاء الضعفاء والمجروحين رووا أحاديث في فضل العقل لا يراها المؤلف حجة لسقوط رواياتها

(٣) عبقرى : نسبة إلى عبقر ، وهو مسكن الجن في زعم العرب ، وهم ينسبون كل ما يتعاطونه ويرونه فوق متناولهم إلى عبقر

وكذلك الجاهل ، يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيق ، ثم الأنوك ، ثم الأحق .

وأفضل مواهب الله لعباده العقل ، ولقد أحسن الذي يقول :

وأفضل قسم الله للمرء عقله      فليس من الخيرات شيء يقاربه  
إذا أكل الرحمن للمرء عقله      فقد كملت أخلاقه وما ربه  
يعيش الفتي في الناس بالعقل ، إنه      على العقل يجري علمه وتجاربه  
يزيد الفتي في الناس جودة عقابه      وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سيار حدثنا حبيب الجلاب

قال : قيل لابن المبارك « ما خير ما أعطى الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل :

فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشيره ،

قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل »

أخبرنا محمد بن داود الرازي حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابن المبارك قال

« سئل عقيل : ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : غريزة عقل ، قال : فإن لم يكن ؟

قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأخ شفيق يستشيره ، قال : فإن لم

يكن ؟ فطول صمت ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فموت عاجل »

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع ومسموع ، فالمطبوع منها كالأرض ،

والمسموع كالبذر والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون

أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبهه من رقده ، ويطلقه من مكانه ، كما يستخرج

البذر والماء ما في قعر الأرض من كثرة الرّيع .

فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض ، والعقل

للمسموع من ظاهره كتدلي ثمر الشجرة من فروعها .

أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

رأيت العقل نوعين فطبوع ومسموع<sup>(١)</sup>  
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع  
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

أخبرنا القطان بالرقه حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن حسان.  
حدثني ابن عامر، قال: قلت لعطاء بن أبي رباح « يا أبا محمد، ما أفضل ما أعطى  
العبد؟ قال: العقل عن الله »

أنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لعبد الله بن عكراش:  
يَزِينُ النِّتَى فِي النَّاسِ صِحَّةَ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ  
يَسِينُ النِّتَى فِي النَّاسِ خَفَةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ  
قال أبو حاتم: فالواجب على العاقل: أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة  
أَكَلَفَ<sup>(١)</sup> منه بما أحيا جسده من القوت، لأن قوت الأجساد المطاعم، وقوت  
العقل الحكم، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب، كذلك  
العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت.  
والتقلب في الأمصار والاعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلا، وإن عدم المال  
في تقلبه.

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي:

إِنْ ذَا الْعَقْلِ يَرَى غِنَاهُ لَهُ عَدَمَ الْمَالِ، إِذَا مَا الْعَقْلُ صَحَّ  
مَا عَلَى الْمَرْءِ بَعْدَ سُبَّةٍ إِنْ وَفَا الْعَقْلُ، وَإِنْ دِينَ صُلِحَ

أخبرنا محمد بن المسيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدني قال: سمعت حاتم بن  
إسماعيل يقول « ما استودع الله عقلا عبداً إلا استنقذه به يوماً ما »

(١) حفظي \* رأيت العقل عقليين \*

(٢) أكلف: أي أشد كلفاً، والكلف: المحبة

قال أبو حاتم : العقل دواء القلوب ، ومَطِيَّة المجتهدين ، وبذر حرثاة الآخرة ، وتاج المؤمن في الدنيا ، وعُدَّتْه في وقوع النوائب ، ومن عدم العقل لم يزد السُلطان عزا ، ولا المال يرفعه قدراً ، ولا عَقْلٌ لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه ، فكما أن أشد الزمَّانة الجهل ، كذلك أشد الفاقة عدم العقل .

والعقل والهوى متعاديان ، فالواجب على المرء : أن يكون رأيه مُسَعِّفاً<sup>(١)</sup> ، وهواه مسوّفاً<sup>(٢)</sup> . فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه ؛ لأن في مجانبته الهوى إصلاح السرائر ، وبالعقل تصلح الضمائر .

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري ثنا<sup>(٣)</sup> ثنا محمد بن عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني ، قال : قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عُمرٌ دهرأ « أخبرني بأحسن شيء رأيت ، قال : عقل طُلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة »

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أياديه ، وتم بناؤه  
فإن لم يكن عقل تبين نقصه ولو كان ذا مال كثيراً عطاؤه

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدري<sup>(٤)</sup> حدثنا عمران بن خالد الخزازي قال : سمعت الحسن<sup>(٥)</sup> يقول « ماتم دينٌ عبدٍ قطُّ حتى يتم عقله » قال أبو حاتم : أفضل ذوى العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة ، وأقلهم عنها فقرة .

فبالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السعادة العقل ،

---

(١) مسعفاً : معينا مساعداً (٢) التسوييف : التأخير عن كسل (٣) ياض بالأصل (٤) اسمه : فضيل بن حسين (٥) هو ابن أبي الحسن البصري

ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس لتوره ، فقرب العاقل مَرَجُو خيره على كل حال ، كما أن قرب الجاهل مَحْوَف شره على كل حال .

ولا يجب للعاقل أن يعتم ؛ لأن النعم لا ينفع ، وكثرته تُزْرِى بالعقل ، ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لا يردُّ المَرَزِيَّةَ<sup>(١)</sup> . ودوامه ينقص العقل .

والعاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ، فإذا وقع فيه رضى وصبر ، والعاقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع ، ولا يقيم على خوف وهو يجد منه مَذْهَباً ، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من الطارف والتالد<sup>(٢)</sup> ، مع لزوم العفاف ، إذ هو قُطْبُ شُعْبِ العقل .

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

أولست تأمر بالعفاف وبالتقى      وإليه آل الأمر حين يؤول ؟  
فإن استطعت فخذ بعقلك فضلة      إن العقول يرى لها تفضيل

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكسرج حدثنا محمد بن علي الطاحي حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحراي حدثنا مفضل بن صالح قال : قال علي<sup>(٣)</sup> « لما أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال : إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة ، فاختر واحدة ، ودع اثنتين ، فقال آدم : وما الثلاث؟ قال : الحياء والدين والعقل ، فقال آدم : فإني قد اخترت العقل ، قال : فقال جبريل للحياء والدين : انصرفا ودعاه ، فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، ثم عرج جبريل وقال : شأنكم »

(١) المصيبة التي ترزأ ؛ أي تثقل الكاهل فينوء بها (٢) الجديد والقديم (٣) أي

ابن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين

قال أبو حاتم : من حسن عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح وجهه ، ومن حسن وجهه وقل عقله فقد أذهب تحاسن وجهه نقائص نفسه ، فلا يجب للعاقل أن يغم إذا كان معدماً<sup>(١)</sup> ، لأن العاقل قد يرجى له الغنى ، [ولا] يوثق للجاهل المكثّر ببقاء ماله ، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله . وآفة العقل الصلّف<sup>(٢)</sup> والبلاء المردي ، والرشاء المفرط ؛ لأن البلاء إذا تواترت عليه أهلك عقله ، والرشاء إذا تواتر عليه أبطره ، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

عدوك ذو العقل أبقى عليك من الجاهل الواثق الأحمق<sup>(٣)</sup>  
وذو العقل يأتي جميل الأمور ويقصد للأرشد الأرفق

أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بعسقلان حدثنا ابن أبي السرى حدثنا داود ابن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خلود بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرة يقول « إن القوم ليحجون ويعتمرون ، ويجاهدون ويصلون ، ويصومون ، وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم »

سمعت محمد بن محمود بن عدى النسائي يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت حفص بن حميد الأكَاف يقول : « العاقل لا يغبّن ، والورع لا يغبّن »

قال أبو حاتم : هذه لفظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجمال بغير حلالة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ، والقراءة تبع للمودة ، كذلك المروءات كلها تبع للعقل .

(١) أي فقيراً (٢) أي الكبر (٣) الواثق : الحب ، ومق يق مقة : أحب

وعقول كل قوم على قدر زمانهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل ، فإنه خير من الحياة النكدة وإن طالت ، والعقل الموعى - غير المنتفع به - كالأرض الطيبة الخراب .

والعاقل لا يتبدىء الكلام إلا أن يُسأل ، ولا يكتر التمازى<sup>(١)</sup> إلا عند القبول ، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت .

والعاقل لا يستحقر أحداً ؛ لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العام<sup>(٢)</sup> أذهب صيانه .

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه ؛ لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائيل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أنفع التجارب للمبتدى .

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

ألم ترأت العقل زين لأهله وأن كمال العقل طول التجارب  
وقد وعظ الماضي من الدهر ذا النهى<sup>(٣)</sup> ويزداد في أيامه بالتجارب  
أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحكم  
ابن عبد الله قال « كانت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن »  
قال أبو حاتم : لا يكون المرء بالصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب  
والعاقل يكون حسنَ المأخذ في صغره ، صحيح الاعتبار في صباه ، حسن العفة عند

---

(١) التمازى : أى البحث والمحاورة (٢) العام : أى العوام والجمهور (٣) النهى : جمع نهيته أى العقل

إدراكه ، رضى الشائلى فى شبابه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته يضع نفسه دون غايته برتوة<sup>(١)</sup> . ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية فى كل شىء صار إلى النقص .

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتخال<sup>(٢)</sup> ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان .  
ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حتفه<sup>(٣)</sup> فى أقرب الأشياء إليه .

ورأس العقل : المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والواجب على العاقل أن يحتنب أشياء ثلاثة ، فإنها أسرع فى إفساد العقل من النار فى يديس العوسج : الاستغراق فى الضحك ، وكثرة التمنى ، وسوء التثبث ؛ لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يعد إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الغناء<sup>(٤)</sup> ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى<sup>(٥)</sup> عليه نفعه منه

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمعرفته ريقه ومحضره ، ولعدوه عدله وبره ، وللعامه بشره وتحيته ، ولا يستعين إلا بمن يجب أن يظفر بمحاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنيا ، إلا أن يغلبه الاضطرار عليه ، ولا يدعى ما يحسن من العلم لأن فصائل الرجال ليست ما ادَّسَّوْها وإنما ما سبها الناس بهم ، ولا يعالى مافاته من حطام الدنيا ، مع مارزق من الحظ فى العقل .

---

(١) فى القاموس - الرتوة : البناء الثناء - الخطوة (٢) الانتخال : الاستخلاص والتحصين من نخل الطحين لأخذ حوارته (٣) حتفه : أى هلاكه (٤) الغناء : النفع (٥) أجدى : أى عاد عليه بالنفع .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذا غنى      يكون كذى رجُلٍ ، وليست له نعلُ  
ومن كان ذا مال ، ولم يك ذا حِجى      يكون كذى نعلٍ ، وليست له رجلُ

قال أبو حاتم : كنى بالعاقل فضلا وإن عدم المال : بأن تُصَرَّف مساوى أعماله إلى المحاسن ، فتجمل البلادة منه حلما ، والمكر عقلا ، والهدر<sup>(١)</sup> بلاغة ، والحدة ذكاء ، والعي صمتا ، والعقوبة تأديبا ، والجرأة عزما ، والجبين تانيا ، والإسراف جودا ، والإمساك تقديرا ، فلا تكاد ترى عاقلا إلا موقرا للرؤساء ، ناصحا للأقران ، موافقا للأخوان ، متحرزا من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب . ولا يتحرش بالأشرار ، ولا يبيخل في الغنى ، ولا يشره في الفاقة ، ولا ينقاد للهوى ، ولا يجمع في الغضب ، ولا يمرح في الولاية ، ولا يتمنى ما لا يجد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ، ولا يذلي بحجة حتى يرى قاضيا ، ولا يشكو الوجد إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه ؛ لأن من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية .

والعاقل بكرم على غير مال كالأسد يهاب وإن كان رابضا<sup>(٢)</sup> .

وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض .

وكلام العاقل وإن كان نررا<sup>(٣)</sup> حُطوة عظيمة ، كما أن مقارفة المائم وإن كان نررا مصيبة جليلة .

ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه .

(١) الهدر : كثرة الكلام (٢) ربض الأسد : جثم (٣) نررا : قليلا

وآفة العقل العجب ، بل على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار  
السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فإن ذلك مما لا يخطيه على عمر الأيام .  
ولا يجب للعاقل أن يحب أن يسمّى به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن  
عقل العاقل دفن عقله ما استطاع ، لأن البذر وإن خفي في الأرض أياما فإنه لا بد  
ظاهر في أوانه ، وكذلك العاقل لا يخفي عقله وإن أخفى ذلك جهده .  
وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

إن المكارم أبوابٌ مُصَنَّفَةٌ فالعقل أولها والصمت ثانيها  
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ، والجود خامسها ، والصدق سادسها<sup>(١)</sup>  
والصبر سابعها ، والشكر ثامنها ، واللين تاسعها ، والصدق عاشيها  
أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الهجري بالأبلة حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا  
موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لى شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا  
جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وإني لأرى الرجل يجلس  
مع من هو أقل عقلا منه فأمقته<sup>(٢)</sup> »

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل ، وهو من أفضل  
ما وهب الله لعباده فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم .  
والواجب على العاقل : أن يكون حسن السمّت<sup>(٣)</sup> طويل الصمت ، فإن ذلك  
من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السمّت وترك الصمت من شيم الأشقياء .  
والعاقل لا يطول أمله ؛ لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أتاه أجله  
لم ينفعه أمله .

(١) سادسها : لغة في سادسها (٢) اللقت : أشد البغض (٣) السمّت : أى  
الهيئة والنظر .

والعاقل لا يقاتل من غير عُدّة ، ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأنّ بالعقل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضى الأمور ، وتعمّر الدنيا .  
والعاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع ، وما لم يصب منها إلى ما قد أصاب ، وما بقي من عمره بما فنى ، وما لم ينل منها بما قد أوتى ، ولا يتكل على المال وإن كان في تمام الحال ؛ لأنّ المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر ، كأن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .  
والذى يزداد به العاقل من نماء عقله هو التقرب من أشكاله ، والتباعد من أصداده .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد الثعلبي حدثنا محمد بن أبي مالك الغزى ، قال : سمعت أبي يقول « جالسوا الألباء : <sup>(١)</sup> أصدقاء كانوا أو أعداء ؛ فإن العقول تلتحق <sup>(٢)</sup> العقول »  
قال أبو حاتم : مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين : إما تذكر الحالة التي يحتاج العاقل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشئ الخطير الذي يحتاج الجاهل إلى معرفتها .

فتقرب العاقل غم لأشكاله ، وعبرة لأصداده ، على الأحوال كلها .  
ولا يجب لمن تسمى به أن يتدلل إلا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يجب إقباله ، ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر ، والآخر التثبت .  
جعلنا الله ممن رُكب فيه حسن وجود العقل ، فسلك بتمام النعم مسلك الخصال التي تقر به إلى باريه ، في دارى الأمد والأبد ؛ إنه الفعال لما يريد .

(١) الألباء : جمع لبيب ، واللبيب : ذو اللب وهو العقل

(٢) أي : تفيدها وتنورها .

## ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير - بتسّتر - حدثنا عمر بن شبة حدثنا مؤمل ابن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كره الله منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوت » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شعباً من المأمورات والمزجورات ، لا بد له من معرفتها ، واستعمالها في أوقاتها ، لمباينة العام ، وأوباش الناس بها

وإني ذاكر في هذا الكتاب - إن الله قضى ذلك وشاءه - خمسين شعبة من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ، ليكون الكتاب مشتملاً على خمسين باباً ، بناء كل باب منها على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نتكلم في عقيب كل سنة منها بحسب ما يمين الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريرة ، لأن من صلح جوانبه أصلح الله برّانيه ، ومن فسد جوانبه أفسد الله برّانيه .

ولقد أحسن الذى يقول :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلُ      خلوتُ ، ولكن قلُ : على رقيبُ  
ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعة      ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ  
ألم تر أن اليوم أسرعُ ذاهبٍ      وأن غداً للناظرين قريبُ؟

أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدى حدثنا شعبة بن هبيرة حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة »

قال أبو حاتم : قطبُ الطاعات للمرء في الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك إفساد الضمائر .

والواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته ، والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأن تكدر الأوقات وتنقص اللذات لا يكون إلا عند فساده

ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفية سريرته ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجب عليه قلة الإغضاء عن تعاهدها .

أشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

يلبس الله في العلانية العبد الذي كان يَحْتَقِي في السريرة حسناً كان ، أو قبيحاً سيئدي كل ما كان ثم من كل سيرة فاستح الله أن تُرائي للناس فإن الرياء بئس الذخيرة أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن عطاء بن أبي رباح عن أبيه قال : قال كعب « والذي فلق البحر لبني إسرائيل ، إني لأجد في التوراة مكتوباً : يا بن آدم ، اتق ربك ، وصل رحمتك ، وبرّ والدك ، يُمددك في عمرك ، وييسر لك يسرك ، ويصرف عنك عُسرك » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق حدثنا أبي حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما يخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن . وإن قلوب الأبرار تغلي بأعمال البر . وإن قلوب الفجار تغلي بأعمال الفجور . والله يرى همومكم ، فانظروا ما همومكم ؟ رحمكم الله »

أُشِدْنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْجِي الْبَغْدَادِي :

وَإِذَا أَعْلَنْتَ أَمْرًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا تُسِرُّ  
فَسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرِّ

أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا شَرِيحُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو معاويةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ « إِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ يَنْوِي فِيهِ الْخَيْرَ ، فَيَلْقَى اللَّهَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَقُولُوا : مَا أَرَادَ بِكَلَامِهِ هَذَا إِلَّا الْخَيْرَ . وَإِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ الشَّرِّ لَا يَنْوِي فِيهِ الْخَيْرَ ، فَيَلْقَى اللَّهَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا : مَا أَرَادَ بِكَلَامِهِ هَذَا إِلَّا الشَّرَّ »

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْهَمْدَانِي حَدَّثَنَا الْقَطَوَانِي حَدَّثَنَا سَيَّارُ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ « إِنَّكُمْ وَقُوفٌ هَاهُنَا تَنْتَظِرُونَ آجَالَكُمْ ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ تَلْقَوْنَ الْخَيْرَ ، فَخُذُوا مِمَّا عِنْدَكُمْ لِمَا بَعْدَكُمْ » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَأْخُذَ مِمَّا عِنْدَهُ لِمَا بَعْدَهُ مِنَ التَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ : بِاصْلَاحِ السَّرِيرَةِ ، وَتَقْيِ الْفَسَادِ عَنْ خَلْلِ الطَّاعَاتِ عِنْدَ إِجَابَةِ الْقَلْبِ وَإِيَابَتِهِ . فَإِذَا كَانَ صِحَّةَ السَّبِيلِ فِي إِقْبَالِهِ مَوْجُودًا أَقْذَهُ بِأَعْضَائِهِ . وَإِنْ كَانَ عَدَمُ وُجُودِهِ مَوْجُودًا كَبَحْتِهِ عَنْهَا ، لِأَنَّ بَصْفَاءَ الْقَلْبِ تَصْفُو الْأَعْضَاءَ وَأُشِدْنِي الْمُتَنَصِّرُ بْنُ بِلَالِ بْنِ الْمُتَنَصِّرِ الْأَنْصَارِي :

وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَصُفْ اللَّهُ قَلْبَهُ آفِي وَحْشَةٍ مِنْ كُلِّ نَظْرَةٍ نَاطِرٍ  
وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَرْتَحِلْ بِبِضَاعَةٍ إِلَى دَارِهِ الْأُخْرَى فَلَيْسَ بِتَاجِرٍ  
وَإِنَّ أَمْرًا ابْتِاعَ دُنْيَا بَدِينِهِ لِمُنْقَلِبٍ مِنْهَا بِصَفْقَةٍ خَاسِرٍ

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِي بِيغْدَادَ حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرِ التَّمَارِ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ عَنْ خَالِدِ الرَّبِيعِيِّ قَالَ « كَانَ لِقَمَانٌ عَبْدًا حَبِشِيًّا نَجَارًا ، فَأَمْرَهُ سِيدُهُ أَنْ يَذْبَحَ شَاةً ، فَذَبَحَ شَاةً ، فَقَالَ : ائْتِنِي بِأَطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ فِي الشَّاةِ ، فَأَتَاهُ

باللسان والقلب، ثم مكث أياماً، فقال: اذبح شاة، فذبح، فقال: ائتني بأخبث مضغتين في الشاة، فالتقي إليه اللسان والقلب، فقال له سيده: قلت لك حين ذبحت ائتني بأطيب مضغتين في الشاة، فأتيتني باللسان والقلب، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة: ائتني بأخبث مضغتين في الشاة، فألقيت اللسان والقلب؟ فقال: إنه لا أطيب متعماً إذا طابا، ولا أخبث منها إذا خبنا»

وأشدني منصور بن محمد الكرويزي:

وما المرء إلا قلبه ولسانه إذا حصلت أخباره ومدآخله  
إذا ما رده المرء لم يك ظاهراً فبهات أن ينقيه بالماء غاسله  
وما كل من تحشى بنالك شره وما كل ما أمّلته أنت نائله  
أخبرنا أحمد بن عيسى بن السكّين - بواسط - حدثنا عبد الحميد بن محمد بن  
مُسْتَمَام حدثنا مُحَمَّد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان المؤذن قال « دخلت على عمر  
ابن عبد العزيز، فسمعتَه يقول: لا يتقى الله عبدٌ حتى يجدَ طعمَ الذل »  
قال أبو حاتم: العاقل يفتش قلبه في ورود الأوقات، ويكبح نفسه عن جميع  
المزجورات، ويأخذها بالقيام في أنواع المأمورات، ولزوم الانتباه عند ورود الفترة  
في الحالات، ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائماً حتى يوجد منه حجة الثبوت  
في الأفعال .

أشدني علي بن محمد البسامي:

وإذا بحثت عن التقي وجدته رجلاً يصدق قوله بفعله  
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فيداه بين مكارم ومعال  
وعلى التقي إذا ترأسخ في التقي تاجان: تاج سكينه، وجمال  
وإذا تناسبت الرجال، فما أرى نسباً يكون كصالح الأعمال

أخبرنا القطان بالرقعة حدثنا عبد الله بن رومي البزاز عن أبيه قال : قلما دخلت على إسحاق بن أبي ربيعي الرافقي إلا وهو يتمثل بهذا البيت :

خيرٌ من المال والأيامُ مقبلةٌ جيبٌ تقيُّ من الآثام والدَّس (١)

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضل العمل الورع والتفكر »

قال أبو حاتم : العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ، ويمضي لسانه بلزوم التقوى ، لأن ذلك أول شعب العقل ، وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب .

ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل - على ما نذكرها في كتابنا هذا إن الله قضى ذلك وشاءه - كأن قلبه شرَّح بسكاكين التقيية ، ثم ملَّح بملاح الخشية ، ثم جفَّف برياح العظمة ، ثم أحى بماء القرية ، فلا يوجد فيه إلا ما يرضى المولى جل وعلا ، ولا يبالي المرء إذا كان بهذا النعم أن يتَّضع عند الناس ، ومحال أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى بواسط يقول « وجد [ت] على خف عطاء السلمي مكتوبا ، وكان حائكا » :

ألا إنما التقوى هو العز والكرم وفرك بالدنيا هو الذل والعدم  
وليس على عبد تقي نقيصة إذا صحح التقوى ، وإن حاك أو حجَّم

أخبرنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا طريف بن سعيد حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن علي بن حسين قال « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء : دنا الرحيل ، فأعدَّ زاداً » .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

(١) نقاء الجيب : كناية عن طهارة القلب

إذا انتسب الناس كان التقى بتقواه أفضل من ينتسب  
ومن يتق الله يسكب به من الحظ أفضل ما يكتب  
ومن يتخذ سبباً للنجاة فإن تقى الله خير السبب  
وأشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لابن عكراش :

ومها يسر المرء بيد لربه وما ينسه الإنسان لا ينس كاتبه  
ومن كان غلاباً بجهد ونجدة فذو الحظ في أمر المعيشة غلبه  
وأشدني أبو بدر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك بجران :

يا نفس ، ما هو إلا صبر أيام كأن لذاتها أضغاث أحلام  
يا نفس ، جُوزى عن الدنيا مبادرة وخل عنها ، فإن العيش قدأى

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله  
أخبرنا سفيان عن معن قال : قال عبد الله « إن طمذد القلوب شهوة وإقبالاً ،  
وإن لها فترة وإدباراً ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، ودعوها عند فترتها  
وإدبارها » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود  
السبب الذي يورث القساوة له عليه ؛ لأن بصلاح الملك تصلح الجنود ، وبفساده  
تفسد الجنود ، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنب أقربهما من هواه ، وتوخي<sup>(١)</sup>  
أبعدهما من الردى .

ولقد أحسن الذي يقول :

وإذا تشاجر في فؤادك مرةً أمران ، فاعمد للأعف الأجل  
وإذا هممت بأمر سوء ، فانتد إذا هممت بأمر خير فافعل

(١) توخي : قصد ، والردي : الهلاك .

أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عَزْرَةَ الشامي عن مسعر بن كدام عن عَوْن بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب « جالسوا التوابين ، فإنهم أرقُّ أفئدة »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا محمد بن مروان حدثنا عطاء الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ قال : كيف حال مَنْ أمسى وأصبح ينتظر الموت ، ولا يدري ما يُصنع به . »  
وأشدني منصور بن محمد الكرزي :

تَحَيَّرَ قَرِينًا مِنْ فَمَالِكَ ، إِنَّمَا يَزِينُ الْقَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ  
فَإِنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ ، فَلَا تَكُنْ بِغَيْرِ الَّذِي يَرْتَضِي بِهِ اللَّهُ تُشْغَلُ  
فَلَا بَدَّ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنْ أَنْ تُعِدَّهُ لِيَوْمٍ يَنَادِي الْمَرْءَ فِيهِ ، فَيَسْأَلُ  
فَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ وَلَا بَعْدَهُ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَفْعَلُ  
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ يُقِيمُ قَلِيلًا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَرْحَلُ

أخبرنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا إسماعيل بن زياد قال « قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عبَّادَانِ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِهِ ، فَأَتَيْنَاهُ نُسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَنَا : صَفُّوا لِلْمَنِيْعِ قُلُوبَكُمْ ، يَكْفِيكُمْ الْمَوْنُ عِنْدَ هَمِّكُمْ » ثُمَّ قَالَ « لَوْ خَدَمْتَ مَخْلُوقًا فَأَطَاعَتْ خِدْمَتَهُ ، أَلَمْ يَكُنْ يَرْعَى لخدمتك حرمةً ؟ فكيف بمن يُنعم عليك وأنت مُسِيءٌ إِلَى نَفْسِكَ ، تَتَقَلَّبُ فِي نَعْمِهِ ، وَتَتَعَرَّضُ لِنُغْضِهِ ؟ هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ، هِمَّةَ الْبَطَالِينِ ، لَيْسَ لِهَذَا خُلُقَتُمْ ، وَلَا بَدَأَ أَمْرَتُمْ ، الْكَيْسَ الْكَيْسَ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ » وَكَانَ يَفْطَرُ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ .

قال أبو حاتم : لن تصفو القلوب من وجود الدَّرَنِ فِيهَا حَتَّى تَكُونَ الْهَمُّ فِي اللَّهِ هَمًّا وَاحِدًا ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَفَى الْهَمُّ فِي الْهَمُومِ إِلَّا الْهَمُّ الَّذِي يُؤْوَلُ

مُتَعَقِبُهُ<sup>(١)</sup> إِلَى رِضَا الْبَارِي جَلَّ وَعَزَّ ، بَلْزُومِ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْخُلُوعِ وَالْمَلَاءِ ، إِذْ هُوَ  
أَفْضَلُ زَادِ الْعُقْلَاءِ فِي دَارِ رَبِّهِمْ ، وَأَجْلٌ مَطِيئَةٌ الْحُكَمَاءِ فِي حَالِيهِمْ .

وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَبِيبِ الْوَاسِطِيِّ :

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ      تَجِدُ غَيْبَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ الْمَطْوَلِ<sup>(٢)</sup>  
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ مَغِيبَةً      وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ الْمَتْرَحَلِ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَدْ ذَكَرْتُ هَذَا الْبَابَ بِكَمَالِهِ بِالْعِلَلِ وَالْحِكَايَاتِ فِي كِتَابِ  
مَحَبَّةِ الْمُبْتَدئينِ بِمَا أَرْجُو الْغُنْيَةَ لِلنَّاضِرِ إِذَا مَا تَأَمَّلَهَا ، فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ تَكَرُّرِهِ فِي  
هَذَا الْكِتَابِ .

### ذِكْرُ الْحَثِّ عَلَى لَزُومِ الْعِلْمِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى طَلْبِهِ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خَزِيمَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ قَالَا :  
حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ :  
« أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ : جِئْتُ أَنْبُطَ الْعِلْمِ<sup>(٣)</sup>  
قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ مِنْ  
بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ »  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ إِذَا فَرَّغَ مِنْ إِصْلَاحِ سَرِيرَتِهِ : أَنْ يُثَنِّيَ  
بِطَلْبِ الْعِلْمِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَيْهِ ، إِذْ لَا وَصُولَ لِلدَّرَجَةِ إِلَى صِفَاءِ شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا

(١) متعقبه - بضم الميم وفتح التاء والعين ، وتشديد القاف مفتوحة - أراد

عاقبته .

(٢) الغب ، بالكسر : عاقبة الشيء كالغلبة ، بالفتح

(٣) نبط العلم : استخرجه ، والأصل فيه استنباط الماء من البئر ونحوه

إلا بصفاء العلم فيه ، وحكمُ العاقل أن لا يُقَصَّرَ في سلوكِ حالةٍ توجب له بسْطَ  
الملائكة أجنحتها رضاً بصنيعه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملاً في سعيه الدنومن السلاطين ، أو نوال الدنيا  
به ، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد الدمياطي حدثنا  
عبد الرحمن بن عَمَّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما أقبح بالعالم يؤتى  
إلى منزله ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال : عند  
القاضي ، ما للعالم وما للقاضي ؟ ما للعالم وما للأمرير ؟ ينبغي للعالم أن يكون في  
مسجده يقرأ في مُصَحِّفه » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبي عن الشعبي  
قال « يا طلابَ العلم ، لا تطلبوا العلم بسفاهةٍ وطيشٍ ، اطلبوه بسكينةٍ ووقارٍ  
وتؤدةٍ » .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وفي العلم والإسلام للمرء وازع وفي ترك طاعاتِ الفؤادِ المقيم  
بصائرُ رُشيدٍ للفتى مُستبينةٌ وإخلاص صدق علمها بالتعلم

أخبرنا إبراهيم بن نصر<sup>(١)</sup> حدثنا عبد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر  
عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبي عيسى الخياط قال قال الشعبي : « إنما  
كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان  
عاقلاً ولم يكن ناسكاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان  
ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال :

(١) يياض بالأصل .

الشعبي « فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما ،  
لا عقل ولا نك »

قال أبو حاتم : العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم لما يناله من  
حطام هذه الدنيا ؛ لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره ؛ لأن المتغنى من  
الأشياء كلها تفعلها لانفسها ، والعلم ونفس العلم شيئان ، فمن أغضى عن نفسه لم  
ينتفع بنفسه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن الجمان  
قال : سمعت سفيان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ،  
ثم العمل به ، ثم النشر » وأشدنى الأبرش :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل  
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه الخفاف

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جرير عن  
بريد بن سنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالماً  
حتى تكون متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به ، لأن  
من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد فخراً وتجبهاً ، وللعمل تركاً وتضييعاً ، فيكون  
فساده في المتأسين به فيه أكثر من فساده في نفسه ، ويكون مثله كما قال الله تعالى  
( ١٦ : ٢٥ ) وَمِن أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلِئْسَاءَ مَا يَرْزُقُونَ )

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن  
ابن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « في جهنم أرحية تطحن العلماء  
طحنًا ، فقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا »

أخبرنا عبدالله بن محمد السعدي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر

بن سليمان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سرّه علمه ،  
وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخرأ »

أخبرنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثني  
سلمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء قال: قال الحسن « مَنْ أَحَبَّ  
الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه ، ومن أراد علماً نم ازداد على الدنيا  
حرصاً لم يزد من الله إلا بعداً ، ولم يزد من الله إلا بغضاً »

أخبرنا محمد بن أنس بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الخدي حدثني إسماعيل  
ابن الحارث حدثني محمد بن الحسن المديني حدثنا أبو العوام « أن إبراهيم سمع  
صوت هاتف ، وهو يقول :

يا طالب العلم باثِرِ الورعاً	وبابن النوم ، واجر الشبعا
ماضر عبداً صحت إرادته	أجاع يوماً في الله أو شبعاً
ماضر عبداً صحت عزائمه	أين من الأرض ، أينما صقعا <sup>(١)</sup>
ماطمعت نفس عابد فنوى	سؤال قوم إلا لهم خصماً
يا أيها الناس ، ما لعالمكم	في بحر ماء الملوك قد كرعاً <sup>(٢)</sup>
يا أيها الناس ، أتم زرع	يمحصه الموت كلما طلعا

أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي حدثنا يحيى بن  
اليمان العجلي عن سفيان الثوري قال « العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ،  
فإذا اجتر الطبيب الداء إلى نفسه ، فمتى يداوى غيره ؟ »

أنشدني أحمد بن محمد الصنعاني أنشدني محمد بن عبد الله العراقي :

(١) أو « أين وقع » والصقع: الوقوع على الأرض اليابسة المستحجرة

(٢) كرع من الماء : عب وشرب

عُتُوا يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ      شَبَابًا ، فَلَمَّا حَصَلُوهُ وَحَشَرُوا  
 وَصَحَّ فَمِ اسْتِنَادُهُ وَأَصُولُهُ      وَصَارُوا شَبِيحًا صَبِيحُهُ وَأَدْبَرُوا  
 وَمَالُوا عَلَى الدُّنْيَا ، فَهَمَّ يَحْتَبُونَهَا      بِأَخْلَافِهَا مَفْتُوحَهَا لَا يُصَرَّرُ (١)  
 فَيَا عُلَمَاءَ السُّوءِ ، أَيْنَ عَقُولُكُمْ ؟      وَأَيْنَ الْحَدِيثُ الْمُسْتَدَّ الْمُتَخَيَّرُ ؟  
 أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيُّ - بِصُورَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبُغْلَبِيُّ قَالَ :  
 سَمِعْتُ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ « كُنْتُ مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِنَهْدَادٍ ، فَرَأَى إِسْمَاعِيلَ  
 ابْنَ عُثَيْبَةَ رَاكِبًا بَغْلَةً عَلَى يَابِ السُّلْطَانِ ، فَاتَّشَأَ يَقُولُ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ لَهُ بَارِيَا      يَصْطَادُ أَمْوَالَ السُّلْطَانِ  
 لَا تَبِعِ الدِّينَ بِدُنْيَا ، كَمَا      يَفْعَلُ ضَلَالُ الرَّهَائِينِ  
 احْتَلَتْ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتِهَا      بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ  
 وَصَرَتْ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا      كُنْتُ دَوَاءَ الْمَجَانِينِ  
 فَفَكَّرَ النَّاسُ جَمِيعًا بِأَنَّ      زَلَّ حِمَارَ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْحَسَنِ الْبَرْذَعِيُّ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ  
 عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيُّ قَالَ « لِأَوَّلَى ابْنِ عُثَيْبَةَ صَدَقَاتُ الْإِبِلِ وَالْفَنَمِ بِالْبَصْرَةِ ، كَتَبَ  
 إِلَيْهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ كِتَابًا ، وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِهِ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ لَهُ بَارِيَا      يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ  
 احْتَلَتْ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتِهَا      بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ  
 يَا فَاضِحَ الْعِلْمِ وَمَنْ كَانَ ذَا      لَبٍّ وَمَنْ عَابَ السُّلْطَانِ (٢)

(١) أخلاف : جمع خلف ، وهو ثدي الشاة ونحوها من كل حالب ، والتصيرية :

جمع اللبن واختزانه في الضرع

(٢) قد وقع هنا إقواء : قال في القاموس : أتوى في الشعر ، خالف في قوافيه برقع

بيت وجر آخر ، وقلت تصيدة لهم بلا إقواء ، وأما الإقواء بالنصب فقليل اه وقد  
 تكرر في هذا الكتاب ، فينبغي أن يتنبه له

أين رواياتك في سردها عن ابن عون وابن سيرين؟  
وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلت : أكرهت ، فماذا كذا زلَّ حمار العلم في الطين

فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكى ، ثم كتب جوابه ، وكتب في أسفله :

أفَ لَدُنِي أبتُ تَوَاتِبِي إِلا بِنَقْضِي لَهَا عُرَى دِينِي

عَنِّي لِحَيِّتِي <sup>(١)</sup> تَدِيرُ مَقْلَتَهَا تَطْلُبُ مَاسِرَهَا لِتُرْدِيَنِي

أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد النرسي حدثنا  
وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال « عليكم بالعلم قبل أن يُقبَضَ  
وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَصْحَابُهُ ، وَإِنْ كُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى  
كِتَابِ اللَّهِ ، وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى  
يَفْتَقِرُ ، أَوْ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ عِنْدَهُ ؟ وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبَدْعَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ »  
حدثنا محمد بن زنجوية القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة حدثنا  
قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال : قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة  
الرواية ، إنما العلم الخشية » .

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن  
القاسم قال : سمعت مالكا يقول « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية »  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل : مجانبة ما يدنس علمه من أسباب هذه  
الدنيا ، مع القصد في لزوم العمل بما قدرَ عليه ، ولو استعمال خمسة أحاديث من  
كل مائتي حديث ، فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع  
من العلم فلا يجب أن يعجز عن حفظه .

(١) الحين ، بالفتح : الموت والهلاك

ولقد أبانا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال : سمعت محمد  
ابن بشير الخزازي يقول :

أما لو أعي كل ما سمع  
ولم أستفد غير ما قد جمعه  
ولكن نفسي إلى كل شيء  
وأحضر بالجهل في مجلسي  
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت  
ومن يك في علمه هكذا  
إذا لم تكن حافظاً واعياً

وأحفظ من ذلك ما أجمع  
ت ثقيل : هو العالم المنفع<sup>(١)</sup>  
من العلم تسمعه تزغ  
وعلمي في الكتب مستودع  
ولا أنا من جمعه أشبع  
يكن دهره القهقري يرجع  
فجمعك للكتب لا ينفع

وأشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

جامع العلم تراه أبداً  
وتراه حسن الخط إذا  
فاذا فتشته عن علمه  
في كراريس جياذ أحكت  
فاذا قلت له : هات لنا

غير ذي حفظ ولكن ذا غلط  
كتب الخط بصيراً بالنقط  
قال : علمي يا خليلي في السقط<sup>(٢)</sup>  
ومخط أي خط أي خط  
حك تحييه جميعاً وامتحط

أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الزبالي<sup>(٣)</sup>

حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه يقول :

« من تعلم علماً في حق وسنة لم يذهب الله بعقله أبداً »

(١) شاهد منفع كقعد : أي رضى يقع به

(٢) السقط - محرقة كما في القاموس : كالجوالق ، أو كالتففة .

(٣) الزبالي بالفتح ولام : نسبة إلى زبال اسم جده اه باب الأنساب

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتز بن سليمان قال « كتب إلى أبي ، وأنا بالكوفة : اشترى الصحف ، وأكتب العلم ؛ فإن المال يفنى والعلم يبقى »

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك ، قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حكيم ، فأوحى الله إليه : إنك قد ملأت الأرض نفاقاً ، وإن الله لم يتقبل شيئاً من نفاقك »

قال أبو حاتم : إغناء المرء عمره بكثرة الأسفار ، ومباينة الأهل والأوطان في طلب العلم دون العمل به ، أو الحفظ له ، ليس من شيم العقلاء ، ولا من زى الألباء ، وإن من أجود ما يستعين المرء به على الحفظ : الطبع الجيد ، مع الهمة واجتناب المعاصي ، وأنشدني الأبرش :

نِعِمَّ عَوْنُ النَّفِيِّ الطَّلُوبِ لِعِلْمٍ      أَوْ لِبَعْضِ الْعُقُولِ صِحَّةِ طَبِيعِ

فَإِذَا الطَّبِيعُ فَاتَهُ بَطَلُ الْعَدَا      مِمْ وَصَارَ الْعِنَاءُ فِي غَيْرِ نَفْعِ

سمعت إبراهيم بن نصر العنبري يقول : سمعت علي بن خشرم يقول

سمعت وكيعاً يقول « استعينوا على الحفظ بترك المعصية »

قال أبو حاتم : يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن الأزدية من العلم آتت عند العاقل من الذكر بالعلم ، والعلم زين في الرخاء ، ومنجاة في الشدة ، ومن تعلم ازداد ، كما أن من حاتم ساد ، وفضل العلم<sup>(١)</sup> في غير خير مهلكة ، كما أن كثرة الأدب في غير رضوان الله موبقة ، والعاقل لا يسعى في فنونه إلا بما أجدى عليه نفعاً في الدارين معاً ، وإذا رزق منه الحظ لا يبخل بالإفادة ، لأن أول بركة العلم الإفادة ، وما رأيت أحداً قط يبخل بالعلم إلا لم ينتفع به ، وكما

(١) أي : الفاضل والزائد من العلم عن الحاجة

لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم يتبع ، ولا بالذهب الأحمر ما لم يُستخرج من معدنه ، ولا بالؤلؤ النفيس ما لم يخرج من بخره ، كذلك لا ينتفع بالعلم ما دام مكنونا لا ينشر ولا يفاد .

أبانا أحمد بن مضر الرباطي حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح الفراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من بخل بالحديث يبلى بإحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يبلى بالسلطان »

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك »  
وأنشدني الكريزي :

أفد العلم ، ولا تبخل به      وإلى علمك علما فاستفد  
استفدنا استطعت من علم وكن      عاملا بالعلم والناس أفد  
من يقدم تجرد الله به      وسيقتي الله عن لم يقد  
ليس من ناقس فيه عاجزا      إنما العاجز من لا يجتهد

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد بن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلم الرجل بابا من العلم فيبده به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أوها إلى آخرها له فوضعها في الآخرة »

قال أبو حاتم : قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعلمها في كتاب « العالم والمتعلم » ، بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن التكرار ؛ لأننا شرطنا في هذا الكتاب الاختصار ، كراهية سلوك التطويل والإشارة إلى قصد نفس التحصيل .

## ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي - ببغداد - حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا ذكر المطيبتين - اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم : أن يبلغ مجهوده حينئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له ، إذ اللسان هو المورد للمرء موارد العطب . والصمتُ يكسب المحبة والوقار ، ومن حفظ لسانه أراح نفسه ، والرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، والصمت منام العقل ، والمنطق يقظته .

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال « إن من الحكيم الصمت ، وقليل فاعله » .  
وأشدني الكريزي .

أقلل كلامك واستعد من شره      إن البلاء يبعثه مقرون<sup>(١)</sup>  
واحفظ لسانك ، واحتفظ من غيبه      حتى يكون كأنه مسجون  
وكل فؤادك باللسان ، وقل له      إن الكلام عليك موزون  
فزيادته وليك محكما ذا قلة      إن البلاغة في القليل تكون

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال : سمعت مالك بن أنس يقول « كل شيء ينفع بفضله<sup>(٢)</sup> إلا الكلام فإن فضله يضر »  
أخبرنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا مروان بن محمد عن سعيد

(١) عجز هذا البيت من قولهم في مثل « إن البلاء موكل بالمنطق » .

(٢) الفضل ههنا : الزيادة

ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لاخير في الحياة إلا لأحد رجلين :  
مُنْعِيَتٍ وَاِعٍ ، أَوْ مَتَكَلِّمِ عَالِمٍ »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم ، ولا  
يعترض عليهم فيه ؛ لأن الكلام وإن كان في وقته حظوةً جليلةً فإن الصمت  
في وقته مرتبةٌ عالية ، ومن جهل بالصمت عي بالمنطق <sup>(١)</sup> . والإنسان إنما هو  
صورة ممثلة أو ضالّة مهملّة ، لولا اللسان ، والله جل وعز رفع جارحة اللسان على  
سائر الجوارح ، فليس منها شيء أعظم أجراً منه إذا أطاع ، ولا أعظم ذنباً منه  
إذا جنى .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

لئن كان يحني اللوم ما أنت قائل ولم يك منه النفع فالصمت أيسر  
فلا تبد قولاً من لسانك لم يرض مواءمة من قبل ذاك التفكر  
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هارون بن محمد بن بكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد  
هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلام قبيحا كل قول يشينه الإكثار  
أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثني محمد بن داود بن سليمان الرملي حدثنا  
المسيب بن واضح قال : سمعت بن المبارك يقول :

تعاهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله  
وهذا اللسان بريد الفؤاد يدلُّ الرجال على عقله  
أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيقي أنبأنا إبراهيم بن

(١) أي من وصفه الناس بالجهل لصحته كان منطقته عيا

الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « شيطان يقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : سمعت يحيى بن اليمان يقول : قال سفيان الثوري « أول العبادة الصمت ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره »

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العتبي عن علي بن جرير عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصمة من زيغ المنطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم ، فما أكثر من ندم إذا نطق ، وأقل من يندم إذا سكت ، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مطلق ، وفؤاد مطبق .

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ، ويضع كل خصلة منها في موضعها : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وناطق يرد به الجواب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وشافع تدرك به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وحاصد تذهب الضغينة ، ونازع يجذب المودة ، ومسلّ يذكي القلوب ، ومعزّ ترد به الأحزان .

ولقد أحسن الذي يقول :

إن كان يعجبك السكوت فإنه	قد كان يعجب قلبك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرة	فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ، ولربما	زرع الكلام عداوة وضرارا
وإذا تقرّب خاسر من خاسر	زادا بذلك خسارة وتبارا <sup>(١)</sup>

(١) التبار : الهلاك .

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمي حدثنا العلاء  
ابن سعيد الكندي حدثني أبو حية قال « كنت أماشي إسماعيل بن سهل، وكان  
أحد الحكماء، فقال لي : ألا أخبرك ببيت شعر خير لك من عشرة آلاف  
درهم؟ قال : نعم قال : أيما أحب إليك؟ نفسك أو عشرة آلاف درهم؟ قال :  
قلت : نفسي، فأنشأ يقول :

انخفض الصوت إن نطقت بليلٍ وانفتت بالنهار قبل القال  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يكون ناطقاً كعبي وعالماً كجاهل،  
وساكتاً كناطق؛ لأن الكلام لا بد له من الجواب، والجواب لو جعل له جواب  
لم يكن للقول نهاية، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية، والمتكلم لا يسلم من أن  
ينسب إليه<sup>(١)</sup> الصلف والتكلف، وانصلحت لأليق به إلا الوفا وحسن السميت -  
وقد أحسن بذي يقول :

حَتَفُ امْرِئٍ لِسَانَهُ فِي جِدِّهِ أَوْلَعِبِهِ  
بَيْنَ اللَّهِ مَقْتَلُهُ رُكْبٍ فِي مَرْكَبِهِ<sup>(٢)</sup>

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا القلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد  
ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال  
عمر بن الخطاب « يا أحنف، من أكثر كلامه أكثر سقطه، ومن أكثر سقطه قلَّ  
حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه »  
وأنشدني الأبرش :

ما زِلَّ ذُو صَمْتٍ ، وَمَا مِنْ مَكْتَرٍ إِلَّا يَرِيْلُ ، وَمَا يُعَابُ صَمُوتُ  
إِنْ كَانَ مَنْطِقُ نَاطِقٍ مِنْ فِصَّةٍ فَالصَمْتُ دُرٌّ زَانَهُ الْيَاقُوتُ

(١) الصلف : السكبر

(٢) اللها : جمع لهاة ، وهي لحمية في سقف الخلق ، أي حنقه وهلاكه في لسانه

وهو مما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم « مقتل المرء بين فكيه »

أبناؤنا ابن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح قال : سمعت علي بن بكار يقول  
« جعل الله لكل شيء بايين ، وجعل للسان أربعة : الشفتين مصراعين ،  
والأسنان مصراعين »

أبناؤنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا نصر بن علي الجهضمي  
أبناؤنا محمد بن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد « أن شابا كان يحضر مجلس  
عمر بن الخطاب ، ويحسن الاستماع ، ثم ينصرف من قبل أن يتكلم ، ففطن له  
عمر ، فقال له : إنك تحضر مجلسنا ، وتحسن الاستماع ، ثم تنصرف من قبل أن  
تتكلم ، فقال له الشاب : إني أحضر فأثوق وأتقئ ، وأصمت فأسلم »

قال أبو حاتم - رضي الله عنه ! - الواجب على العاقل أن يُنصف أذنيه من  
فيه ، ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد لسمع أكثر مما يقول ؛ لأنه إذا  
قال ربما تدم ، وإن لم يقل لم يندم ، وهو على ردِّ ما لم يقل أقدر منه على ردِّ  
ما قال ، والكلمة إذا تكلم بها ملكته ، وإن لم يتكلم بها ملكها ، والعجب  
من يتكلم بالكلمة إن هي رُفعت ربما ضرته ، وإن لم تُرفع لم تضر ، كيف  
لا يصمت أو رب كلمة سلبت نعمة ! »

أخيرا ، أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن علي النهدي قال :  
أشدني رجل من ربيعة :

لعمرك ما شيء علمت مكانه      أحق بسجن من لسان مذلل  
على فيك مما ليس بعينك شأنه      بقفل وثيق ما استطعت فأقفل  
فرب كلام قد جرى من مباح      فساق إليه سهم حثيف معجل  
وللصمت خير من كلام بماثم      فكن صامتا تسلم ، وإن قلت فاعدل  
أخيرا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان

ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك ظلماً أن لا تزال مخاصماً ، وكفى بك  
آثماً أن لا تزال ممارياً ، وكفى بك كاذباً أن لا تزال محدثاً ، إلا حديثاً في ذات  
الله تبارك وتعالى »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكنانى حدثنا كثير  
ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبي سعيد عن كعب قال « العافية  
عشرة أجزاء ، تسعة منها في السكوت »

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى  
القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ،  
ومنهم من لا عقل له ، فأما الذى عقله معه فالذى يبصر ما يخرج منه  
قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فالذى يبصر ما يخرج منه بعد أن يتكلم .  
ومنهم من لا عقل له ، فحدثت به عبد الرحمن بن مهدي ، بعد ما رجعنا من عند  
يحيى ، فقال : هذه صفتنا ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام ،  
وقال : لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة ، لعله سمعه من غيره »

وأشدنى البغدادي محمد بن عبد الله بن زنجي

أنت من الصمت آمن الزلل<sup>(١)</sup> ومن كثير الكلام في وجلي  
لا تنقل القول ثم تنبئمه ياليت ما كنت قلت لم أقل  
سمعت محمد بن المسيب يقول : سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول : سمعت  
أبي يقول سمعت الأوزاعي يقول « ما بلى أحد في دينه ببلاء أضر عليه من  
طلاقة لسانه »

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول : سمعت أبا أحمد بن أبي قديد يقول :

(١) الزلل : السقوط ، والوجل : الخوف ، وكلاهما بفتح أوله وثانيه

سمعت العباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عارماً يقول : سمعت خالد بن الحارث يقول « السكوت زين للعاقل ، وشين للجاهل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى الصمت خصلة ل محمد ، إلا تزين العاقل وتزين الجاهل به لكان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمت ما وجد إليه سبيلاً ، ومن أحب السلامة من الآثام فليقل ما يقبل منه ، وليقل مما يقبل منه ؛ لأنه لا يجترىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق<sup>(١)</sup> ،

وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لا يليق بهم . من ذلك ما حدثنا به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن علي حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالك لا تكتب عن زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه فى طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه . واللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء ، وإذا فسد فكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفیان عن رجل قال « إني لأكذب الكذبة فأعرفها فى عملى » أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال « ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك فى سائر عمله » .

( ١ ) الفائق : المتفوق على القدرة على حسن التأتى وانتقاء القول من واسع ما علم . فهذا يقدم على الكلام وانقاً متبناً فيفيد . والمائق : الأحمق السفيه الذى لا يهجم أن يلقى بنفسه فى كل ورطة ، وأن يزج بنفسه فى كل بلية لا خلاص له منها لأنه لا يقدر العواقب ، ولا يفكر فى المصائر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والعاقل لا يتدىء الكلام إلا أن يسأل  
ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجيب إذا سُئِمَ ، ولا يجازى إذا أسمع ؛ لأن  
الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند التقيح أحسن منه «

وأشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

الصمت عند التقيح يسمه      صاحبُ صدقٍ لكل مضطحب  
فأثر الصمت ما استطعت ، فقد      يؤثرُ قول الحكيم في الكتب  
لو كان بعضُ الكلام من ورق      نكان جنَّ السكوت من ذهب

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القرظى حدثنا إسماعيل بن إبراهيم  
أبو بشر حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن المفيرة بن مسلم الهجيمي عن أسير  
ابن جابر قال « ما رضعت عنزاً قط ، ولو قلت لا أرضعها خفت أن يصير بي  
البلاء إلى أن أرضعها ، إن البلاء مؤكك بالقول »

وأشدنى الكريزى

استر العي ما استطعت بصمت      إن في الصمت راحة للصوت  
واجمل الصمت إن عيت جواباً      رب قول جوابه في السكوت

أبانا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن  
ابن مهدي حدثنا سفيان عن يزيد بن حيان عن عيسى بن عتبة قال : سمعت  
ابن مسعود يقول « والله الذى لا إله غيره ما شئ أحق بطول سجن من لسان »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها في  
الأوقات ، وإن من أعظم الخلل الفساد لصحة السرائر والمذهب لصلاح الضمائر ؛  
الإكثار من الكلام ، وإن أبيع له كثرة النطق ، ولا سبيل للمراء إلى رعاية  
الصمت إلا بتك ما أبيع له من النطق .

كما أبانا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن

سفيان عن نسير بن دعلوق عن إبراهيم التيمي أخبرني من صحب الربيع بن خَيمَ عشرين عاماً فلم يسمع منه كلمة تعاب .

أنا الجنيدي حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبيد الله أنبأنا سفيان عن أبي طعمة عن رجل من الحمي قال : أنبت الربيع بن خَيمَ بنعي الحسين . وقالوا: اليوم يتكلم مقالة ، فتأوه ومدبها صوته ، ثم قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون .

أنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعي قال « بينا أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشي وحدها على بعير لها ، فقلت : يا أمة الجبار من تطلبين ؟ فقالت : من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، قال : فعلت أنها قد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك قد أضلت أصحابك ؟ قالت : فهمناها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً وعلماً ، فقلت لها : يا هذه من أين أنت ؟ قالت : سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، فعلت أنها مقدسية ، فقلت لها : كيف لا تتكلمين ؟ فقالت : ما يلقظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد ، فقال بعض أصحابي : ينبغي أن تكون هذه من الخوارج ، فقالت : ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، فيما نحن نمشيها إذ رفعت لنا قباب وخيم ، فقالت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، قال : فلم أفطن لقولها ، فقلت : ما تقولين ؟ فقالت : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبمن أدهو ؟ فقالت : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا زكريا إنا نبشرك ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، قال : فإذا نحن بثلاثة أخوة كاللآلئ ، فقالوا : أمنا ورب الكعبة أضلناها منذ

ثلاث ، قالت : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، فأومأت إلى أحدهم فقالت : فابعثوا أحدهم بورقكم هذه إلى المدينة ، فليُنظر أيتها أركى طعاماً فليأتكم برزق منه ، فقلت : إنها أمرتهم أن يزودونا ، فجاءوا بخبز وكهك ، فقلت : لا حاجة لنا فى ذلك ، فقلت للفتية : من هذه منكم ؟ قالوا : هذه أمنا ماتكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة الكذب ، فدنوت منها فقلت : يا أمة الله ، أوصنى ، فقالت : ما أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ، فبليت أنها شيعية<sup>(١)</sup> ، فانصرفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات فى كتاب حفظ اللسان فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

فالتواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أيسح له من النطق ، لئلا يقع فى المزجورات ، فيكون ختفه فى يخرج منه : لأن الكلام إذا كثر منه أورث صاحبه التلذذ بصد الطاعات ، فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يُجدي عليه نفعه فى الآخرة ، كان وجود الإمساك عن السوء أولى به .

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصاري :

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه  
وأقلل إذا ما قلت قولاً ، فإنه إذا قلَّ قولُ المرء قلَّ خطاؤه

أبانا محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن أبي زياد القَطَوَانِي  
حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا العلى بن زياد قال قال مُورِقُ العِجَلِي

(١) إن صحت - فلها مقصد غير ما فهم ، وهى إنما توصيه أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يؤذيه أهله ، وهو يبرهم ويعسن إليهم ، ويلقهم رسالة ربه ، رجاء نجاتهم من عذاب الله ، ورجاء سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، لما كان بينهم وبينه من القربى .

« أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين ، ولست بتارك طلبه ، قال : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعني . »

أنبأنا إبراهيم بن نصر العنبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت خارجة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئاً . »

### ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرني أحمد بن محمد بن حبيب الجنيدي قال : حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا محاسن بن المودع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان قال قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له أجر ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب له أجر كذاباً »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن الله جل وعلا فضل اللسان على سائر الجوارح ، ورفع درجته ، وأبان فضيلته ، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده ، فلا يجب للعاقل أن يعود آله خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب ، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه في داريه ، لأن اللسان يقتضى ما عود : إن صدقاً فصدقاً ، وإن كذباً فكذباً .

ولقد أحسن الذي يقول :

عود لسانك قول الخير تحفظ به    إن اللسان لما عودت معتاد

موكّل بتقاضى ما سننت له    فاختر لنفسك ، وانظر كيف ترتاد

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادي حدثنا الهيثم

ابن خارجة حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول :  
« كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أَجَنَّبَ بَنِيهِ السَّمْنَ ، وكان يأمرني أن  
لا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز ، وكان يقول : عَلَّمَ بَنِيَّ الصَّدَقَ كما تعلمهم  
القرآن ، وجنبهم الكذب وإن فيه كذا وكذا يعني القتل »  
وَأَنشَدَنِي الأبرش :

الكذبُ مُرْدِيكَ ، وإن لم تحفِ والصَّدقُ مُنْجِيكَ على كل حال  
فانطق بما شئت تجد غيبه لم تُبْتَخَسْ وزنه متقال<sup>(١)</sup>  
أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم  
ابن حيان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال « إن  
أبا بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من العاقبة  
بعد اليقين ، ألا إن الصدق والبر في الجنة ، ألا وإن الكذب والفجور في النار »  
أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني  
طيسلة بن علي البهذلي قال « كنت مع ابن عمر يوماً في أصول الأراك يوم عرفة ،  
وبين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يا ابن المنافق ، قال : المنافق ،  
- ويحك ! - الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم ينبجز ، وإذا أوتى لم يؤدِّ » .  
سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت محمد بن خلف بن أبي الأزهر  
يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما من مُضغفة أحبُّ إلى الله من لسان  
صديق ، وما من مُضغفة أبغض إلى الله من لسان كذوب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل شيء يستعار ليتجمل به سهل وجوده ،  
خلا اللسان ، فإنه لا ينبيء إلا عما عود ، والصدق ينبجي ، والكذب يُرْدِي ،

(١) غيب الشيء : عاقبته ، ولم تبتمخس : معناه لم تنقص .

ومن غلبَ لسانه أمره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجويه حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظي قال « إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه » وأنشدني الكريزي .

كذبت ، ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدقاً  
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ، وإن كان صادقاً  
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاهُ ذا فقهٍ إذا كان حاذقاً

قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشين إلا إزاله صاحبه بحيث إن صدق لم يُصدق ، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم ، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسياً ، فإذا كان كذلك كان كالمنادي على نفسه بالخزي في كل لحظة وطرفة .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول سمعت نصر بن علي الجهضمي يقول « إن الله أعاننا على الكذابين بالنسيان » وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبعه ، ولو بكفٍ من رَماد  
سلامة صدره ، والصدق منه ، وكتمان السرائر في الفؤاد

أنا أنا بكر بن أحمد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عذرة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال قال الزهري « لو رأيت طاووساً لعلت أنه لا يكذب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اللسان سبع عُقور ، إن ضبطه صاحبه سلم ، وإن خلى عنه عقرة ، وبفمه يفتضح الكذوب ، فالعاقل لا يشتغل بالخوض فيما لا يعلم فيمتهم فيما يعلم ، لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدى الفضايح ويكتم

المحسن ، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزرى برأيه ، وأفسد صدقه .

ولقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال « حَسْبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكُذْبِ أَنْ يَحْدِثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « طَوَّيْتُ لِمَنْ خَزَّنَ لِسَانَهُ ، وَوَسَّعَهُ يَتَهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ »  
أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

وإذا الأمور تراوجت فالصدق أكرمها نتاجاً  
للصدق يعقد فوق رأٍ سر حَافِيَتِهِ بِالصِّدْقِ تَاجاً  
والصدق يقدح زنده في كل ناحية سراجاً

أنبأنا القطان بالرقبة حدثنا نوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن منصور عن ربيعي قالوا « من ذكرت يا أبا سفيان ؟ قال : ذكرت ربيعا ، وتَدْرُونَ مَنْ كَانَ رَبِيعِي ؟ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَشْجَعٍ ، زَعَمَ قَوْمُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ ، فَسَمِيَ بِهِ سَاعٌ إِلَى الْحِجَابِ ، فَقَالَ : هَا هُنَا رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ ، زَعَمَ قَوْمُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ ، وَإِنَّهُ يَكْذِبُ لَكَ الْيَوْمَ ، فَإِنَّكَ ضَرَبْتَ عَلَى ابْنَيْهِ الْبَعْثَ قَعَصِيًّا ، وَهَمَّا فِي الْبَيْتِ ، وَكَانَ عَقُوبَةُ الْحِجَابِ لِلْعَاصِي ضَرْبَ السِّيفِ ، قَالَ : فَدَعَاهُ ، فَإِذَا شَيْخٌ مَنَعِي ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ رَبِيعِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا فَعَلَ ابْنَاكَ ؟ قَالَ : هَاهُمَا ذَانِ فِي الْبَيْتِ . قَالَ : فَخَمَلَهُ وَكَسَاهُ وَأَوْصَى بِهِ خَيْرًا »

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي عن أبيه قال « كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمْتَنِي ، فَعَطَشَ ، فَاتَّهَى إِلَى عَجُوزٍ ، فَاسْتَسْقَاهَا مَاءً .

فقلت : ما عندنا ، فقال : لينا ، فقلت : ما عندنا ، فبدرت جارية فقالت لها :  
تكذبين ، وما تستحين ؟ ثم قالت لعمر : هذا السقاء فيه لبن ، فسأل عمر عن  
الجارية فإذا أبوها تقفى فخطبها على عاصم بن عمر ، فزوجها منه ، فولد له منها  
أم عاصم ، فزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز بن  
مروان ، رحمة الله عليه ! » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصدق يرفع المرء في الدارين ، كما أن الكذب  
يهوى به في الحالين ، ولو لم يكن للصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به  
قُبِلَ كذبه ، وصار صدقا عند من يسمعه - لكان الواجب علي العاقل أن يبلغ  
مجهوده في رياضة لسانه ، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب ، والعنى  
في بعض الأوقات خير من النطق ؛ لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعنى  
خير منه

أنشدنى المنتصر بن بلال :

تحدث بصدق إن تحدثت ، وليكن لكل حديث من حديثك حين  
فما القول إلا كالثياب ، فبعضها عليك ، وبعض في التُّخُوتِ مصون<sup>(١)</sup>  
وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كم من حسيب كريم كان ذا شرف

قد شانه الكذب وسط الحى إن عمدا

وآخر ، كان صُفُلوكا ، فَشَرَّفَه

صدق الحديث وقول جانب القندا

فصار هذا شريفا فوق صاحبه

وصار هذا وضيعاً تحته أبدأ

(١) التُّخُوتِ : جمع تَحْت ، وهو كل ما يحفظ فيه الثياب

أبنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أبنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، قال : قال عمر « لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق ، ويدع الكذب في المزاح وهو يرى أنه لو شاء لغاب »

أبنا ابن سعيد القزاز ، حدثني يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا علي بن بكار عن يونس بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو قال « دَرَّ مَالَسْتَمَنَّهُ فِي شَيْءٍ ، وَلَا تَنْطِقُ فِيهَا لِأَعْيُنِكَ ، وَأَخْرَجْتُ لِسَانَكَ كَمَا تَخْرُجُ دِرَاهِمَكَ »  
وأشدني محمد بن المنذر بن سعيد الهروي :

القول كاللبن المحلوب ، ليس له رَدٌّ وكيف يردُّ الخالب اللبنا في ضربه ، وكذلك القول ليس له في الجوف رَدٌّ قبيحا كان أو حسنا قال أبو حاتم رضي الله عنه : أوجب على العاقل ترك الإغضاء عن تعهد اللسان ؛ لأن من أكثر كلامه أكثر سقطه ، والسقط ربما تعدى غيره فيهلكه في ورطة لاحيلة له في التخلص منها ، لأن اللسان لا يندمل جرحه ، ولا يلتئم ما قطع به ، وكلم القول إذا وصل إلى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة ، ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة ، ومن الناس من لا يكرم إلا اللسانه ، ولا يهان إلا به ؛ فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به .

أبنا عبد الله بن محمد الأنماطي الهمداني ، حدثنا محمد بن عمير ، حدثنا عبد الله بن الحسين العقيلي ، حدثنا أبو سلمة الخزازي ، حدثنا شبيب بن شبة ، قال : سمعت ابن سيرين يقول « الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف »  
ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة<sup>(١)</sup>

أبنا الفضيل بن الحباب الجعفي ، حدثنا القعنبي عن شعبة ، عن منصور ،  
(١) القحة - بكسر القاف وفتحها - مصدر قولهم: وقع الرجل - بالضم - إذا قل حياؤه

عن ربيع ، عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما أدرك  
الناسُ من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل  
وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه  
دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم قبحته ، ولقد  
أحسن الذى يقول :

وليس بمنسوب إلى العلم والنهى فتى لا ترى فيه خلائق أربع  
فواحدة : تقوى الإله التى بها يُنال جسيم الخير والفضل أجمع  
وثانية : صدق الحياء فإنه طباع عليه ذو المروءة يطبع  
وثالثة : حلم إذا الجهل أطلعت إليه خبايا من فجور تسرع  
ورابعة : جود بملك يمينه إذا نابه الحق الذى ليس يدفع  
وأشددنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه فلا خير فى وجه إذا قلَّ ماؤه  
حياؤك فاحفظه عليك ، فانما يدل على وجه الكريم حياؤه  
أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن  
أبي الأحوص عن عبد الله قال « الأم شيء فى المؤمن الفحش » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء اسم يشتمل على مجانبية المكروه من الخصال  
والحياء حياآن : أحدهما : استحياء العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام<sup>(١)</sup>  
بمباشرة ما حظر عليه .

والثانى : استحياؤه من الخلق عند الدخول فيما يكرهون من القول  
والفعل معاً .

(١) الاهتمام : أراد به الهم بالشيء والعزم على فعله

والحيا آن جميعاً محمودان ، إلا أن أحدهما فرضٌ والآخرَ فضل ، فلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل .  
وأشدني محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن خلف التيمي قال : أشدني رجل من خزاعة :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء  
فلا والله ، ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء  
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العمود ما بقى اللحاء

حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضي حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري : أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو مخاطب « أيها الناس ، استحيوا من الله ، فوالله ما خرجت حاجة منذ بايعت رسول الله صلى الله وسلم . أريد الفائط إلا وأنا مُتَّع رأسي حياء من الله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحياء من الإيمان ، والمؤمن في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجافي في النار ، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه .  
فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً ، وتواتر الشر منه موجوداً ؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها ، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها ، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها .

ولقد أحسن الذي يقول :

ورب قبيحةٍ محال بيني وبين ركوبها إلا الحياء  
فكان هو الدواء لها ، ولكن ، إذا ذهب الحياء فلا دواء  
وأنيأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى .

ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال :  
« من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعود نفسه لزوم الحياء من الناس ، وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال الحمودة ومجانبتها الخلال المذمومة ، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار بلزوم الحياء عند مجانبته ما نهى الله عنه ؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معافى المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين المخلوقين ، وإذا قوى حياؤه قوى كرمه ، وضعف لؤمه ، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه ، وضعف كرمه ، ولقد أنشدنى علي بن محمد البسامي :

إذا رُزِقَ الفتي وَجْهًا وَقَاحًا      تقلّب في الأمور كما يشاء  
ولم يك للدواء ولا لشيء      يعالجه به فيه غتاء  
فمالك في معاتبته الذي لا      حياء لوجهه إلا العناء

قال أبو حاتم : إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ، ودفن مساويه ، ونشر محاسنه ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُتت ، ومن مُتت أودى ، ومن أودى حزن ، ومن حزن فقد عقله ، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لاله ، ولا دواء لمن لا حياء له ، ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ومن قل حياؤه صنع ما شاء . وقال ما أحب .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا لم تصن عرضاً ولم تحش خالقاً      وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع  
إذا كنت تأتي المرء تُعْظِمُ حَقَّهُ      ويجهل منك الحق فالصرم أوسع

أبنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عبد الله بن مسعود الثعلبي باليمن حدثنا  
أحمد بن زيد بن السكن الجندی عن سفیان بن عینة قال : قال يحيى بن جعدة  
« إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسيه »

### ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة التكبر

أبنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي حدثنا إسماعيل بن جعفر  
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « ما نقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله عبداً بغوا إلا عزاً  
ولا تواضع أهد الله إلا رفعه الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة  
التكبر ، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمد إلا أن المرء كلما أكثر تواضعه أزداد  
بذلك رفعةً لكان الواجب عليه أن لا يتزناً بغيره .

والتواضع تواضعان : أحدهما محمود ، والآخر مذموم . والتواضع المحمود :  
ترك التصاول على عبادة الله ، والإضرار بهم . والتواضع المذموم : هو تواضع المرء  
لذی الدنيا رغبة في دنياه .

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يفارق التواضع  
المحمود على الجهات كلها .

ولقد أبنا الحسن بن سفیان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن  
عجلان عن بكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدي أن عمر بن الخطاب قال « إن  
الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكيمته »<sup>(١)</sup> وقال : انتعش نمشك الله ، فهو في

(١) الحكمة - بفتحات - حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكته تمنعه عن  
مخالفة راحته ، ومنه حديث عمر « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكيمته » ورفعها  
كتابة عن الإعزاز ، لأن من صفة الدليل تنكيس رأسه

نفسه صغير ، وفي أعين الناس كبير ، وإذا تكبر العبد وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض ، وقال : أخساً ! أخسأك الله ، فهو في نفسه كبير ، وفي أعين الناس صغير .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطراً ،  
ويزيده نبلاً .

والتواضع لله جل وعز على ضربين :

أحدهما : تواضع العبد لربه عند ما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله ، ولا راء له عنده حالةً يوجب بها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذى يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو النسب الدافع لنفس العجب عن الطاعات والتواضع الآخر هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المآثم حتى لا يرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات .

كما أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين .  
حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال :  
قال أبي « يا بني لو لم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم » .

أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ البراز ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا  
ابن سميع ، حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريح عن مجاهد في قوله ( كانوا لنا  
خاشعين ) قال « متواضعين »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم بجانب التكبر ، لما فيه من الخصال  
المدنومة

إحداها : أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل

والثانية : ازدراؤه بالعالم ، لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى بالمستحقرنن أكرمه الله بالإيمان طعيانا .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا في صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله جل وعلا ؛ فمن نازعه إحداهما ألقاه في النار ، إلا أن يتفضل عليه بعفوه .  
وقد أحسن الذي يقول :

التيهُ مفسدة للدين ، منقصة للعقل ، مهتكة للعرض ، فانتبه  
لا أشترهنَّ ؛ فإن الذل في الشره والعزُّ في الحلم لا في البطش والسفه

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت الأصمعي يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول « الشريف إذا تقرأ (١) تواضع ، والدنيء إذا تقرأ تكبر »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يمنع من التواضع أحد ، والتواضع يكسب السلامة ، ويورث الألفة ، ويرقع الحقد ، ويذهب الصد ، وثمره التواضع المحبة ، كما أن ثمره القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه ، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعفه ، وكيف لا يتواضع من خلق من نطقة مذرة ، وآخره يعود جيفة قذرة ، وهو بينهما يحمل العذرة ؟

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت ابن عيينة يقول : لو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لانرف .

وأنشدني الكريزي :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا      فكم تحتها قوم هم منك أرفع  
فإن كنت في عز وخير ومنعة      فكم مات من قوم هم منك أمتع ؟

أنشدنا أبو عمرو بن عثمان بن قتيبة، أنشدنا المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط:  
وكفى بملتصم التواضع رفعةً وكفى بملتصم العلو سَفَلاً  
أبانا ابن خزيمة، حدثنا محمد بن هشام المروزي، حدثنا حفص بن غياث  
عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال « حج الحسين بن علي عشر حجج ماشياً  
وَجُبُه<sup>(١)</sup> تقاد إلى جنبه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن  
قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا  
يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ،  
وما رأيت أحداً تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالدلة لمن فوقه .

وأنشدني محمد بن أبي علي الخلابي :

ودع التيه والعبوس على الناس فإن العبوس رأس الحماقة  
كلما شئت أن تعادي عادياً - ت صديقاً وقد تفر الصداقه

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما استجلبت البغضة بمثل التكبر ، ولا اكتسبت  
المحبة بمثل التواضع ، ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ، ولا  
يجب لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء ، ولا تكاد ترى تائها إلا وضيعاً  
فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنناً منه تواضع له ، وقال : سبقني إلى  
الإسلام ، وإذا رأى من هو أصغر سنناً تواضع له ، وقال : سبقته بالذنوب ، وإذا  
رأى من هو مثله عده أخاً ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار  
أحد ، لأن العود الذبوذ ربما انتفع به فحكَّ الرجل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد ،

(١) نجب - بضم النون والجيم - جمع نجيب ، وهو الجمل

قال : سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول « دخل رجل الحمام وزيد بن أبي حبيب فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسي ، قال : قمام فشد عليه إزاره ففسل رأسه ، وذلك جسده ، فلما فرغ قال له الرجل : كثر الله في السودان مثلك ، قال : أحببت أن يكثر من يخدمك »

أنبأنا محمد بن زنجويه القشيري ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله المدائني ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو بنى جبل على جبل لذلك الله الباغي منهما . »

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « مانسيت شيئاً قط » ثم قال لعلامة « ناواني نعلي ، قال : نعلك في رجلك »<sup>(١)</sup>

أنبأنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أنبأنا علي بن حشرم ، قال : سمعت الفضل بن موسى يقول « كان مالك ينسى ، فقال قهرمانه<sup>(٢)</sup> : اشتر لي غلاماً وسمه باسم خفيف حتى لا أنساه ، قال : فاشترى له غلاماً ، وأدخله عليه ، فقال : اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ما سمينه ؟ قال : فرقد ، قال : فنظر إلى الغلام ، وقال : اجلس يا واقد »

ذكر استجاب التجيب إلى الناس من غير مقارفة المأثم<sup>(٣)</sup>

أنبأنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عمرو ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو

(١) العبرة في هذا : أنه أنسى ما لا يصح أن ينسى ، فكان دليلاً على فساد دعواه

(٢) القهرمان : الخادم . ومالك : هو ابن أنس إمام دار الهجرة

(٣) أي مع التحفظ والخبر أن يدنو مما فيه إثم وخطيئة تغضب الله

الأزدى ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحرم على النار كلُّ هَيْنٍ لَيْنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتجنب إلى الناس بلزوم حسن الخلق ، وترك سوء الخلق ؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا ، كما يذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيء يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل ، وقد تكون في الرجل أخلاقٌ كثيرةٌ صالحةٌ كلها ، وخلق سيء ، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها . وأنشدنى البغدادي :

خالق الناسَ بخلق حسن لا تكن كلباً على الناس يهراً  
وأنفهم منك يبشر ، ثم صنَّ عنهم عرضك عن كل قدر

أبنانا حامد بن شعيب البلخي ببغداد ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاوس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن الرحم تُقَطَّعُ ، وإن النعم تُكْفَرُ ، ولم أرَ مثل تقارب القلوب » .

أبنانا الخلابي ، حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي ، ثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « إذا خالطت فخالط حسن الخلق ، فإنه لا يدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه في راحةٍ ، ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر ، وصاحبه منه في عناء ، ولأنَّ يصحبنى فأجر حسن الخلق أحبُّ إلى من أن يصحبنى قارىء سيء الخلق ، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه ، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه » .

(١) هين : ليس نافرأ مستعصياً ، لين الجانب ليس خشناً ، قريب الخلق ليس شكسا

وأنشدني محمد بن المهاجر المعدل ، أنشدني محمد بن إبراهيم اليعمرى :  
حافظ على الخلق الجميل ومُرِّ به ما بالجميل وبالقيح خفاء  
إن ضاق ما لك عن صديقك فآلقه بالبشر منك إذا يحين لقاء  
أبانا الحسين بن إسحاق الأصبهاني ، حدثنا يحيى بن حكيم القومى ، حدثنا  
الخليل بن عبد العزيز ، قال : سمعت حماد بن سلمة يقول « الصوم في البستان من  
الثقل »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حسن الخلق بذرا اكتساب المحبة ، كما أن سوء  
الخلق بذرا استجلاب البغضة ، ومن حسن خلقه صان عرضه ، ومن ساء خلقه  
هتك عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت في القلوب  
أورثت العداوة ، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى  
النار ، إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفو .

أبانا محمد بن المنذر ، حدثنا أبو حاتم الرازى ، حدثنا أبو عمير النخاس ،  
حدثنا ضمرة ، عن رجاء بن أبى سلمة عن الزهرى قال « وهل يُنتفع من السيئ  
الخلق بشيء ؟ »

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهل لا ترا ل وجوهم تدعو إليه  
طوبى لمن جرت الأمور ر الصالحات على يديه  
ما لم يضق خلق التتى فالأرض واسعة عليه

أبانا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون ،

(١) أى صوم التنفل مع وجود الرقعة الدين خرجوا للنزهة والتفرج في بستان  
كثير الفاكهة التى قلما ينالها طلاب العلم ، فمن صام كذلك كان منتظما

عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مهران قال « التودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن المسألة نصف العلم واقتصادك في معيشتك يلتقى عنك نصف المؤونة » قال أبو حاتم رضى الله عنه : التجب إلى الناس أسهل ما يكون وجها ، وأظهر ما يكون بشرا ، وأخصر ما يكون أمراً ، وأرفق ما يكون نهياً ، وأحسن ما يكون خلقاً ، وألين ما يكون كفاً ، وأوسع ما يكون يداً ، وأدفع ما يكون أذى ، وأعظم ما يكون احتمالاً ؛ فإذا كان المرء بهذا النعت لا يحزن من يُحبه ولا يفرح من يحسده ؛ لأن من جعل رضاه تبعاً لرضا الناس <sup>(١)</sup> ، وعاشرهم من حيث هم استحق الكمال بالسؤدد . وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أعاشر مَعشَرِي في كل أمرٍ بأحسن ما أُرِيتُ وما رأيتُ  
وأجتنب المقابح حيث كانت وأترك ما هويتُ وما قرَّيتُ <sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه ، والسبب الداعي إلى صدِّ محبتهم له : هو التضايق في الأخلاق ، وسوء الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه سئمه أهله وجيرانه ، واستثقله إخوانه ، فحينئذ تمنوا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائى يقول : سمعت أبا الحسن الرهاوى يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول :

فقدت ثقال الناس في كل بلدةٍ فياربٍ لا تغفر لكل ثقيل

---

(١) على شرط أن لا يرضيهم بما يغضب الله ، ويعنى بذلك أن يكون موطأ الكنف يالف ويؤلف .

(٢) وما قرَّيت : أى ما أتيت من الأعمال العجيبة . يقال « فلان يفرى الفرا » إذا كان يأتي بالمجب . اهـ من لسان العرب

أنيابنا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا محمد بن عبيد الله بن إسماعيل قال : سمعت عمرو بن الحارث يقول : تسخين العين النظر إلى من تكره<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاستئصال من الناس يكون سببه شيئين : أحدهما : مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم ؛ لأن من تعدى حرمة الله أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض في الأرض ، فلا يكاد يراه أحد إلا استنقله وأبغضه .

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الاتصال ما يكره الناس منه ، فإذا كان كذلك استحق الاستئصال منهم . وأشدني الكريزي :

ليتني كنت ساعةً ملك المسوت ، فأفنى الثقال حتى يببوا  
ولو أني وأنت في جنة الخلد لقلت : الخروج منها أريد  
لدخول الجحيم أهون من جنة خلد ، أراك فيها ترود  
أنيابنا عمر بن حفص البزاز يجنديسابور حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال « كان نقش خاتم أبيك - يعني أبا أبي مسهر - أبرمت<sup>(٢)</sup> قم ، قال : فكان إذا جلس إليه الرجل فتناقل حرك خاتمه ، وقال : اقرأ نقش خاتمي ، وكان إذا قرأ قام »

أنيابنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا موسى بن رباح قال : سمعت مخلداً أبا أبي عاصم يقول : إذا أبغضت الرجل أبغضت شقي الذي يليه .

(١) من قولهم « أسخن الله عينه » أي أحزنه . كما قالوا « أقر الله عينه » إذا دهوا بأن يسره الله ويفرحه .

(٢) تقول : أبرم الرجل إراماً : أي أضجره وأمله وأسأمه .

سمعت محمد بن السرى البغدادى يقول : سمعتُ أبا بكر المروروذى يقول :  
سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء ، فقال : سألت عنهم بشراً الحافى ، فقال :  
النظر إليهم سُخْنَةٌ العين ، قلت لأحمد : من الثقلاء ؟ قال : أهل البدع .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه  
هو استئصال الخالص : إذا عرفَ أحدهم من بعض الناس ثلماً فى الشَّنة<sup>(١)</sup> أبغضه  
على بدعته ، فأما العام<sup>(٢)</sup> فلا يكادون يعادون ويوالون إلا على المحبوب من  
الخصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى المقنع الكندى حيث يقول لبعض  
من صحبه :

ألا يامرُ كَبَ المقت الذى أرسى ، فلا يبرخ  
ويا من سكراتُ الموات من طلعت أرواح<sup>(٣)</sup>  
لقد صوّرت فى فكرى فلا أدرى لما تصلح ؟  
فلا تصلح أن تهجى ولا تصلح أن تمدح  
بلى ، تصلح أن تُقتل أو تصلب أو تُذبح

سمعت أحمد بن محمد البلخى الذهبى يقول : قال محمد بن أبى الورد قال يحيى  
ابن ماسويه : النظر إلى الثقيل حُمى تعترى بين الجلدين .

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول : سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت  
أبا أسامة يقول : اثتوني بمستعملٍ خفيف على الفؤاد ، إياى والثقلاء ، إياى والثقلاء  
أبنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبى طالب حدثنا إبراهيم

(١) الثلثة : فرجة المكسور والمهدوم ، ويعنى به التجافى عن السنة

(٢) أى العامة والجمهور من الناس

(٣) من الراحة ، أى أكثر راحة

ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقل مرة ، ففُشى على وأنشدني المنتصر بن بلال :

وأنت على مودتنا حريص ولكن لا تخف على الفؤاد  
وأثقل من رجا بزر علينا<sup>(١)</sup> كأنك من بقايا قوم عاد

حدثنا إبراهيم بن مضر بن عنبر حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استثقل جلساً له قال « اللهم اغفر لنا وله ، وأرحنا منه في عافية »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل بجانب الخصال التي تورثه استئصال الناس إياه ، وملازمة الخصال التي تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ، ويستجلب به محبتهم : البذل لهم مما يملك المرء من حُطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى ، فلو أن المرء صحبه طائفتان : إحداهما تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى التي تبغضه ، وأساء إلى التي تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما ، لكان أسرعها إلى خذلانه وأبعدها عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه ، وأسرعهما إلى نصرته وأبعدها عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه ، لأن الكلب إذا شبع قوى ، وإذا قوى أتمل ، وإذا أمل تبع المأمول ، وإذا جاع ضعف ، وإذا ضعف أيس ، وإذا أيس ولى عن التبوع .

(١) أى الرعى إذا طحن حب اليزر الرطب بخلاف الرحا يطحن بها ما يعبد بالتجفيف للطعام

فمن عدم المال فليبسط وجهه للناس<sup>(١)</sup>. فان ذلك يقوم مقام بذل المعروف ،  
إذ هو أحد طرفيه .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المازني قال : سئل  
ابن المبارك عن حسن الخلق ، فقال « هو بسط الوجه ، وبذل المعروف »  
أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد  
ابن القاسم الأسدي عن منحة بن عمرو قال « خرج غلام لنا بقمامة الدار ، أو بكناسة  
الدار ، عريان ، وسعيد بن جبير على الباب ، فقال : يا خبيث ارفع إزارك » .  
أنبأنا محمد بن إبراهيم البدوري بالبصرة حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي  
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : إذا لقي المسلم أخاه  
فصاحه وكشّر<sup>(٢)</sup> في وجهه تحانت ذنوبه ، كما تحانت العذق من النخلة . فقال  
رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، إن هذا من العمل اليسير . فقال مجاهد : ( ٨ : ٦٢ )  
هو الذي أيدك بنصره وبالْمُؤْمِنِينَ وَأَنْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
مَا أَلَقْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ) أفسير هذا؟ .

ذكر استعمال لزوم المداراة ، وترك المداهنة مع الناس

أنبأنا محمد بن قتيبة اللخمي بعسقلان وعمر بن سعيد بن سنان الطائي  
بمنبج قالا : حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد  
ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مداراة الناس  
صدقة » .

---

(١) أي يسعهم يبشروه وحسن أخلاقه ، حيث لم يسعهم بماله ، فإن في الأثر  
« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم »  
(٢) كشر : تبسم وضحك ، لأنه يقال : كشر عن أسنانه أي أبداهها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع إليه في العشرة من غير مقارفة المداهنة ؛ إذ المداراة من المدايرى صدقة له ، والمداهنة من المداهن تكون خطيئة عليه ، والفصل بين المداراة والمداهنة : هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت الذى هو له مقيم بلزوم المداراة ، من غير تلم في الدين من جهة من الجهات ، فمتى ما تخلق المرء بخلق شابه<sup>(١)</sup> بعض ما كره الله منه في تخلقه ، فهذا هو المداهنة ، لأن عاقبتها تصير إلى قتل ، ويلزم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله . ومن لم يدار الناس مئوّه كما أنشدني علي بن محمد البساسى :

دار من الناس مئلا لا يم من لم يدار الناس مئوّه  
ومكرم الناس حبيب لهم من أكرم الناس أحيوه

أبنا محمد بن أحمد بن أبي عون المرياى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثورى عن ابن الحنفية قال « ليس بحكيم من لم يماثر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدءاً ، حتى يأتيه الله منه بالفرج أو الخرج . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يدارى الناس مداراة الرجل الساجح في الماء الجارى ، ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدّر على نفسه عيشه ، ولم تصف له مودّته ؛ لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون مأثماً ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة ، والبشر قد ركب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة ، فكما يشق عليك ترك ما جُبلت عليه ، فكذلك يشق على غيرك مجانبته مثله ، فليس

(١) أى : خالطه . يقال : شاب اللبن ماء ، أى خلطه .

إلى صفو و دادم سبيل ، إلا بمعاشرتهم من حيث هم ، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات. أنشدني الأبرش :

وقالت ، وهزت رأسها وتضحكت: على الود تجفني ، أم على العهد توصل ؟

فقلت : فلم أ فعل ، فقالت : تریده فقالت : فلم أ فعل ، فقالت : ستفعل

أنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا حرم<sup>(١)</sup> قال : سمعت حبيب ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، أصعب الناس بأى خلق شئت يصحبوك عليه » وأنشدني الكريزي :

تجنني علي بما قد جنني ويُفلفظ في القول ، إن لنت له

ويسبق بالعدل لي ظالمًا كأن الصواب له لآليه

كما قال في مثل عالم خذ اللص بالذنب لا تغفله<sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يدرك ، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بدءًا ، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستحبها ، واستقباح أشياء كان يستحسنها ، ما لم يكن مآثمًا ؛ فإن ذلك من المداراة ، وما أكثر من داري فلم يسلم . فكيف توجد السلامة لمن لا يدارى ؟ أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

ياذا الذى أصبح لا والد له على الأرض ولا والده

قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالده ؟

إن جئت أرضاً أهلها كلهم عورًا ، فعمض عينك الواحده

(١) في الخلاصة في ترجمة أحمد بن مقدم : وروى عن حماد بن زيد ،

وجزم القطيعى - بالجيم والزاي

(٢) من أمثال العرب « خذ اللص قبل يأخذك »

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون  
حدثنا معاذ بن سعد الأعمور قال « كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث  
رجل بحديث ، فعرض رجل من القوم في حديثه ، قال : ففضب ، وقال : ماهذه  
الطباع ؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به ، فأريه كأنني لأحسن منه  
شيئاً »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن محمد الصيداوي ، حدثنا حماد بن إسحاق  
عن المدائني ، قال : قال معاوية « لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ،  
قيل : وكيف ؟ قال : لأنهم إن مدّوها خَلَّتْهَا ، وإن خَلَّوها مددتها »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون  
من المكروه ، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشه أقرب  
منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن  
ينال منهم الوداد ، وترك الشُّحْنَاء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يدارى صديق  
الصدِّق ليس بحازم . ولقد أحسن الذي يقول :

تجنب صديق السوء واصرمُ حباله      وإن لم تجد عنه تحيصاً فداره  
وأحب حبيب الصدق ، واحذر مرآه      تنقلُ منه صَفْوُ الوُدِّ ما لم تماره

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم الحوراني ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا  
سهل بن هاشم عن إبراهيم بن أدهم قال : قال أبو الدرداء لأُم الدرداء « إذا  
غضبتُ فرضيتني ، وإذا غضبتِ رضيتك ، فإذا لم نكن هكذا ما أسرعَ ما نفترق »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا دفعه الوقت إلى صحبة من لا يثق  
بصداقته ، أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدهما زَلَّةً فرَفَضَهُ لزلته ،  
بقى وحيداً لا يجد من يعاشره ، فريداً لا يجد من يخادق ، بل يُنْضَى على الأخ

الصادق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته ؛ لأن المناقشة تلزمه في تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه في فرعه .

ومن أنواع المداراة : ما حدثني الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبْوَيْه ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال « كانت لرجل جارية ، فوطئها سرا ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله ، قال ابن شوذب : وكانت مريم تغتسل في كل ليلة »

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

أغمضُ عيني عن صديقي ، كأنني ليديه بما يأتي من القبح جاهلُ  
وما بيَ جهل ، غير أن خليقتي تطيق احتمال الكره فيما أحاول  
متى ما يريني مفصل فقطعته بقيت ومالي في نهوضي مفاصل<sup>(١)</sup>  
ولكن أداريه ، وإن صحَّ شدني فإن هو أعيان كان فيه تحامل<sup>(٢)</sup>

أنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي « لاتعامل بالخدبة ، فإنها خلق اللثام ، وانحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، وزل معه حيث زال »

(١) يقول : لو أني كلما رايت من صديق أمر يسبب فصل ما بيننا من مودة لم أجد عند احتياجي إلى من ينهض بي عند عثرتي صديق . كما قال بشار بن برد :  
إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه  
فعلش واحداً ، أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

(٢) يقول : إن من الحكمة أن أداري صديقي وأغض عن زلاته ، حتى إذا صح وده قويت به ، وأعطاني شدة في أمري ، وإن ضعف وعجز وجدت منه بعض ما يتعامل به من قوة أنتفع بها

## ذكر استحباب إفشاء السلام ، وإظهار البشر والتبسم

أبنا أحمد بن صالح الطبري ، حدثنا الفضل بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد بن جعفر المدائني ، حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السلام اسم من أسماء الله ، وضعه في الأرض ، فأفشوه بينكم ؛ فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بالقوم فسلمَّ عليهم فردُّوا عليه كان له عليهم فضل درجةٍ بتذكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه ردَّ عليه مَنْ هو خير منهم وأطيب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام ؛ لأن من سلمَّ على عشرة كان له عتق رقبة ، والسلام مما يذهب إفشاءؤه بالكتن من الشحناء<sup>(١)</sup> ، وما في الخلد من البغضاء ، ويقطع الهجران ، ويصافي الإخوان .

والبادئ بالسلام بين حسنتين : إحداهما : تفضيل الله عز وجل إياه على المسلم عليه بفضل درجة ، لتذكيره إياهم بالسلام ، وبين ردَّ الملائكة عليه عند تحفتهم عن الرد .

ولقد أبنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير ، قال : قال زبيد الياحي<sup>(٢)</sup> « إن أجود الناس من أعطى مالا لا يريد جزاءه ، وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة ، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه ، وإن أبجل الناس من بخل بالسلام » .

---

(١) الكتن : ما أكنه الضمير فأخفاء . والشحناء : الحصومة . والخلد - بفتح الحاء واللام - البال والقلب والنفس . وجمعه : أخلد . يقال « وقع ذلك في خلدي » .  
أى في روعى وقلبي (٢) هو زيد - مصفرا - بن الحارث ، الياحي ، ويقال : الياحي .

أخبرنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن  
صلة بن زفر العبسي ، قال حدثنا عمار بن ياسر قال « ثلاث من جمعهن جمع  
الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، والإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يسلم  
عليه متبسما إليه ، فإن من فعل ذلك تحات عنهما خطاياهما كما تحات (١) ورق  
الشجر في الشتاء إذا يبس ، وقد استحق الحجة من أعظام بشر وجهه .  
ولقد أخبرني محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبري ،  
حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا إسماعيل بن حماد عن سعيد بن الحسن  
قال : قيل له « ما أبشك ؟ قال : إنه يقوم على برخيص » (٢) وأنشدني الأبرش :  
أخو البشر محبوب على حسن بشره وإن يعدم البغضاء من كان عابسا  
ويسرع بمحل المرء في هتك عرضه ولم أر مثل الجود للمرء حارسا  
قال أبو حاتم : البشاشة إدام العلماء ، وسجية الحكماء ، لأن البشر يطفىء نار  
المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصين من الباغى ، ومَنْجاة من  
الساعى (٣) ، ومن بش للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك .  
أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن محمد العبادي حدثنا سويد عن  
علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أخبرت أنه مكتوب في الحكمة :  
يا بني ، ليكن وجهك بسطاً ، ولتكن كلمتك طيبة - تكن أحب إلى الناس  
من أن تعطيمهم العطاء » .

(١) تحات : سقط لجفافه وييسه .

(٢) يقول : إن البشاشة رخيصة لا تكلفه مالا ولا جهدا ، وإنما غالية وقيمة ،  
لأنها تجذب القلوب ، وتقتلع أسباب البغضاء .

(٣) الذى يسمى بالوقية ليفرق بين الأجرة .

وأنشدني الخلابي أنشدنا أحمد بن بكر بن خالد اليزيدي لسعيد بن عبيد الطائي :

إلقَ بالبشر من لقيت من الناس جميعاً ، ولا قيمَ بالطلاقِ  
تجنّ منهم جنّي ثمار ، فخذها طيباً طعمه لذيذ المذاقِ  
أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حكام بن مسلم  
عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال « يعجبني من القراء كل سئل أطلق  
مضعاك . فأما من تلقاه يبشر ويلقاك بعيوس يمن عليك بعمله ، فلا أكثر الله  
في القراء ضرباً هذا<sup>(١)</sup> »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان  
طاعة من الطاعات إذا رأى من قصر في سلوك قصده أن يعيس عليه بعمله  
وجهه ، بل يظهر البشر والبشاشة له ، فله في سابق علم الله أن يرجع إلى صحة  
الأوبة إلى قصده مع ما يجب عليه من الحمد لله والشكر له على ما وفقه لخدمته ،  
وحرّم غيره مثله .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابي أخبرني محمد بن موسى السمرى أن حماد  
بن إسحاق أنشدهم :

فتى مثل صفوالماء ، أما لقاؤه ، فبشرٌ ، وأما وعده فجميلٌ  
يسرك مُقتراً ، وبشرق وجهه إذا اعتلّ مذموم الفِعال بنخيل  
عبيٌّ عن القحشاء ، أما لسانه ، فأما طرفه فكليل

(١) الضرب والضرب : المثل في الشكل والقصد والخلق . ويقال « فلان  
ضرب فلان » أى نظيره وشبيهه . والجمع ضروب وضرائب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :  
إن تستمّ جميلاً أنت فاعلمه إلا وأنت طليقُ الوجه بهلوكُ  
ما أوسط الخير فابسط راحتك به وكن كأنك دون الشرِّ مغلول  
أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل  
حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال « من حسن  
خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم »

ذكر ما أيسح من المزاح للمرء ، وما كره له منه

أنبأنا أحمد بن علي بن المثني حدثنا هذبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا  
قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان له خادم يقال له : أنجشة ،  
وكان حسن الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة لا تكسر  
القوارير<sup>(١)</sup> » قال قتادة : يعني ضمعة النساء .  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس  
إليه بالمزاح ، وترك التمسُّس .

والمزاح على ضربين : فمزاح محمود ، ومزاح مذموم .  
فأما المزاح المحمود : فهو الذي لا يشوبه<sup>(٢)</sup> ما كرهه الله عز وجل ، ولا يكون  
بإثم ولا قطيعة رحم .  
وأما المزاح المذموم : فالذي يُثير العداوة ، ويُذهب البهائم ، ويقطع الصداقة ،  
ويُجرىء الدينء عليه ، ويُحقد الشريف به .

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي حدثنا أبو موسى الأنصاري

(١) كان أنجشة رضي الله عنه يحدو الإبل وينشطها في السير بجميل صوته ،  
فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « يا أنجشة رققا بالقوارير » (٢) يشوبه : يخالطه

حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « إياكم والمزاح ، فإنه يُفسد المودة ، ويُفيلُّ الصدر » .

أبانا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضيل بن الخضر التميمي حدثنا عبد الله بن حبيب قال : كان يقال « لا تمازح الشريف ، فيحقد عليك ، ولا تمازح الوضيع ، فيجتريء عليك »

وأشدنى محمد بن عبد الله :

أكرم جليسك ، لا تمازح بالأذى إن المزاح تُرى به الأضغان<sup>(١)</sup>

كم من مزاح جَدَّ حَبْلَ قَرِينِهِ فَتَجَدَّمَتْ مِنْ أَجْلِهِ الْأَقْرَانُ<sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح في غير طاعة الله مَسْلَبَةٌ لِلْبَهَاءِ ، مَقْطَعَةٌ لِلصَّدَاقَةِ ، يورث الضَّغْنَ ، وينبت الغلَّ .

وإنما سُمِّيَ المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق ، وكَم من افتراق بين أخوين ، وهجران بين متآلفين ، كان أول ذلك المزاح .

أبانا محمد بن أحمد بن الحسين القرشي حدثنا الأسود بن عامر عن أبي إسرائيل عن الحكم قال : كان يقال « لا تمازج صديقك ولا تمازحه ، فإن مجاهداً كان له صديق ، فمازحه ، فأعرض كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، فمأزاه عن السلام حتى مات »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً تهيج المراء ، والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المراء مذموم في الأحوال كلها ، ولا يخلو المأري

(١) ترى : إما من الرؤية ، فمعناه : تتكشف وتظهر به الأضغان ، وإما من الورى . ومعناه تقدح به شرارة العداوة ، وتشتعل به نار البغضاء .

(٢) جذ الحبل وجذمه : قطعه ، غير أن الجذ يستعمل كثيراً في الثمار والزرور لأن فيه معنى الاستئصال ، والجذم في القطع مع سرعة .

من أن يفوته أحد رجلين في المراء : إما رجلٌ هو أعلم منه ، فكيف يجادل من هو دونه في العلم ؟ أو يكون ذلك أعلم منه ، فكيف يمارى من هو أعلم منه ؟ .  
ولقد سمعت حفص بن عمر البزاز يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول :

سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول لابنه كُدام :

إني نخلتك <sup>(١)</sup> يا كدام نصيحتي فاسمع مقال أبي عليك شفيق

أما المزاح والمراء فدعها خُلقان لا أرضاهما لصديق

إني بلوتهما ، فلم أخدهما لمجاور جاراً ، ولا لشفيق

والجهل يُزري بالفتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراء أخو الشنان <sup>(٢)</sup> ، كما أن المناقشة أخت

العداوة ، والمراء قليل نفعه ، كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب

يكون القتال ، ومن القتال يكون هراقة الدم <sup>(٣)</sup> وما ماري أحد أحداً إلا وقد

غيَّر المراء قلوبهما ، وأقد أحسن الذي يقول :

وإياك من حلوا المزاح ومُرَّه ومن أن يراك الناس فيه ماريا

وإن مراء المرء يُخلق <sup>(٤)</sup> وجهه وإن مزاح المرء يبدي الشنانيا

دعاه مزاح أو مراء إلى التي بها صار مَقْلِي الإخاء وقاليا <sup>(٥)</sup>

أخبرني محمد بن المنذر حدثني كثير بن عبد الله التيمي حدثني إسماعيل

ابن محمد الطلحي حدثنا أبو الأخفش الكفائي أنه قال لابن له :

(١) إما أن يكون بالحاء المعجمة ، من نخل الدقيق : صفاه ، واستخلص تقيه ، يقصد أني استخلصت لك أصدق نصيحة وأصفاها ، وإما من النحلة - بالحاء المهملة -

وهي العطية الخالصة على ود وتكريم (٢) الشنان : شدة البغض والعداوة

(٣) « هراقة » أصله إرواقه ، ويقال : أراق ، وهراق ، وأهراق ، بمعنى سفع

وأسال (٤) أخلقت الثوب : أبلت جدته ، وأذهبت رونقه وبهجته

(٥) « المقلي » اسم مفعول ، من قليت : بمعنى هجرت وأبغضت .

أَبِيَّ لَا تَكُ مَا حَيَّيْتَ مَمَارِيًّا      وَدَعِ السَّفَاهَةَ ، إِنَّمَا لَا تَنْفَعُ  
لَا تَحْمِلَنَّ ضَعْفِيَةَ لِقْرَابَةٍ      إِنْ الضَّعْفِيَةَ لِلْقْرَابَةِ تَقْطَعُ  
لَا تَحْسِبَنَّ الْحِلْمَ مِنْكَ مَدَلَّةً      إِنْ الْحِلْمُ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي الهروي حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد  
قال : سمعت أبي عن الأوزاعي قال : قال بلال بن سعد « إذا رأيت الرجل  
لجوجاً ممارياً معجباً برأيه ، فقد تمت خسارته »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح إذا كان فيه إثم فهو يسود الوجه ،  
ويؤذي القلب ، ويورث البغضاء ، ويحجي الضغينة ، وإذا كان من غير معصية  
يُسَلِّيُ الهمَّ ، ويرقع الخلة<sup>(١)</sup> ، ويحجي النفوس ، ويذهب الحشمة ، فالواجب  
على العاقل أن يستعمل من المزاح ما ينسب بفعله إلى الخلاوة ، ولا ينوى به أذى  
أحد ، ولا سرور أحد بمساءة أحد .

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عائد - كان بهراة - حدثنا أحمد بن عبد الله  
ابن حكيم العرياني - قرية من قرى مَرَوْ - حدثنا سهل بن يحيى عن أبيه عن  
الأعمش عن إبراهيم قال « لا يمازحك إلا من يحبك »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا الصلت  
ابن مسعود حدثني ابن عيينة قال : أظنني سمعته من داود بن شابور ، عن محمد  
ابن المنكدر قال : قالت لى أمى وأنا غلام « لا تمازح الغلمان ، فتهونَ عليهم ،  
أو يجترثوا عليك »

حدثنا عمرو حدثنا القلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد بن مجاشع عن  
غالب القطان عن مالك بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب « من كثر ضحكك

(١) الخلة ، بضم الحاء : الصداقة ، أى يرقع ويصلح من الصداقة والمحبة  
ما مرقتة الملالة والسأم .

قَلَّتْ هَيْبَتَهُ ، وَمِنْ مَزْحٍ اسْتُخِفَّ بِهِ ، وَمِنْ أَكْثَرِ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ «  
أَبَانَا الْحَسَنُ بْنُ سَفِيَّانٍ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الطَّالِقَانِيُّ عَنْ مُبَشَّرِ  
ابْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ رَاشِدِ بْنِ أَبِي قِبَالٍ قَالَ « اسْتَسْقَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، فَأَتَيْتَهُ  
بِسُوقِ مُحَلَّى ، فَقَالَ : يَا رَاشِدُ شَكَرَ أَرَدَسْتُ شِيرِينَ <sup>(١)</sup> »  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مِنْ مَزْحِ رَجُلٍ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ هَانَ عَلَيْهِ  
وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ الْمَزَاحُ حَقًّا ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَجِبُ أَنْ يَسْلُكَ بِهِ غَيْرُ  
مَسْلُكِهِ ، وَلَا يَظْهَرُ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِهِ .

على أنى أكره استعمال المزاح بمحضرة العام ، كما أكره تركه عند حضور  
الأشكال .

ولقد أخبرنا كامل بن مكرم حدثنا ربيعة بن الحارث الجيلاني حدثنا عبد الله  
ابن عبد الجبار الجباري قال : قال أبو عبد الرحمن الأعرج « كان إبراهيم بن آدم  
محدثنا ، ويضاحكنا ، وإذا رأى غيرنا قال : هذا جاسوس »

### ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً

أَبَانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمٍ - بَيْتِ الْمَقْدِسِ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ  
عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ قَالَ « قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَخْضَلُ ؟ قَالَ :  
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : رَجُلٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشُّعْبِ يَتَّقَى اللَّهَ ،  
وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس

(١) بالفارسية - السكر : السكر . أز : من . دست : يد . شيرين : حلوا . ومعناه

السكر يكون من يدك حلوا

عاماً ، مع توقى مخالطتهم ؛ إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خصلة تُحمد إلا السلامة من مقارفة المأثم لكان حقيقاً بالمرء أن لا يُكدر وجود السلامة بلزوم السبب المؤدى إلى المناقشة

ولقد أخبرنى الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أخبرنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب قال : « خذوا بحظكم من العزلة »

أنبأنا عمرو بن سعيد بن سنان الطائى حدثنا حامد بن يحيى البلخى قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثورى فى المنام ، فقلت له : أوصنى ، فقال : أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس »

أنبأنا القطان بالرقّة حدثنا المروروذى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول « رأيت ابن السّمك يكتب إلى أخ له : إن استطعت أن لا تكون لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بدءاً ، فأفعل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام فى رعاية حقوقهم ، والتصبر على ورود الأذى منهم ، ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلاً ، لأنه إذا حَسَم عن نفسه ترك الاختلاط بالعالم ، والمخالطة بهم تمكّن من صفاء القلب ، وعدم تكدر الأوقات فى الطاعات .

ولقد استعمل العزلة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معاً .

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدى حدثنا داود بن أحمد بن سليمان الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت ابن المبارك يقول « عاد مُفضيل داود الطائى ، فأغلق داودُ الباب ، وجلس مُفضيل خارج الباب يبكى ، وداود داخل البيت يبكى »

أنبأنا الحسين بن محمد السنجى حدثنا على بن المنذر حدثنا الحسن بن مالك قال : سمعت بكر بن محمد العابد يقول : قال لى داود الطائى « يا بكر ، استوحش من الناس كما تستوحش من السبع »

أنبأنا محمد بن أحمد بن الفرغ البغدادى بالأبلة حدثنا إبراهيم بن حماد بن زياد حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال « روى إلى جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابض ، فقيل له : يا أبا يحيى ، ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك ؟ قال : هذا خير من جليس السوء »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى ذهب إليه داود الطائى وضرباؤه من القراء من لزوم الاعتزال من الخاص ، كما يلزمهم ذلك من العام - أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة ، وإيثار ضيد الخُلطة على المعاشرة ؛ فإن المرء متى لم يأخذ نفسه بتترك ما أبيع له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حظر عليه .

(١) إن ما يدحونه من العزلة والاختباء عن الحياة العامة لا يجوز أن يكون حال أهل الخير جميعاً ، وإنما هو حال الضعيف الذى لا يقدر عن أن يدفع عن نفسه ما يصاب به من شرور المجتمع . ومن ثم لم يكن حال الأنبياء ، ولا حال ورتهم الصادقين كبار النفوس أولى العزم والاحتمال . وفي الحديث الصحيح « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » خير لنفسه ، لأنه يزداد إيماناً وتقوى بأمرهم ونهيهم ، ويزداد يقظة وقوة وصلاحاً بتجنب ما يرى ويعلم من فسادهم وتحكم أهوائهم في عقولهم ودينهم ؛ فإن التزم أهل الخير جميعاً العزلة فمن للناس يبلغهم عن الله إذا انكش الذين يقولون عن أنفسهم إنهم صالحون ؟ ومن ينكر المنكر إذا هرب من الميدان من يزعمون أنفسهم أنهم المتقون ؟ أليس بهذه العزلة والانكماش يجد شياطين الفساد الميدان خالياً فيغلبوا حتى على من زعموا أنفسهم هاربيين وفارين بالعزلة من الميدان ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما السبب الذى يوجب الاعتزال عن العالم كافة : فهو ما عرفتهم به من وجود دَفْنِ الخير ، ونشر الشر ، يدفنون الحسنة ، ويظهرون السيئة . فإن كان المرء عالمًا بدَعْوِهِ ، وإن كان جاهلاً عَيَّرُوهُ ، وإن كان فوقهم حسدوه ، وإن كان دونهم حَقَرُوهُ ، وإن نطقوا قالوا : مهذار ، وإن سكتوا قالوا : عَيْبٌ ، وإن قَدَّرَ قالوا : مُقَدَّرٌ ، وإن سمحوا قالوا : مبذر ، فالنادم فى العواقب ، المحطوط عن المراتب ، من اغتر بقوم هذا نَعْتُهُمْ ، وغره ناس هذه صفتهم .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرنى أحمد بن محمد بن بكر الأبنواوى عن داود ابن رشيد ، قال : حدثنى إبراهيم بن شماس قال : قال لى الأكَاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرور « يا إبراهيم ، صحبتُ الناس خمسين سنة ، فلم أجد أحداً سترلى عورة ، ولا وصلنى إذا قطعتة ، ولا أمنتها إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حمق كثير »

وأشدنى محمد بن المهاجر المعدل لعلى بن حجر السعدى :

زمانك ذا زمان دخول بيت      وحفظ للسان ، وخفض صوت  
فقد مرَّجتْ عهد الناس إلا      أفلهم ، فبادر قبل قوت<sup>(١)</sup>  
فما يبقى على الأيام شيء      وما خلق امرؤ إلا لموت  
أخبرنا يعقوب بن إسحاق القاضى حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على نافع عن مالك بن أنس « أنه بلغه عن أبي ذر قال : كان الناس ورعاً لا شوك فيه ، فهم اليوم شوك لا ورع فيه »

أنبأنا محمد بن أبى علي الخلابى حدثنا جنيد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان ابن أبى شيخ قال : كان القحذمى ينشد كثيراً :

ذَهَبَ الحُسْنُ والجمال من الناس ، ومات الذين كانوا ملاحا

(١) مرجت : اختلطت ، فلم يدر صادق العهد من مائه

وَبَقِيَ الْأَسْمَجُونَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ إِنَّ فِي الْمَوْتِ مِنْ أَوْلَيْكَ رَاحًا<sup>(١)</sup>  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن البشر محبوبون على أخلاق  
متباينة ، ورشيم مختلفة ، فكل واحد يحب أتباع مساعدته ، وترك مباعده ، فتنى  
رام من أخيه ضد ما وطن نفسه عليه قلاه<sup>(٢)</sup> ، وإذا تبين له منه خلاف ما أضمر  
عليه قلبه ماله ، ومن الملال يكون الاستئصال ، ومن الاستئصال يكون البغض ، ومن  
البغض تهيج العداوة ، فالاشتغال بمن هذا نعتة للعاقل حق .

ولقد أحسن النباجي حيث يقول :

أرفض الناس ، وكل مشغله قد يحل الناس بمثل خردله

\* لا تسأل الناس وسأل من أنت له \*

وأشدني ابن أبي علي قال : أنشدني محمد بن يعقوب العبدى :

إذا قلت : هذا صاحب قدر ضيقه وقرت به عيناي ، بدأت أخرا

وذلك : أنى لا أصاحب صاحباً من الناس إلا خائى وتغيراً

أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا أبو  
مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال مكحول « إن كان في مخالطة الناس  
خير فالعزلة أسلم » .

أبانا علي بن سعيد العسكري حدثنا شعيب بن يحيى حدثنا أحمد النسائي  
حدثنا يحيى بن عبد الأعلى أن مالك بن دينار كان يقول « من لم يأنس بحديث  
الله عن حديث الخلوقين فقد قلَّ علمه ، وعمى قلبه ، وضع عمره »

أبانا القطان حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا محمد بن روح قال : سمعت

(١) بقى : هذه لفة طيء ، يفتحون ما انكسر قبل الآخر من المعتل فتقلب

ياؤه ألفاً ، فيقولون : رضى ، وبقى ، وفنى ، وما أشبه ذلك .

(٢) قلاه : كرهه ، ومضارعه يقلوه ويقليه .

إبراهيم البخاري يقول : « دخلت المسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا فضيل جالس ، فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : رأيتك وحدك ، فجلست إليك ، قال : تحب أن تتعاب ، أو تتزين ، أو ترى ؟ قلت : لا ، قال : قم عنى »

### ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخالص

أبنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء ، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصَّعب بن جَمَّامة <sup>(١)</sup> .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يفُقل عن مؤاخاة الإخوان ، وإعداده إياهم للنوائب والحدثان ؛ لأن من تعرَّى عن موضع سلوته بأخيه عند الموم والعموم ، كان عقله إلى التقديح أقرب ، ومن النماء أنقص .

ولقد أبنا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني حدثنا يزيد ابن خالد الرملى حدثنا سهيل أبو عمرو قال قال محمد بن واسع « لم يبق من العيش إلا ثلاث : الصلاة فى الجماعة ، ترزق فضلها ، وتكفى سهوها . وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه مِنَّة ، ولا لله عليك فيه تَبعة <sup>(٢)</sup> . وأخ محسن العشرة ، إن رُغْتَ قَوْمك » .

أبنا عبد الرحمن بن عبد المحسن بمرجان حدثنا محمد بن عبد الله القصار

---

(١) روى البخارى ومسلم وأبو داود عن أنس قال « حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا مرتين أو ثلاثا » (٢) أى : تبعة كبيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله مهما رأيتها صغيرة ، فإن الله يحاسب عليها ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره )

أبنا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات : محادثة الإخوان ،  
وأكل القديد ، وحكُّ الجرب <sup>(١)</sup> .

أبنا محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران  
الضبي :

وما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكف بالعضم  
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يعد في الأوداء إخاء  
من لم يؤاته في الضراء ، ولم يشاركه في السراء ، ورب أخى إخاء خير من أخى  
ولادة ، ومن أتم حفظ الأخوة تفقد الرجل أمور من يوده .  
والودُّ الصحيح هو الذى لا يميل إلى نفع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمنٌ ،  
كما أن البغضاء خوف .

والعاقل لا يؤاخى إلا من خالفه على الهوى ، وأعان على الرأى ، ووافق سره  
علانيته ، لأن خير الإخوان من لم يناقش ، كما أن خير الثناء ما كان على أفواه  
الأخيار ، والمستوخم <sup>(٢)</sup> لا يؤلف كما أن غير الثقة لا يؤد ، فتى ما آخى المرء من  
لم يصفه بالوفاء يجب الاستظهار عليه بمن يسليه عنه ؛ لأن التودد ممن  
لا يود يعد ملقاً ، ولا يفوت الإنسان في الأخوة أحد رجلين : إما أريب قصر  
في حقوقه فاغتاله بمكر ، وإما جاهل لم يصفه فيؤذيه بسوء معاشرته ، وصيانة  
الأخوة ليست إلا في الاستغناء عن الإخوان .

(١) أما محادثة إخوان الصفاء والصدق فنعمة ، وأما أكل القديد فلا يكون لدينا  
إلا عند الحمصة والفقر ، ونعوذ بالله من الفقر ، وأما الجرب فنسأ الله العافية ،  
فماذا في هذين من لذة ؟

(٢) الأرض الوخيمة والوخمة : الرديئة الناخ السبخة التربة التى لا ينجع كلؤها .  
ورجل وخيم : ردىء الطبع ثقيل النفس سيء الخلق .

ولقد أحسن العباس بن عبيد بن يعيش حيث يقول :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا      وأخ أبوه أبوك قد يحفوكا  
صاف الكرام إذا أردت إخوانهم      وأعلم بأن أبا الحفاظ أخوكا  
كم إخوة لك لم يلدك أبؤهم      وكأما آباؤهم ولدوكا  
لو كنت تحملهم على مكروهة      تخشى الختوف<sup>(١)</sup> بها لما خذوكا  
وأقارب لو أبصروك معلقاً      بنياط قلبك ثم ما نصروكا  
الناس ما استغيت كنت أخاهم      وإذا افتقرت إليهم فضحوكا

أخبرنا القطان بالرقه حدثنا أحمد بن إسماعيل السني حدثنا عبد الرزاق عن  
معمر قال « دخلت على قتادة وأنا ظمان ، وفي الحجره حب<sup>(٢)</sup> ماء ، فقلت :  
أشرب من مائك هذا ؟ قال : أنت لنا صديق . »

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن ( أو صديقكم ) يقول : لا يستأذن .

أبنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا علان بن المغيرة البصرى حدثنا عمرو  
الناقد حدثنا ابن عيينة عن أيوب السخيتاني أنه قال « يزيدنى حرصاً على الحج  
لقاء إخوانى لى لا ألقاهم بغير الموسم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من  
المؤاخاة ليس الاجتماع والمواكلة والمشاركة ، والسراق يداخلون الرجال على  
التقارف<sup>(٣)</sup> ، ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المؤاخاة التي يجب

(١) الختوف : المنايا والممالك ؛ واحداها حتف ، بفتح فسكون

(٢) الحب - بكسر الحاء المهملة - الحجره الكبيرة

(٣) التقارف : أى على قصد الإثم والعدوان

على المرء لزومها مشى القصد<sup>(١)</sup> وخفض الصوت، وقلة الإعجاب، ولزوم التواضع، وترك الخلاف.

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيرمهم<sup>(٢)</sup> : لأن المرء إذا كثر معته ربما ضجرت أمه فتلقيه .  
ولا ينبغي أن يذم أخاه شيئا يحتاج إليه ليحبر به مصيبته ، أو يفرج به كربته .

والعاقل لا يؤاخى لثيما ؛ لأن اللثيم كالحية الصماء<sup>(٣)</sup> لا يوجد عندها إلا اللدغ والشم ، ولا يصل اللثيم ، ولا يؤاخى إلا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يود الكريم على لثية واحدة<sup>(٤)</sup> ، ولو لم يلتقيا بعدها أبدا .

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان بن عيينة عن يونس بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة فقيل له : ابن عوف لم يأتك ، فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يضره أن لا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ، ويراعى محوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة ؛ لأن من استضعف الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرا ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجهوده في تحوها .

(١) أى الوسط ، الذى وصف الله به عباد الرحمن بقوله ( ٢٥ : ٦٣ الذين يمشون على الأرض هونا ) والذى ذكره الله من وصايا لقمان بقوله ( ٣١ : ١٩ ) واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ) والذى حذر الله من ضده فى وصايا الحكمة بقوله ( ١٧ : ٣٧ ) ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا )

(٢) يرمهم : يملهم ويستهمهم .

(٣) الصماء : التى لا تستجيب لرؤية الراقى .

(٤) اللثية : المرة من اللقاء

لأنه لا خير في الصدق إلا مع الوفاء ، كما لا خير في الفقه إلا مع الورع ، وإن  
من أحرَقَ الحَرْقِ التماسَ المرءِ الإخوانَ بغيرِ وفاءٍ ، وطلبَ الأجرَ بالرياءِ ، ولا شيءَ  
أضيقَ من مودةٍ تمنحُ مَنْ لا وفاءَ له ، وصنيفةٍ تصطنعُ عندَ مَنْ لا يشكرها .

وأنشدني الخلابي قال : أنشدني محمد بن محمد البكري :

احذر مودة ماذق<sup>(١)</sup> خلط المرارة بالحلاوة

يحصي الذنوب عليك أيام الصداقة بالعداوة

وأنشدني محمد بن إبراهيم البصري - بصور - لنفسه :

لا يقرنك صديق أبدا لك في النظر ، حتى تخبره

كم صديق كنت منه في عمي غراني منه زمانا منظره

كان يلتاني بوجه طلق وكلام كاللآلي ينثره

فإذا نشته عن غيبه لم أجد ذلك لوذي يضره

فدع الإخوان إلا كل من يضر الود كما قد يظهره

فإذا فزت بمن يجمع ذا فاجعلنه لك ذخرا تذخره

أنبأنا القطان بالرقبة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى المكي عن  
يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال « وضع عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة ، كلها حكم ، قال : ما كافات من يعصى الله  
فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه  
ما يغلبك ، ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شرًّا ، وأنت تجد لها في الخير محملاً ،  
ومن تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن ، ومن كتم سره كانت الخيرة<sup>(٢)</sup> »

(١) الماذق : الذي لا يخلص الود ، بل يمزجه بغايات ومقاصد شخصية

(٢) الخيرة - بوزن عيبة - ما يختاره بمشيئته ، يقصد : أنه إذا أفضى سره كان

أمره بيد من أفضاه إليه ، لا بيده هو ، فلم يكن له مشيئة

في يديه ، وعليك ياخوان الصدق فعش في أكنافهم<sup>(١)</sup> ، فإنهم زينة في الرخاء ،  
وعُدَّة في البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ، ولا تعرَّضُ لِمَا لَا يَعْنِيكَ ،  
ولا تسأل عما لم يكن ، فإن فيما كان سُغْلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجتك إلى  
من لا يحب لك نجاحها ، ولا تصحبن الفاجر فتعلم فجوره ، واعتزل عدوك ، واحذر  
صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشي الله ، وتخشع عند القول ، وذلل عند  
الطاعة ، واعتصم عند المعصية ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله ؛ فإن الله  
يقول ( ٣٥ : ٢٨ ) إنما يخشى الله من عباده العلماء .»

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يؤاخي إلا إذا فضل في الرأي والدين  
والعلم والأخلاقِ الحسنة ، ذا عقل نشأ مع الصالحين ؛ لأن صحبة ببيد نشأ مع  
العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

ورأس المودَّة الاسترسال ، وأقمتها اللالة ، ومن أضع تَعَهَّدُ الود من إخوانه  
حُرْمَ ثمرة إخوانهم ، وآيس الإخوان من نفسه ، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد  
الودَّ يُوشِكُ أن يبقى بغير أخ ، كما أن من ترك نزع الماء إشفاقا على رِشائه<sup>(٢)</sup>  
يُوشِكُ أن يموت عطشا .

والعاقل يستخبر أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ، ومن أصحَّ الخيرة للمرء  
وجود حالته<sup>(٣)</sup> بعد هيجان الغضب .

أبنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا عبد الله بن الضحاك  
الهدادي حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال : قال لقمان لابنه « يا بُنَيَّ  
إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصفك عند غضبه  
وإلا فدعه » .

(١) الأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية .

(٢) الرشاء : الحبل الذي يخرج به الدلو من البئر

(٣) يعني وجود حالته في الود بعد هيجان الغضب كحالته فيه عند الرضا

أبنا محمد بن صالح الطبري حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا داود بن يحيى ابن اليمان عن أبيه عن سفيان قال « اصحب من شئت ، ثم أغضبه ، ثم دسَّ إليه مَنْ يسأله عنك » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم ينصفك عند غضبه لم تودك<sup>(١)</sup> أيامه ، وليس الصديق كالمرأة يطلقها المرء إذا شاء<sup>(٢)</sup> ، والجارية يبيعها متى أحبَّ ، لكنه عرضة ومروءته ؛ فالتبُّ والاثناد أولى به من التهاجر والانقطاع ، ومن غاب عنه أخوه فلا يغب عما يجب له عليه ، وليكثر منهم عدَّة للشدائد ، لأنَّ الشَّعْرَ مع دِقَّتِه إذا جمع عُمل منه الحبل الغليظ الذي يَقهر القيل المغتم<sup>(٣)</sup> ، ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزدرد ريقاً .

- 
- (١) كذا بالأصل . ولعله يقصد لم يأنك من أيامه ما توده وتريده من الإخاء
- (٢) غالى الشيخ فى الخط من منزلة الزوج ، وكيف ومن لم يتخذ الزوجة على الصداقة والمودة ، فلم يتزوج كما شرع الله ؛ فإنه سبحانه يقول ( ٣٠ : ٢١ ) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ) وأكد فى كثير من آى الذكر الحكيم من حق الزوج ما لم يؤكّد من حق الصديق ، وأين الصديق من الزوج التى يقول فيها ( ٢ : ١٨٧ هـ لباس لكم وأنتم لباس لهن ) ويقول ( ٤ : ٢١ ) وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظاً ! ) والزوج أحق أن تكون عرض الرجل ومروءته ، ويسير عليك أن تستبدل صديقاً بصديق ، وأعسر العسر أن تستبدل زوجاً مكان زوج - وقد ارتبطنا بعلائق من الأولاد وغيرها . ما لا يوجد مثلها ولا بعضها فى الصديق - فواجب العاقل : أن يتأنى ويتفحص ويتثبت فى اختيار الزوج ما لا يلزم بعضه فى اختيار الصديق ، والسعادة بالزوج الوفية الصالحة القاتنة الحفيظة للغيب أضعاف أضعاف السعادة بأوفى الأصدقاء ، وأخلص الأوداء
- (٣) الاغتلام : شدة توران الشهوة فى الفحل للضراب ، وتشدد شراسة الفيل وغيره من الفحول عند ذلك .

وأشدنى الخلاصى قال : أشدنى محمد بن محمد البكرى لصالح بن  
عبد القدوس (١) :

إذا كان ودّ المرء ليس بزائد على «مرحباً» أو «كيف أنت؟» وحالكا  
أو القول «إني واثق لك ، حافظ» وأفعاله تُبدي لنا غير ذلك  
ولم يك إلا كائناً أو محدثاً قفّ لودّ ليس إلا كذلك  
ولكن إخاء المرء من كان دائماً لدى الودّ منه حيثما كان سالكا  
أخبرنا أبو يعلى حدثنا عنى بن الجعد حدثنا سفيدان الثوري عن شعبة قال :

خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه فقال « أنتم جلاء حزنى »

أخبرنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف  
عن شيبه بن أبي مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان « لم يبق من  
لذات الدنيا إلا ثلاث : مجالسة النسوان ، وشمّ الولدان ، ولقئ الإخوان »

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصرى حدثنا خالى هارون  
ابن سعيد حدثنا خالد بن نزار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال « إن كنت  
لأننى الأخ من إخوانى فأكون بلقيّة عاقلاً أياماً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى  
كتاب « مراعاة العشرة » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

فأوجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شىء يعدل محبة الإخوان ،  
ولا غم يعدل غمّ فقدم ، ثم يتوفى جهده مفسدة من صافاه ، ولا يسترسل إليه فيما  
يشينه ، وخير الإخوان من إذا عظمته صانك ، ولا يعيب أخاه على الزلة ؛ فإنه  
شريكه فى الطبيعة ، بل يصفح ، ويتنكب محاسنة الإخوان ؛ لأن الحسد للصدىق  
من سقم المودة كما أن الجود بالمودة أعظم البذل ؛ لأنه لا يظهر ود صحيح من قلب  
سقيم ، وليحذر المرء فى إخوانه ألمّ التثقيب على أخيه ؛ لأن من ثقل على صديقه

(١) سبيد أولها وثالثها مع بيتين آخرين فى ص ١١١ .

خَفَّ عَلَى عَدُوهِ ، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعُونَةِ عَلَى تَسْلِيَةِ الْمَهْمِ الْإِضْمَارُ بِالْقَضَاءِ ، وَلَقِيَ  
الْإِخْوَانَ .

أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ هَلَالِ الْعَقْبِيِّ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَرَزِيِّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَنِيِّ عَنْ سَفْيَانَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ « مَا مَاءُ الْعَيْشِ ؟ قَالَ : لِقَاءُ الْإِخْوَانِ »  
حَدَّثَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ عَنْ  
ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ قَالَ سَفْيَانُ : « لَرَبَّمَا لَقِيتُ الْأَخَّ مِنْ إِخْوَانِي ، فَاقْتَمِمْ شَهْرًا  
عَاقِلًا بَلَقَانَهُ » .

وَأُنْشِدُنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَبْرَشُ :

اسْتَكْرَهْتُمْ مِنَ الْإِخْوَانِ بِنَهْمٍ خَيْرٌ لِكَاثِرِهِمْ كَثْرًا مِنَ التَّهْبِ  
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَوْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ وَجَدْتَهُ لَكَ خَيْرًا مِنْ أُخَى النِّسْبِ  
وَأُنْشِدُنِي السَّكْرِيزِيُّ :

مِنْ خَيْرٍ مَا حَزُنْتَهُ وَوَدَّ لَدَيْ كَرَمٍ يَجْزِيكَ مَا عَشْتِ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا  
تَلْقَى بَشَاشَتَهُ فِي قَرْبِهِ ، وَإِذَا أَنَالَ نَالَكَ مِنْهُ الْبِرُّ مَا كَانَا

أَبْنَانَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَلِيمَانَ يَقُولُ  
« كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي بِالْعِرَاقِ ، فَأَعْمَلُ عَلَى رُؤْيَيْهِ شَهْرًا » .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدٍ  
أَبُو فَرَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَبِيعَةُ « الْمَرْوَةُ مَرْوَةٌ تَانُ : فَلِلْمَرْوَةِ مَرْوَةٌ ، وَالْحَضْرُ مَرْوَةٌ ؛  
فَأَمَّا مَرْوَةُ السَّفَرِ فَبِذْلِ الزَّادِ ، وَقَالَةُ الْخَلَّافُ عَلَى أَصْحَابِكَ ، وَكَثْرَةُ الْمَزَاحِ فِي  
غَيْرِ مَسَاحِطِ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا مَرْوَةُ الْحَضْرِ فَالْإِدْمَانُ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ فِي  
اللَّهِ ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ »

ذَكَرَ كِرَاهِيَةَ الْمَعَادَاةِ لِلنَّاسِ

أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ - بَيْرُوتَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ

مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول شيء نهاني عنه ربي - بعد عبادة الأوثان - لعنُ الحخير ، ومُلاحاة الرجال »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن من يوكِّدُه لم يحسده ، ومن لم يحسده لم يعاده ؛ فيكون للعدو المكاتب أشدَّ حذراً منه للعدو المبارز ، ومن وجد عنده مغترّاً ، وكان ممن لا يغفوا ، ثم لا ينتصف منه ؛ أصابته الندامة ، والرأى إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود ، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها .

أبانا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو الأعمور عن إسماعيل قال « لا تشتريَّ عداوة رجل بمودة ألف رجل »

وأشدني عمرو بن محمد قال : حدثنا العلابي ، قال : أشدني مهدي بن سابق : تكثر من الإخوان ما سطمت إنهم عماد إذا استجدتهم وظهور وليس كثيراً ألف خلٍ لصاحب وإن عدواً واحداً لكثير قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل أن يكافئ الشر بمثله ، وأن يتخذ اللعن والشم على عدوه سلاحاً ؛ إذ لا يستعان على العدو بمثله إصلاح الصيوب ، وتحصين العورات ، حتى لا يجد العدو إليه سبيلاً .

والعاقل لا يرحم من يخافه ، ولا يترك إحصاء معائب العدو ، ويفقد عثراتهم مع السكوت عن ثلبيته ، ولا يستضعف عدواً بحيلة ؛ فإن من استضعف الأعداء اغتر ، ومن اغتر لم يسلم ، اللهم إلا أن يكون العدو ذليلاً ؛ فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء ؛ لأن العدو لذليل أهل أن يرحم ، كما أن المستجير الخائف أهل أن يؤمن ، والمعادة للعاقل خير من المصافاة للجاهل .

وَأُنشِدُنِي الْخِلَادِيَّ أَنْشِدُنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ :

وَلَمَنْ يَعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ      مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحْمَقًا      إِنْ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

وَأُنشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَنْجِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ :

أَخْلَقُ بَدَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ      وَمُدْمِنِ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ  
أَبْصِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا      فَمَنْ عَلَا قَلَّةً عَنِ الْغِرَّةِ زَجَا (١)  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يبصر مواضع خطواته قبل أن يضعها ،  
ثم يقارب عدوه بعض المقاربة ، لينال حاجته ، ولا يقاربه كل المقاربة فيجترأ  
عليه ، والعاقل لا يعادي ما وجد إلى المحبة سبيلا ، ولا يعادي من ليس له منه بد ،  
ولا العدو الحنق الذي لا يطاق ؛ فإنه ليس له حيلة إلا الهرب منه ، وحيلة السبيل  
إلى القدرة على العدو وجود الغرّة فيه ، وأن يرى العدو أنه لا يتخذة عدواً ،  
ثم يصادق أصدقاؤه ، فيدخل بينه وبينهم .

وأحزم الأمور في أمر العدو : أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة ، وإن من  
أسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض ، وإن مما يستعين به المرء على عدوه :  
مجانبة من يعاشره ، ويصحب عدوه .

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال : سمعت  
محيي بن معين يقول : قال ابن السماك « لا تخف ممن تحذر ، ولكن احذر  
ممن تأمن » .

وَأُنشِدُنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيُّ :

---

(١) يقول : إن من يمشى على غير تبصر ، فمهما بلغ من العلو ولو إلى قمة الجبل  
وهي قمته فلا بد أن تزل قدمه ، فيخر ، فلعله أن يتحطم .

تمتبت أن أبقى معاني ، وأن أرى علي من يناوئني تدوير الدوائر (١)  
فيصبح مخذولا ، وأمسي سائلا إلى الله داعٍ بالكفاية ناصر

سمعت محمد بن محمود يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت الفضل  
ابن موسى الشيباني يقول « كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح ، قال : فجعلت  
الرياح تُدخِلُ في عينيه الغبار ، فتذرقان ، فكُلما صاد عصفورا كسر جناحه  
وألقاه في ناموسه ، فقال عصفور لصاحبه : ما أرقه علينا ، ألا ترى إلى دموع  
عينيه ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموع عينيه ، ولكن انظر إلى عمل يديه »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ، إن كان  
بعيدا لم يأمن مغادرته ، وإن كان قريبا لم يأمن موافقته ، والعاقل لا يخاطر بنفسه  
في الانتقام من عدوه ؛ لأنه إن هلك في قصده قيل : أضاع نفسه ، وإن ظفر  
قيل : القضاء فعله .

والمعاداة بعد الحجة فاحشة عظيمة ، لا يليق بالعاقل ارتكابها فإن دفعه الوقت  
إلى ركوبها ترك للصلح موصعا .

وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي الأسود الدؤلي :

وأحب إذا أحببت حُبًا مُقاربا      فإنك لا تدري : متى أنت نازع ؟  
وأبغض إذا أبغضت غيرَ بجانب      فإنك لا تدري : متى أنت راجع ؟  
وكن معدنًا للحلم ، واضفح عن الأذى      فإنك راء ما عملتَ وسامع

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

(١) يناوئني : يناوئني . والناوأة : الخصامة . يقول : إنه طالما تمنى أن يعيش معاني  
وأن يرى دوائر الهلاك تدور على أعدائه ومناوئيه . والخليق بالمؤمن : أن يتبع الخير  
والعافية والصلاح لنفسه وأحبابه وأعدائه ومناوئيه . كما كان النبي صلى الله عليه وسلم  
يقول في شأن أعدائه - وهم حريصون على قتله - « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »

إذا أنت عادت امرءاً بعد خلة فدمع في غد للعود والصلح موضعاً  
فإنك إن نابذت من زلّ زلةً ظلت وحيداً لم تجد لك مفرعاً  
أنا نانا محمد بن إسحاق الثقفى حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرني يونس  
ابن يزيد عن ابن شهاب قال « اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوماً عند  
عائشة ، فجلسا في حجرتها ، وبينها وبينها الحجاب ، فسألا عائشة شعراً وحديثاً ،  
ثم قال مروان :

ومن يشاء الرحمن يخفي بقدرة وليس لمن لم يرفع الله رافع  
وقال ابن الزبير :

وقوض إلى الله الأمور إذا اعترت وبالله لا بالأقربين تدافع<sup>(١)</sup>  
وقال مروان :

وداؤ ضمير القلب بالبر والتقى ولا يستوى قلبان قاسٍ وخاشع  
وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكلمٌ عتلٌ ، لأرحام الأقارب قاطع  
وقال مروان :

وعبد يجافى جنبه عن فراشه بيت يناسج ربه وهو راكع  
وقال ابن الزبير :

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب الجماع  
وقال مروان :

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع  
قال : فسكت ابن الزبير ، فلم يجب مروان بشيء .

(١) في الأصول « فدافع » ولا تستقيم قافيته مع قافية بقية الأبيات ، ونحسبه  
محرفاً عما أثبتناه .

فقال عائشة : « يا عبد الله ، مالك لم تجب صاحبك ، والله ما سمعتُ تجاوبَ

رجلين تجاولا نحو ما تجاولتا فيه أعجب إلى من مجاولتكما »

قال ابن الزبير : إني خفت عَوَلَ<sup>(١)</sup> القول ، فكففت .

فقال عائشة : « إن لمروان في الشعر ما ليس لك »

أبنا محمد بن المنذر ، حدثنا عصام بن الفضل الداري ، حدثني الزبير بن بكار .

عن محمد بن حرب ، قال : قال عبد الله بن حسن لابنه محمد « إياك ومعاداة الرجال

فإنها لا تعدمك مكر حليم ، أو مباداة<sup>(٢)</sup> جاهل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يُعَادِي على الحالات كلها ، لأن العداوة

لا تخلو من أن تكون لأحد رجلين : إما حليم لا يؤمنُ مكره ، أو جاهل لا يؤمن

شتمه ، ولا يجب على العاقل - إذا عادى - أن يُقره إحصانه إلى عدوه ما يرى

من سكونه إليه ، فإن الماء وإن أطيل إسخانه ، ليس بمانعه ذلك من إطفاء النار

إذا صبَّ عليها ، ولا يجب أن يعظم عليه حمله عدوه على عاتقه إذا وثق بحسن

عاقبته ، لأن اللين والمكر أنكى في العدو من النفاظة والمكابرة . ألا ترى

النار مع حرها لا تحرق من الشجرة إلا ما ظهر ، والماء مع برده ولينه يستأصلها ،

ومجانبة المرء عدوه في العشرة أحدُ الأعوان عليه عند الفرصة .

كما أبنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا العتيبي عن أبيه

قال : قال الأحنف بن قيس « من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه » .

وأنشدني الأبرش :

لا تخافن إن رماك عدو بعيوب ، إذا تكون برياً

إنما العيب أن يكون مُحِقّاً في الذي قاله ، ولست نقيّاً

(١) العول : الميل في الحكم إلى الجور . والعول : النقصان أيضاً .

(٢) المباداة : البذاءة والسفه بالسباب والشتم .

فإذا كان كاذباً كنت بالصدق على العائب الكذوب جريئاً  
ولقد يُلزِق العدو يجنب المرء عيباً تخالفه مَكُوناً

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يغيره إزاق العدو به العيوب والقبائح .  
لأن ذلك لا يكون له وقع ، ولا لكثرة ثبات ، ولا يلتذ المرء ما كان عدوه باقياً  
كما لا يجد السقيم طعم النوم والطعام حتى يبرأ .  
وأشد مكيذة العدو ما يعمل فيك من سبيل مأمئك ، والغالب بالشر مغلوب  
وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخدمه ، وتوقيه  
إيام على المعائب والزلات .

أخبارنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي  
عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني إذا أردت أن  
تفيظ عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا »

### ذكر الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان النسائي ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، حدثنا  
أبي عن شعبة عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم « مثل المجلس الصالح مثل العطار ، إن لم ينلْك منه أصابك  
من ريحه ؛ ومثل جلس السوء مثل القَيْن ، إن لم تصبك ناره أصابك شره »<sup>(١)</sup>

(١) العطار : بائع العطر . والقَيْن ، بالفتح : الحداد . والحديث رواه البخاري ومسلم  
عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل المجلس الصالح  
والجلس السوء : كحامل المسك ، ونافع الكير . كحامل المسك : إما أن يحذيك ،  
وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة . ونافع الكير : إما أن يحرق  
ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » . و « يحذيك » أى يعطيك بدون ثمن .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: العاقل يلزم صحبة الأخيار ، ويفارق صحبة الأشرار ؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها ، بطيء انقطاعها . ومودة الأشرار سريع انقطاعها ، بطيء اتصالها . وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جنتهم .

فالواجب على العاقل أن يحتب أهل الريب ، لئلا يكون مريباً . فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير ، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر .  
وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادي :

عليك ياخوان التفات ؛ فإنهم قليل فصلهم دون من كنت تصحب  
ونفسك أكرمها ، وصنّها ؛ فإنها متى ما تجالس سفة الناس تغضب  
سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت سفيان  
ابن عيينة يقول « من أحب رجلاً صالحاً فإنما يحب الله تبارك وتعالى »  
أنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن الصقر السكري ، حدثنا  
وهب بن محمد بن منبه البناني ، قال : سمعت الحارث بن وجيه يقول : سمعت  
مالك بن دينار يقول « إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خيراً من أن تأكل  
الحبيص<sup>(١)</sup> مع الفجار » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يدنس عرضه ، ولا يعود نفسه أسباب  
الشر بلزوم صحبة الأشرار ، ولا يفضى عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة  
الأخيار ، على أن الناس عند الخيرة يتبين منهم أشياء ضد الظاهر منها .  
أشدنى علي بن محمد البسامي :

وقل ما حلوتى كلام امرئ إلا كان مرّ الفعّال

(١) الحبيص : نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطاً بالسمن .

وربما اخلو لي كلامُ الفتى وكان محموداً على كل حال  
فكلُّ هذا أنت راء إذا تصاحبُ الناس ، وتبلى الرجالُ

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي ، حدثنا نصر بن علي ، أنبأنا نوح  
ابن قيس ، حدثنا حوشب عن الحسن في قوله ( ٢٥ : ٦٣ ) وعباد الرحمن الذين  
يمشون على الأرض هونا ) قال « حُلماء علماء ، صَبْرٌ ثَبَّتْ <sup>(١)</sup> إن ظالموا لم يظلموا  
وإن بُغِيَ عليهم لم يبغيوا ، قد برأهم الخوف كأنهم القداح »  
أنبأنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا شجاع  
ابن أبي نصر أبو نعيم القاري عن أبي عمرو بن العلاء ، قال « رأيتُ سعيد بن جبير  
وأنا جالس مع الشباب ، قال : ما يجلسك مع الشباب ؟ عليك بالشيوخ »  
أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة عن  
سفيان عن أبي المحجَّل عن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال : قال أبو الدرداء  
« لصاحبٌ صالحٌ خيرٌ من الوحدة ، والوحدة خيرٌ من صاحبِ السوء ، ومملى  
الخير من الساكت ، والساكت خيرٌ من مملى الشر » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يصاحب الأشرار ؛ لأن صحبة صاحب  
السوء قِطْمَةٌ من النار ، تُعَقَّب الضغائن ، لا يستقيم وده ، ولا يفى بعهده .  
وإن من سعادة المرء خصالاً أربعا : أن تكون زوجته موافقة ، وولده أبرارا ،  
وإخوانه صالحين ، وأن يكون رزقه في بلده .  
وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرا تكون مجالسة الكلب خيرا من عشرته ،  
ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ، كما أن من يدخل مداخل السوء يئثم .

---

(١) صبر - بضمين - جمع صبور ، وثبت - بضمين - جمع ثبت ، وضم  
فتشديد الباء مفتوحة جمع ثابت مثل راعٍ وراكع . وبرايم : أي آتعلهم وأهزلهم .

وما أشبه صحبة الأشرار إلا بما أنشدني منصور بن محمد الكريزي .  
فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيداً<sup>(١)</sup> ضربت الخير يومامع الشر  
ولو كان لاخيراً ولا شر عنده رضيتُ أعمري بالكفاف مع الأجر  
ولكنه شرٌّ ، ولا خيرَ عنده وليس على شرِّ إذا طال من صبر  
أخبرنا إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا  
ابنُ عُلَبة عن يونس عن الحسن قال « أيها الرجل ، إن أشد الناس عليك فقداً  
لرجلٍ إذا فزعت إليه وجدت عنده رأياً ، ووجدت عنده نصيحة ، بينما أنت كذلك  
إذا فقدته ، فالتمت منه خلفاً فلم تجده .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ، حدثنا  
عبد الله بن سليمان ، قال : قال جعفر بن محمد « من كان فيه ثلاث فقد وجب له  
على الناس أربع : إذا خالطهم لم يظلمهم ، وإذا حَدَّثهم لم يكذبهم ، وإذا وعدهم  
لم يُخلفهم . وعلى الناس : أن يظهروا عدله ، وأن تكمل فيهم مروءته ، وأن يجب  
عليهم أخوته ، وأن يحرم عليهم غيبته .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

احب خيار الناس أين لقيتهم خيرُ الصحابة من يكون ظريفاً  
والناس مثلُ دراهم مَيزتها فرأيت فيها فِضةً وزُيوفاً  
أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا إسماعيل بن  
عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول « إن الله ليحفظ  
بالعبد الصالح القبيل من الناس »

(١) العتيد : الملازم ، يقول : لو كان عنده شيء من الخير لذهب خيره بشره ،  
فكان كفافاً .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعيز بالله من صحبة مَنْ إذا ذكر الله لم يُعنه ، وإن نسي لم يذكره ، وإن غفل حرصه على ترك الذكر .  
ومن كان أصدقاؤه أشراطاً كان هو شرهم ، وكما أن الخير لا يصحب إلا البررة ، كذلك الردى لا يصحب إلا الفجرة ؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات ، لأن محمد بن عثمان العقبى قال : حدثنا أحمد بن داود البصرى ، حدثنا ابن عائشة قال : قال عبد الواحد بن زيد « جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم ، فإن كنتم لا بد فاعلمين ، فجالسوا أهل المروءات ، فإنهم لا يرفثون<sup>(١)</sup> فى مجالسهم »

### ذكر كراهية التلون فى الوداد بين المتواخين

أبانا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان ، حدثنا إبراهيم الحوراني ، حدثنا بكار بن شعيب ، حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا خير فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا رزقه الله ودَّ امرئ مسلم صحيح الوداد محافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن صرَّمه ، وعلى الإقبال عليه إن صدَّ عنه ، وعلى البذل له إن حرَّمه ، وعلى الدنو منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تلونه فى الوداد .

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وكم من صديق ودَّه بلسانه خؤون بظهر الغيب لا يتقدم

(١) الرفث : الفاحش من القول ، وما يتعلق بالنساء وأسرارهن .

يضاحكني كرهاً فكيف أودّه وتتبّعني منه إذا غبت أسهم  
أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثني بن أبي شيبه ، قال : قال الأصمعي :  
قال رجل من الأعراب « من أعجز الناس من قصر عن طلب الإخوان ،  
وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم . وإنما يحسن الاختيار لغيره  
من أحسن الاختيار لنفسه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يقصر في تعاهد الوداد ، ولا يكون  
ذالونين ، وذالقلين ، بل يوافق سره علانيته ، وقوله فعله ، ولا خير في متأخين  
ينمو بينهما الخلل ، ويزيد في حالهما الدغل .

كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لحا الله<sup>(١)</sup> من لا ينفع الودُّ عنده      ومَنْ حَبَلَهُ إِنْ مُدَّ غَيْرُ مَتِينٍ  
ومن هو ذو لونين ليس بدائم      على الوصل خَوَانٌ لِكُلِّ أَمِينٍ  
ومن هو ذو قلبين ، أما لقاءه      فحُلُوهُ ، وأما غيبه فظنّين  
ومن هو إن تُحَدِّثَ له العينُ نظرةً      يُقَطِّعُ بِهَا أسبابَ كُلِّ قَرِينٍ  
وأنشدني عمرو بن محمد النسائي لابن الأعرابي :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها      من الشَّناءة<sup>(٢)</sup> ، أو وِدِّ إذا كانا  
إن البغيض له عين يصد بها      لا يستطيع لما في الصدر كتماناً  
العين تنطق والأفواه ساكنة      حتى ترى من ضمير القلب تبياناً  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

(١) لحا الشجرة يدحوها : قشر لحاها ، ولحاها الله لحيا : أى قبحه وامنه . كذا

في اللسان .

(٢) الشناءة : البغض والكراهية .

وجارٍ لا تزالُ تزورُ منه قوارصُ لا تنامُ ولا تُنمِ (١)  
قريب الدار نأى الوَدِ منه معاندةً ، أبت لا تستقيم (٢)  
يبادر بالسلام إذا التقينا وتحت ضلوعه قلب سقيم  
أنبأنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأبنوي عن  
هشام بن عبد الملك اليزني ، قال : قال المقنع الكندي :

ابلُ الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمنَ أمورهم وتفقد (٣)  
فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى فيه اليدين قريرَ عينٍ فاشدُدِ  
ومتى يزل ، ولا محالة ، زلةً فعلى أخيك بفضل رأيك فاردد  
وإذا الخنى نقض الحبي في موضع ورأيت أهل الطيش قاموا فاقمُدِ

أخبرنا عبد الله بن قُحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي  
عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني عليك بالحبيب  
الأول ، فإن الآخر لا يعدله »

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثني محمد  
ابن حسين قال « كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة  
ونصيحة ، فاتخذ الأعرابي من عدده للشدائد إذ حَزَب الأعرابي أمر ، فأتاه ،  
فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابي ، فأنشأ يقول :

(١) يقول : ورب جار لا يزال يبعث إلى بالمولات من القول ، والسلب  
والتفويض حتى أقض مضجعي ، فلا قوارص تنام يوماً بل هي مستمرة ، ولا هي  
تركني أنام .

(٢) يقول : إن شره وأذاه أسرع إلى كل من كان أقرب منه ، من أجله  
المعاندة والمكايذة بفعل ذلك .

(٣) ابل الرجال : اختبرهم وامتنحهم .

إذا كان وُدُّ المرءِ ليس بزائد  
علي «مرحباً» أو «كيف أنت» وحالكم؟<sup>(١)</sup>  
وليك إلا كاشراً، أو محدثاً  
فأفٍ لودٍ ، ليس إلا كذلك  
لسانك معسولٌ ونفسك بشّة  
وعند الثريا من صديقك مالكا  
وأنت إذا هممت يمينك مرّة  
لتفعل خيراً ، قاتلتها شمالكا  
سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال  
محمد بن حازم :

وإن من الإخوانِ اخوانَ كَثْرَةٍ  
وإخوان «حيّك الإله» ، و«مرحباً»  
وإخوان : كيف الحال والأهل كله؟  
وذلك لا يسوى فقيراً مترّباً  
جواد إذا استغنيت عنه بماله  
يقول : إلى القرض ، والقرض فاطلباً  
فإن أنت حاولت الذي خلف ظهره  
وجدت الثريا منه في البعد أقرباً  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يصادق المتنون ، ولا يؤاخى المتقلب ،  
ولا يظهر من اللوداد إلا مثل ما يضر ، ولا يضر إلا فوق ما يظهر ، ولا يكون  
في النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لا يحمّد  
من الإخاء ما لم يكن كذلك .

وأنشدني محمد بن المنذر وأنشدني محمد بن خلف التيمي ، أنشدني رجل  
من خراعة :

وليس أخى من ودّنى بلسانه  
ولكن أخى من ودّنى فى النوائب  
ومن ماله مالى ، إذا كنت معدّماً  
ومالى له ، إن عَصَّ دهرٌ بغارب  
فلا تحمّدن عند الرخاء مؤاخياً  
فقد تُنكر الإخوانُ عند المصائب  
وما هو إلا كيف أنت ومرحباً  
وبالبيض رَوّاعٌ كروغ الثعالب<sup>(٢)</sup>

أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام  
ابن عروة عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة « أحب خليلك و خليلك إليك »

(١) قدم أولها وثانها مع بيتين آخرين في ص ٩٧ (٢) أراد بالبيض الدراهم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه : ملاحظة العين إذا لحظت ، فإنها لا تكاد تبدى إلا ما يضر القلب من الود ، ولا يكاد يخفى ما يجنه الضمير من الصد ، فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ، ويجعل له بينهما مسلكا لا يردده عن معرفة صحته شيء تخيله .  
ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي ، حدثنا علي بن محمد اللذهبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدي وعن إبراهيم بن شكلة<sup>(١)</sup> قال « إعلم أن من أظهر ماتحب أو ماتكره فإنما لك أن تقيس ما أضر قلبه بالذى أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر ضميره ، فعامله على نحو ما يبدى لك لسانه » وفي ذلك أقول :

ليس المسيء إذا تغيب سوءه      عنى بمنزلة المسيء المعلن  
من كان يظهر ما أحب فإنه      عندى بمنزلة الأمين المحسن  
والله أعلم بالقلوب ، وإنما      لك ما بدا لك منهمم بالألسن  
ولقد يقال خلاف ذلك إنما      لك ما بدا لك منهمم بالأعين

غير أن خالى خالفنى فى ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادة على مافى القلوب من الألسن . وكتب فى ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدا لى من صدك ، ما آيسنى من ودك ، ولم يزل يخبرنى لحظك ، ماتضر لى من بفضك » وكتب فى أسفل ذلك :

وما أحب إذا أحببت مكتما      يبدى العداوة أحيانا ويخفيها  
تظل فى قلبه البغضاء كامنة      فالقلب يكتمها والعين تبديها  
والنفس تعرف فى عيني محددتها      من كان من سلمها أو من أعادها  
عينك قد دلتنا عيني منك على      أشياء لولاهما ما كنت أدريها

(١) شكلة - بكسر الشين وفتحها - أمه ، وهو إبراهيم بن المهدي العباسي .

أخبرنا الخلابي ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفي ، حدثنا محمد بن صالح البغدادي قال : سمعت إبراهيم الحنجني يقول « دلائل الحب تعرف في المحب ، وإن لم ينطق لسانه »

### ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السخيتاني ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي ، حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال : قال علي « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : سبب ائتلاف الناس واقترانهم - بعد القضاء السابق - هو تعارف الروحين ، وتناكر الروحين ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحبنى ، قالوا : وما علمك ؟ قال : إني لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وأشدني محمد بن أبي علي الخلابي ، أنشدني أحمد بن محمد بن بكر الأبناعي .

إن القلوب لأجناد مجندة  
لله في الأرض بالأهواء تعترف  
فما تعارف منها فهو مؤتلف  
وما تناكر منها فهو مختلف

أنبأنا ابن مكرم بالبصرة، حدثنا بشر بن الوليد، حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قيادة في قول الله تعالى (١١: ١٢٠) إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم) قال: للرحمة والطاعة، فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة، وإن تفرقت ديارهم، وأهل معصية الله قلوبهم مختلفة، وإن اجتمعت ديارهم.

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي:

فما تُبصر العينان والقلب آلف ولا القلب والعيان منطبقان  
ولكن هاروحان تَعْرِضُ ذِي لَذَى فيعرف هذا ذِي فيلتقيان .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه: إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من قلبه وسكونه: هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده، لأن المرء على دين خليله، وظير السماء على أشكالها تقع.

وما رأيت شيئاً أدلَّ على شيء، ولا الدخان على النار، مثل الصاحب على الصاحب. وأنشدني الأبرش:

يقاس المرءُ بالمرء إذا ما هو ماشاه  
وذو العَرِّ إذا ما احتسك ذا الصحة أعداه<sup>(١)</sup>  
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه  
وللروح على الروح دليل حين يلقاه

حدثنا أبو خليفة، حدثنا محمد بن كثير العبدى، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن هيرة، قال: اعتبر الناس بأخذانهم<sup>(٢)</sup>.

(١) العر - بضم العين المهملة - الجرب. يقول: إن الصديق يعدى صديقه كما يعدى الأجرى السليم.

(٢) اعتبر: قس، والأخذان: جمع خدن - بالكسر - وهو الصديق.

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأخباري ، حدثنا محمد بن صالح المدوي، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبعي قال: سمعت أبي يقول: سمعت مالكا يقول « الناس أشكال كأجناس الطير ، الحمام مع الحمام ، والغراب مع الغراب ، والبطة مع البطة ، والصَّعُو مع الصَّعُو<sup>(١)</sup> وكل إنسان مع شكله » وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

يزين الفتى في قومه ويشينه وفي غيرهم : أخذائه ومداخله  
لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشاكله

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :  
إن كنت حلت ، وبي استبدلت مطرًا ودًا ، فلم تأت مكروها ولا بدعا  
فكل طير إلى الأشكال موقعها والفرع يجري إلى الأعراق منتزعا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يجتنب مماشاة المريب في نفسه ، ويفارق صحبة المتهم في دينه ؛ لأن من صحب قوما عرف بهم ، ومن عاشر امرأ نُسب إليه ، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله ، فإذا لم يجد المرء بدا من صحبة الناس تحرم صحبة من زانه إذا صحبه ، ولم يشنه إذا عرف به ، وإن رأى منه حسنة عدّها ، وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكت عنه ابتداء ، وإن سأله أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها . وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرني محمد بن يعقوب البغلاني ، حدثني عبد الصمد بن الفضل حدثنا الحسين بن سهل التياس عن أبي عبيدة قال « تكلم عصفور في بني إسرائيل مع قنخ ، فقال العصفور : انحناؤك لماذا ؟ قال : من العبادة . قال : دفنك في التراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال : هذا لباسي . قال :

(١) الصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس .

ما هذا الطعام؟ قال : هذا أعددتُه لعابر السبيل . قال : فتأذن لي فيه ؟ قال :  
نعم . قال : فنقر العصفور نقرَةً فأخذ بعنقه ، فجعل العصفور يقول : شَغْ شَغْ  
شَغْ . وقال : والله لا يغرنى قارىء بعدك أبداً .

وأنشدني محمد بن أبي علي لابن أبي اللقيش :

إن كنت تبغى العلم أو نحوَه أو شاهداً ينخبر عن غائب  
فاعتبر الأَرْض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

تَعَارَفُ أرواحُ الرجال إذا التقوا فمنهم عدو يُتَقَى و خليل  
كذلك أمور الناس والناس منهم خفيف إذا صاحبتَه وثقيل

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

اجعل قرينك مَنْ رضيت فعاله واحذر مقارنة القرين الشائن  
كم من قرين شائن لقرينه ومُهَجِّنٍ منه نكل محاسن  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ، فإذا  
ازداد به علماً ازداد به عجباً ، ومنهم من يبغضه حين يراه ، ثم لا يزداد به علماً  
إلا ازداد له مَقْتاً ، فانفاقهما يكون بانفاق الروحين قديماً ، وانفراقهما يكون  
بالانفراق ، وإذا اثنلنا ثم افتراقاً فإراق حياة من غير بُغض حادث ، أو فراق  
مات ، فهنالك الموت الفظيع ، والأسف الوجيع ، ولا يكون موقف أطول عُمةً ،  
وأظهر حسرةً ، وأدوم كآبةً ، وأشد تأسفاً ، وأكثر تلهفاً من موقف الفراق  
بين المتواخين ، وما ذاق ذائق طعماً أمراً من فراق الخللين ، وانصرام القرينين .

حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول : سمعت

جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول :

لن يلبث القراء أن يتفرقوا ليل يَكِرُّ عليهم ونهار  
أنيابنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري ، حدثنا  
الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن موسى أبو غزية قال : كان أبو العتاهية إذا  
قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج فودعني ، وقال :  
إن نَعِشْ نَجْتَمِعْ ، وإلا فإشغَلْ من مات عن جميع الأنام  
حدثنا محمد بن أبي علي ، قال : أنشدنا محمد بن موسى السمرى ، أنشدنا  
أحمد بن عبد الأعلى الشيباني :

فياعجبا من يَمُدُّ يمينه إلى إلفه عند الفراق ، فيسرع  
ضعفتُ عن التوديع لما رأيته فصالحته بالقلب ، والعينُ تدمع  
وأنشدني ابن فياض للبحترى :  
الله جارك في انطلاقتك تلقاء شامك ، أو عراقك  
لا تَعُدَّنِي في مسية رى حيث سرت ، ولم ألاقك  
إني خشيت مواقفا للبين نسفح غرب ماوقك<sup>(١)</sup>  
وعدت ما يخشى الموَدَّع عند ضَمَك واعتناقك  
فتركت ذلك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك  
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

أفي كل يوم حَيَّةَ البين تفرع وعيني لبين من ذوى الود تدمع  
فلا النفس من تهيأها مستفيضة ولا بالذى يأتي به الدهر تقنع<sup>(٢)</sup>

(١) تسفح : تريق . والغرب : الدلو الكبير ، والملاق : الموق ، شبه موق عينه بالدلو  
الكبيرة لكثرة ما يندرف من الدموع عند الفراق .

(٢) التهيأ : الهيام ، وهو شدة الحب ، ووقع في الأصل « تهمامها » وأحسبه  
محرفاً عما أثبت .

وأنشدني محمد بن بندار بن أصرم :

أيقلبُ لاجزع من البين ، واصطبر  
فليس لما يُقضى عليك بدافع  
توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً  
يُجرك ، ودغني من نحوس الطوابع  
وكل الذي قد قدّر الله واقع  
وما لم يُقدّره فليس بواقع  
وأنشدني عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسي لنفسه :

نطقت مدامعه بما في قلبه  
وعن الجواب لسانه لا ينطق  
فكأنه مما يقاسي قلبه  
دنفٌ مريض أو أسير مُوثق  
وكأنما الأشجان في أحشائه  
لفراق أهل الود نارٌ تحرق  
كيف السلوة ، وهل له من سلوة  
من بان عن أحبابه يتفرّق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق المتواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشيء على مضمحل الحشا بضد ما انطوى عليه قديماً ، فمن وُطن نفسه في ابتداء المعاشرة على ورود ضد الجميل عليها من صحبتته ، وتأمل ورود المكروه منه على غفلته ، لا يظهر الجزع عند الفراق ، ولا يشكو الأسف والاحترق ، إلا بمقدار ما يوجب العلم إظهاره .  
ولقد أولع بجماعة الفراق حتى إنهم خرجوا إلى ثلب الطيور ، ومدح الدمن<sup>(١)</sup> وتأولوا لعن نوح عليه السلام الغراب .

أبانا جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، بواسط ، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى الضبى ، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، حدثنا الجريري ، عن أبي السليل عن أبي سراوح قال « بعث نوح الغراب والحمامة حيث استقرت السفينة على الجودي ، يلتسان له الجُدَّ - يعنى الأرض - فأما الغراب فرأى جيفة فوق عليها

(١) الثلب : النقص والعيب والدم . والدمن : الأطلال وآثار الديار .

فأكل منها . وأما الحمامة فجاءت عاضةً على غصن شجرة بطين أحمر . قال :  
فدعا للحمامة بالبركة ، وأما الغراب فلعنه ، وقال له قولاً شديداً .

أبنا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين  
البعوي ، قال : قال سليم بن منصور « أمرت لُبْنَى فاشتري لها أربعة غربان ،  
فلما رأتهن صرخت وبكت ، وكتفتهن ، وجعلت تضربهن بالسوط حتى قتلتهن  
جميعاً . وأنشأت تقول :

لقد نادى الغراب بين لُبْنَى      فطار القلب من حذر الغراب  
وقال : غداً تُباينُ دار لُبْنَى      وتناهى بعد ود واقتراب  
فقلت : تعسيت ، ويحك من غراب      أكل الدهر سعيك في تباب  
لقد أولعت لا لقيت خيراً      بتفريق الحب عن الحباب

وأنشدني إبراهيم بن علي الطريقي ، قال : أنشدني علي بن إسحاق :

غراب البين ، ويحك صبح بقرب      كما قد صحت ويحك بالبعاد  
تفادي بالفرق كل يوم      فمالك بالتواصل لانتفادي ؟  
أراني الله ريشك عن قريب      تمرطه البزاة بكل وادي<sup>(١)</sup>  
كما أسخنت يوم البين عيني      وألقيت الحزازة في فوادي

أبنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، بهمدان ، حدثنا عبد الكبير بن محمد  
الأنسي ، حدثنا بعض أصحابنا ، قال : مررت بالبصرة على باب دار ، فإذا بصوت  
غراب يُجَلَد ، فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار ، وبين يديها جوار ، وهي

---

(١) المرط - بفتح الميم وسكون الراء - تنف الريش . والبزاة : جمع باز ،  
وهو من الطيور الكاسرة .

تأمر بجلده . فقلت : أما تتقون الله في هذا الغراب . فقلن لى : هذا الغراب الذى قيل فيه :

ألا ياغراب البين قد طرت بالذى أحاذر من لُبْنَى ، فهل أنت واقع ؟  
فقلت : ليس هذا ذاك الغراب . فقالت : والله ما نراك تأخذ البرى ، بالسقيم حتى تضفرَ بذلك الغراب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شا كل هذه الحكايات والأشعار على التقصى فى كتاب « الوداع والفراق » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب ؛ إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشىء المحصول ، والإيماء إلى الشىء المقول .

### ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا يزيد بن صالح الشكرى ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا زار أخا له فى قرية ، فأرصد الله على مدرجته ملكا <sup>(١)</sup> فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، فقال : هل لى عليك من نعمة تربتها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبه فى الله ، قال : إنى رسول الله إليك ، إن الله تبارك وتعالى أحبك كما أحبته »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للاخوان وتفقد أحوالهم ؛ لأن الزائر فى قصده الزيارة ، يشتمل على مصادفة معينين : أحدهما : استكمال الذخر فى الآجل بفعله ذلك . وقد قال بعض القدماء :- إن

---

(١) أرصده : أقامه ينتظره ويترقبه . والمدرجة : المسلك الذى يدرج فيه . وتربتها : أى تحفظها وتراعيها وتربتها كما يربى الرجل ولده .

الرجل إذا زار أخاه في الله ، لم يبق في السماء ملك إلا حيه بتحيةة مستأنفة لا يحيه ملك مثله ، ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادى صاحبها : ألا إن فلان بن فلان زار أخا في الله <sup>(١)</sup>

والآخر : التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور ، مع الانقلاب بغنيمتين معا .  
ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا عبد الله بن رجاء العدائي قال : كان عتبة الفلام يأوى المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثني بعض مشيختنا ، قال : قال عامر بن عبد قيس : إنما أجدني آسف على البصرة لأربع خصال : تجاوب مؤذنيها ، وظماء الهواجر ، ولأن بها إخواني ، ولأن بها وطني .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن بشر الخطابي ، حدثنا محمد بن سهل التميمي ، قال : سمعت الفريابي يقول : جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريق عليك ، ولكني أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندي ليلة ، وجاءني ابن المبارك ، وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس <sup>(٢)</sup> فأقام عندي ثلاثا ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم عندي عشرة أيام ، قال : لا ، الضيافة ثلاثة أيام .

---

(١) هذا من علم الغيب الذي لا ينبغي القول فيه إلا لله ولارسله . وإلا كان قولا على الله بغير علم . والله يقول ( ٧ : ٣٣ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن - إلى قوله - وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون )

(٢) إنما مواقيت الإحرام بالحج والعمرة كمواقيت الصلاة ، حددها الله على رسوله =

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس في الزيارة على ضربين :  
فمنهم من صحح الحال بينه وبين أخيه ، وتعزى عن وجود الخلل ، وورود  
البفض فيه ؛ فإذا كان بهذا النعت ، أحبت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط  
في الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعته لا يورث الملالة ،  
والإفراط في الاجتماع بين من هذه صفته يزيد في المؤانسة .  
والضرب الآخر : من لم يستحكم الود بينه وبين يواخيه ، ولا أداها الحال  
إلى ارتفاع الحسنة بينهما فيما يتبدلان لمهنتيهما ؛ فإذا كان بهذا النعت أحبت له  
الإقلال من الزيارة ؛ لأن الإكثار منها بينهما يؤدي إلى الملالة ، وكل مبدول  
مملول ، وكل ممنوع ملذوذ . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة  
تصرح بنفي الإكثار من الزيارة حيث يقول « زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا » إلا أنه لا يصح  
منها خبر من جهة النقل ، فتكينا عن ذكرها وإخراجها في الكتاب ، وإليها  
ذهب بعض الناس حتى ذكروها في أشعارهم .

من ذلك ما أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وقد قال النبي ، وكان بَرًّا ، إذا زرت الحبيب فزره غَيْبًا  
وأقلل زور من تهواه تزدد إلى من زرته مِقَّةً وحبا<sup>(١)</sup>  
وأنشدني محمد بن أبي علي :

إني رأيتك لي محبا وإليّ حين أغيب صَبًّا  
تعمدت لا ملالة حَدَّثْتُ ولا استحدثتُ ذنبا

== وبيته رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : ربنا سبحانه ( ٢ : ٢٢٩ ) ومن يتعد حدود  
الله فأولئك هم الظالمون ) وإنما أتى الأولون والآخرون من قبل التساهل في مثل هذا  
التعدى متوهمين أنه مبالغة في العبادة ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم  
( ١ ) المقة : شدة الاشتياق .

إلا لقول نبينا : زوروا على الأيام غيباً

أبنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيباني ، حدثنا سعيد ابن عنبسة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كل مودة لاتزداد إلا بالالتقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحح الحال بينه وبين الإخوان لم يضره قلة الاجتماع ، لاستحكام الحال بينهما ، والمودة إذا أضرَّ بها قلة الالتقاء تكون مدخولة ، وأما من لم يحلَّ في نفس صحة الحال ، ولم يستحکم أسباب الوداد ؛ فالتوقى من الإكثار في الزيارة أولى به ، لثلا يستثقل ويمل .

وأنشدني الخلابي ، أنشدني أحمد بن محمد الصيداوى :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا  
فإني رأيت القطر يسأم دائما ويسأل بالأيدى إذا هو أسكا  
وأنشدني الكريزي :

أقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجدته

إن الصديق يئله أن لا يزال يراك عنده

وأنشدني أوس بن أحمد بن محمد بن أحمد ، لأبي تمام :

وطول مقام المرء في الحى مخيق<sup>(١)</sup> لديباجتيه<sup>(١)</sup> ، فاغترب تعجده

فإني رأيت الشمس زبدت محبة إلى الخلق إذ ليست عليهم بسرمد

أبنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا حسين بن الوليد ، حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس « أكرم الناس على جلسى الذي يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلى » .

(١) الديباجتان : الحدان .

أنبأنا مكحول ببيروت ، حدثنا عبید بن محمد بن هارون ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة في قوله تعالى ( ٤٢ : ٢٦ ) ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ) قال : يشفعون في إخوانهم ( ويزيدهم من فضله ) قال : يشفعون في إخوان إخوانهم .

### ذكر صفة الأحمق والجاهل

أنبأنا محمد بن نصر بن نوفل ، أنبأنا أبو داود السنجي ، حدثنا أبو عاصم ، عن شبيل بن عذرة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المجلس الصالح مثل العطار ، إن لم يعطك شيئاً يُصَبِّك من عطره . ومثل المجلس السوء مثل القَيْن ، إن لم يَحْرِقْ ثوبك ، أصابك من دخانه »<sup>(١)</sup> قال أبو حاتم رضى الله عنه : شبيل بن عذرة هذا من أفاضل أهل البصرة وقرائهم ، ولكنه لم يحفظ إسناد هذا الخبر ؛ لأن أنس بن مالك سمع هذا الخبر من أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقصر به شبيل ولم يحفظه .  
والواجب على العاقل ترك صحبة الأحمق ، ومجانبة معاشرته التَّوَكِّي ، كما يجب عليه لزوم صحبة العاقل الأريب ، وعشرة الفطن اللبيب ؛ لأن العاقل وإن لم يصبك الحظ من عقله ، أصابك من الاعتبار به . والأحمق إن لم يُعَدِّك حمقه تدنست بعشرته .

ولقد أنبأنا الحسين بن محمد السنجي حدثنا إبراهيم بن أبي داود البرسلي حدثنا زهير بن عباد حدثنا شهاب بن خراش عن أبيه عن يسير بن عمرو - وكان قد أدرك الصحابة - قال : أهرج الأحمق ، فليس للأحمق خير من هجرانه .

(١) وقع هنا في المطبوعة السابقة أربع صحائف ليست من هذا الباب في شيء ،

أنتان، محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي حدثنا أحمد  
ابن إسحاق الخشاب عن الأصمعي عن سلمة بن بلال قال : كان فتى يعجب عليَّ  
ابن أبي طالب ، فرآه يوماً وهو يمشى رجلاً متهمًا ، فقال له :

لا تصحب الجاهل إِيَّاكَ وإياه  
فكم من جاهل أردى حلماً حين آخاه  
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه  
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه  
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه<sup>(١)</sup>

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اختر ذوى التميز واستبقهم وجانب النوكى وأهل الريب  
فصحبة العاقل زين الفتى وصحبة الأنوك أخذ السبب  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من علامات الحق التى يجب للعاقل تفقدها  
ممن خفى عليه أمره : سرعة الجواب ، وترك التثبت ، والإفراط فى الضحك ،  
وكثرة الالتفات ، والوقعة فى الأختيار ، والاختلاط بالأنرار .  
والأحمق إذا عرضت عنه اغتم ، وإن أقبلت عليه اغتر ، وإن حُلمت عنه  
جهل عليك ، وإن جهلت عليه حُلم عنك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن  
أحسنت إليه أساء إليك ، وإذا ظلمته انتصفت منه ، ويظلمك إذا أنصفته .

وما أشبه عشرة الحقى إلا بما أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

(١) فى نسبة ذلك الشعر إلى على رضى الله عنه نظر ، فلقد نحل كثيراً من  
الشعر والنثر ، بل ألصق به كثير مما فى كتاب نهج البلاغة ، وصفة البلاغة المحدثه ،  
وعقيدة الاعتزال صارخة منه بأن أكثر الكتاب من صنع الشريف الرضى أو آخر  
من شكله .

لى صديق يرى حقوقى عليه      نوافلات وحقه كان فرضا  
لو قطعت الجبال طولاً إليه      ثم من بعد طولها سيرت عرضاً  
لأى ماصنعت غير كبير      واشتهى أن أزيد فى الأرض أرضاً

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : قال لى أبو طاهر  
ابن السرح قال : حدثنى خالى أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد بن  
أبى أيوب قال : لا تصاحب صاحب سوء ، فإنه قطعة من النار ، لا يستقيم وده  
ولا ينى بعهد .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لن يسمع الأحمق من واعظ      فى رفعه الصوت وفى همسه  
لن تبلغ الأعداء من جاهل      ما يبلغ الجاهل من نفسه  
والحمق داء ، ماله حيلة      ترجى ، كبعد النجم فى لمسه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أظلم الظلمات الحق ، كما أن أفقد البصائر  
العقل ، فإذا امتحن المرء بعشرة الأحمق كان الواجب عليه لزوم لأخلاق نفسه ،  
والمباينة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الانتباه لما حرم  
غيره التوفيق له ، فإن جرى الأحمق فى صحبتته ميدانه فى عشرته فالواجب على  
العاقل لزوم السكوت حينئذ فى أوقاته ، لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف  
أنبأنا بنسأ حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا ابن داود قال : سمعت الأعمش  
يقول : السكوت للأحمق جواب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من الحق من لا يصدّه عن سلوكه  
السكوت عنه ، ولا يدفعه عن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه .  
فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نعمته تكلف بعض التجاهل فى الأحيان .

لأن بعض الحلم إذعان ، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل .  
ولقد أنشدني محمد ابن إسحاق الواسطي :

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج  
ولي فرس للحلم بالحلم ملجَم  
فمن شاء تقويي فإني مقوم  
ومن شاء تعويجي فإني معوج  
وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا أخوا  
ولكنني أرضي به حين أُخرج  
فإن قال بعض الناس : فيه سماجة ،  
فقد صدقوا ، والذل بالحر أسهج  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

ان تَرْضِي الرَّذْلَ إِلا حين تسخطه  
وليس يسخط إلا حين ترضيه  
ولا يسوءك إلا حين تكرمه  
ولا يسرك إلا حين تقصيه  
حدثنا أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو سفيان العمري عن سفيان  
الثوري قال : ابن آدم لم يخلق إلا أحمق ، ولولا ذلك لم ينفعه عيشه .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عصام بن الفضل الرازي حدثنا الزبير بن  
بكار عن محمد بن حرب قال : قال عبد الله بن حسن لابنه : يا بني احذر الجاهل ،  
وإن كان لك ناصحاً ، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً ؛ فيوشك الجاهل أن  
يورطك بمشورته في بعض اغترارك ، فيسبق إليك مكر العاقل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ومن شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ،  
والعجز ، والجهل ، والملقت ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ،  
والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغنى ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ،  
والبغضاء .

وإن من أعظم أمارات الحق في الأحمق لسانه ؛ فإنه يكون قلبه في طرف  
لسانه ، ، ما خطر على قلبه نطق به لسانه .

والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل ، ويتكلم في الساعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه باقل .

والعاقل يجب عليه مجانبية من هذا نعته ، ومخالطة من هذه صفته ، فإنهم يجترئون على من عاشرهم . ألا ترى الزُّطَّ (١) ليسوا هم بأشجع الناس ، ولكنهم يجترئون على الأسد لكثرة ما يرونها .

وأشدني محمد بن يوسف بن أيوب الأرمني :

وَأَكْبَرُ يَعَادِي عَاقِلًا خَيْرَ لَهْ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحْمَقًا إِنْ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

وأشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني أبي لصالح بن عبد القدوس :

احذر الأحمق أن تصحبه إنما الأحمق كالثوب الخلق

كلما رقعته من جانب حركته الريح وهنأ فانخرق

أو كصدع في زجاج فاحش هل ترى صدع زجاج يلتصق ؟

كحجار سوء ، إن أفضته (٢) رَمَحَ النَّاسَ ، وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ

وإذا جالسته في مجلس أفسد المجلس منه بالخرق

وإذا نههته كي يرعوى زاد شرا ، وتمادي في الحق

عجبا للناس في أرزاقهم ذلك عطشان ، وهذا قد غرق

أبنانا يعقوب بن إسحاق القاضي ، حدثنا أبو هاني عبد الحميد بن عبد الله

حدثنا عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : الأحمق كالثوب الخلق ، إن

رفأته من جانب انخرق من جانب آخر ، مثل الفخار المكسور ، لا يرقع ولا

يُسَمَّبُ ، ولا يعاد طينا .

(١) الزط : جنس من السودان والهنود طوال الأجسام مع تحافة .

(٢) أفضته : علفته القضم - بضم القاف وبتشديد الضاد - وهو نبت من الحمض

فهذا مثل الأحقق : إن صحبته عنك ، وإن اعتزلته شتمك ، وإن أعطاك من عليك ، وإن أعطيته كفرك ، وإن أسرَّ إليك اتهمك ، وإن أسررت إليه خانك ، وإن كان فوقك حقرك ، وإن كان دونك غمزك .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اعلم بأن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر  
فطنا بكل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

وإن عناء أن تفهم جاهلا فيحسب جهلا أنه منك أعلم  
وتشخص أبصار الرعاع تعجبا إليه ، وقالوا : إنه منك أفهم

(١) قال أبو حاتم رضي الله عنه : الأحقق يتوهم أنه أعقل من ركب فيه الروح ، وأن الحق قسيم على العالم غيره ، والأحقق مبنغص في الناس ، مجهول في الدنيا ، غير مرضى العمل ، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين ، كما أن العاقل محبب إلى الناس ، مسود في الدنيا ، مرضى العمل عند الله في الآخرة ، وعند الصالحين في الدنيا .

أنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، قال : كان الحسن يقول : أنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحقق المقبل .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

وما التقي إلا أن تصاحب غاويًا وما الرشد إلا أن تصاحب من رَشَدُ  
ولن يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

(١) من هنا يتبدى الكلام الذي نهنا على أنه وضع في ص ١٢٤ في الطبوعة

السابقة خطأ .

وأشدني على بن محمد البسامي :  
لنا جليس تارك للأدب جليسه من نوكه في تعب  
يغضب جهلا عند حال الرضا عمداً ، ويرضى عند حال الغضب  
فنحن منه كلما جاءنا في عجب قد جاز حدَّ العجب  
كأنه من سوء تأديبه أسلم في كتاب سوء الأدب  
أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربيعي ، حدثنا عبد الله  
ابن موسى البصري ، حدثنا العتبي ، قال : سمعت أعرابياً يقول : العاقل بخشونة  
العيش مع المعتلاء أسرُّ منه بليغ العيش مع السفهاء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : وإن من شيم العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ،  
والسكينة ، والوفاء والبذل ، والحكمة ، والعلم ، والورع ، والعدل ، والقوة ، والحزم ،  
والكياسة ، والتميز ، والسمت ، والتواضع ، والعمو ، والإغضاء ، والتعفف ،  
والإحسان ، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشدَّ يديه به ولا يزاله على الأحوال كلها  
والواجب على العاقل أن لا يضحك بحيلة من لا يستفيد منه خيراً .

وتقد أنبأنا محمد بن محمود بن عدي النسوي ، حدثنا علي بن سعيد بن جرير ،  
قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرت عن مالك بن دينار أنه قال : صررت  
بأهـب في صومعته فناديتـه ، فأشرف عليّ ، فكلمتـي وكلتـه ، فقال لي فيما يقول :  
إذا أستطعت أن تجعل فيما بينك وبين الدنيا حائطاً فافعل <sup>(١)</sup> ، وإياك وكلّ  
جليس لا تستفيد منه خيراً فلا تجالسـه ، قريبا كان أو بعيداً .

(١) وهذا بظاهره طلب المستحيل ، وهو من أحق الحق وأسفه السفه ، ولا يكون  
من الرهبان إلا ذلك ؛ فإنهم ابتدعوا عكس ما كتبه الله ، فقد كتب الله وقدر بحكمته  
البالغة . هذه الحياة الدنيا ، وجعلها للإنسان الطريق إلى الآخرة ، وذلك من إحسان  
الله بلاريب ، وأمرنا أن نحسن الانتفاع بها مؤمنين بأن الله الحكيم ما خلقها ولا

## ذكر الزجر عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أحمد الرقام بستري ، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تمسسوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا »

حدثنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقى ، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائى ، حدثنا محمد بن المبارك ، عن يونس بن نافع ، عن كثير بن زياد ، قال : سمعت الحسن يقول : لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء ، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس ، مع الاشتغال باصلاح عيوب نفسه ؛ فإن من اشتغل بعيوبه

---

== خلق شيئا في السموات والأرض باطلا ، بل كاه حق ، فنقدر لربنا ذلك ونضع كل شيء في موضعه ؛ فقد قال سبحانه ( ١٠ : ٢٦ ) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) ولقد عمى أوثاك الرهبان ومقلدوهم كل العمى فذهبوا متخبطين في مهامه العمى والفساد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، زعموا أنهم يقدرون أن يقهروا سنن الله ويقلبوها قهروهم وغلبيتهم ، والله ( ٦ : ١٨ ) هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ) فكان منهم أقسق الفسق ، وشر العصيان ؛ ولئن ضل رهبان النصارى لتبديل شريعة عيسى عليه السلام وتحريفها ، فما بال رهبان المسلمين ضلوا وراءهم ضلالا بعيدا ؟ وهذا كتاب الله محكمة آياته ، واضحة شرائعه ، بيضاء حججه ، قائمة صوابه ومعلله ، وهذا هدى رسول الله مصون محفوظ ، كأنه قائم بين الناس يحدتهم ويدعوهم إلى الهدى وإلى صراط الله المستقيم ؟ ولكن هو إبليس الغوى ، والتقليد الردى ، والغلو المفسد والهووى المتحيز ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ، وعليك بهدى رسول الله فهو خير هدى .

عن عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب قلبه ، فكلمنا اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عى قلبه وتعب بدنه ، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم ، وأعجزُ منه من عابهم بما فيه ، ومن عاب الناس عابوه ، ولقد أحسن الذى يقول :

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا  
وقد قال فى بعض الأقاويل قائل  
إذا ما ذكرتَ الناس فاترك عيوبهم  
فإن عبت قوما بالذى ليس فيهم  
وإن عبت قوما بالذى فيك مثله  
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه  
متى تلتمس للناس عيبا تجده لهم  
فسألهم بالكف عنهم ، فإنهم

عليك ، وأبدوا منك ما كان يُسترُ  
له منطوق فيه كلام مُحَبَّرُ  
فلا عيب إلا دون مامنك يُذكر  
فذلك عند الله والناس أكبر  
فكيف يعيب الثور من هو أعور؟  
أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكر؟  
عيوبا ، ولكن الذى فيك أكثر  
بعيبيك من عينيك أهدى وأبصر

حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا هارون بن صدقة القاضي ، حدثنا سعيد ابن مسلمة الأيادى ، قال : ادعت امرأة على رجل حمارا لها ، فقدمته إلى القاضي ، فسألها البينة ، فأحضرت أبا دلامة ورجلا آخر ، فقال لها القاضي : أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته ، فأتينا بشاهد آخر ، فأتت أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى القاضي ، وأنشأ يقول :

إن الناس عَطَوْنِي تَغَطَيْتُ عَنْهُمْ  
وإن حَفَرُوا بِئْرِي حَفَرْتِ بِئْرَهُمْ  
لِيَعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تَلِكِ النَّبَاتُ؟<sup>(١)</sup>  
فقال القاضي للمرأة : كم ثمن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتسبناها

(١) نبت التراب ونبشه : حفره يده وأثاره .

لك من مالى ، وأنشدنى السكرىزى :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذى هو فيه  
وما خير من تخفى عليه عيوبه ويبدوله العيب الذى لأخيه

حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عبدة للمصرى ، حدثنا الحسن بن  
واقع ، حدثنا ضمرة عن الشيباني ، قال : فى الكتب مكتوب : كما تدين تدان ،  
وبالكأس الذى تسقى به تشرب . وزيادة : لأن البادى لا بد له من أن يزداد .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : التجسس من شعب النفاق ، كما أن حسن الظن  
من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينفرد بغمومه وأحزانه ، كما  
أن الجاهل يسئ الظن بإخوانه ، ولا يفكر فى جنائياته وأشجانه .  
ولقد أحسن الذى يقول :

ما يستريح المسىء ظننا من طول غم ، وما يُريحُ  
وقلَّ وجه يضيق إلا ودونه مذهب فسّيحُ  
من خففَ الله عنه هبت من كل وجه إليه ريح  
والجسم حيث استقر هاد والروح جَوَّالة تسريح  
كم تذبُّح الأرض من بنيتها كلُّ بنيتها لها ذبيح  
لن يهلك المرء من سماح وقلَّما يُفلح الشَّحيح

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :

أحدهما : منهى عنه بحكم النبى صلى الله عليه وسلم .

والضرب الآخر : مستحب .

فأما الذى نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة ، على ما تقدم

ذكرناه .

وأما الذى يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبينه عداوة أو شحنة  
فى دين أو دنيا، يخاف على نفسه مكره؛ فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده  
ومكره؛ لئلا يصادفه على غرّة بمكره فيهلكه .

وفى ذلك أنشدنى الأبرش :

وحسن الظن يحسنُ فى أمور      ويمكن فى عواقبه ندامه  
وسوء الظن يسمج فى وجوه      وفيه على سماجته حزامه

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

ما ينبغي لأخى ودِّ وتجربة      أن يترك الدهرَ سوءَ الظن بالناس  
حتى يكون قريباً فى تباعده      عنا، ويدفعُ ضرَّ الحرص بالياس  
حدثنا محمد بن المنذر، حدثنا إبراهيم بن هانىء، حدثنا ابن أبى مریم، حدثنا<sup>(١)</sup>  
أبنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن  
عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب فى التوراة « من  
تَجَرَّ<sup>(٢)</sup> فَجَرَّ ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام فى الأخلاق  
والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون  
غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما طمَّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ،  
وكيف يستحسنُ مسلم ثلبَ مسلم بالشىء الذى هو فيه ؟

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لا تلتمس من مساوى الناس ماستروا      فيهِتِكَ الناس سترًا من مساويكا

(١) كذا بالأصلين ، وإلى هنا ينتهى الكلام الذى نهنا فى ص ١٢٤ على أنه  
وضع خطأ هناك فى المطبوعة السابقة .

(٢) أى صار تاجرًا ؛ واتخذ التجارة صناعته .

وإذا ذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تيب أحدًا عيبًا بما فيكما  
وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا ما انتقيت الأمر من حيث يُتقى وأبصرت ما تأتي ، فأنت لبيبٌ  
ولانتك كالناهي عن الذنب غيره وفي كفته مما يُذمُّ نصيبٌ  
يعيب فعال السوء من فعل غيره ويفعل أفعال الذين يعيب  
حدثنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن موسى السمرى حدثنا حماد بن  
إسحاق بن إبراهيم عن أبيه ، قال : وحدثني عزيز عن الزبير بن موسى الخزومي  
قال : قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهي زوجة طلحة بن عبد الله بن  
عوف لزوجها : مارأيتُ أحدًا قطُّ الأم من أصحابك ، قال : مه ، لا تقولي ذلك  
فيهم ، وما رأيت من لؤمهم ؟ قالت : أمراً والله بيننا ، قال : وما هو ؟ قالت :  
إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت جانبوك ، قال : ما زدتِ على أن وصفتهم  
بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتوننا في حال  
القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف منا عليهم .

### ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله ! - حدثنا بشر بن معاذ  
القعدي<sup>(١)</sup> حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« يهرم ابن آدم وتشب منه اثنان : الحرص ، والحسد » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ركَّب الله جل وعز في البشر الحرص والرغبة  
في الدنيا الفانية ، لئلا تخرب ، إذ هي دار الأبرار ، ومكسب الأتقياء ، وموضع  
زاد المؤمنين ، واستجلاب الميرة للصالحين ، ولو تعرَّى الناس عن الحرص فيها

(١) في نسخة « العقي » .

بطلت وخربت ، فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن اكتساب ما يُجدي عليه النفع في الآخرة نفلا ، والإفراط في الحرص مذموم ، كما أنشدني علي بن محمد البسامي :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببته أو كرهته  
لو إلى الأمور ، أختار منها خيرا لي عواقبا ما عرفته  
ولو أتي حرصت جهدي أن أدفع أمرا مقدرا ما دفعت به  
فأرى أن أرد ذلك إلى من عنده علم كل ما قد جهلته  
وأنشدني محمد بن نصر المديني :

يا كثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تبقى  
ما رأيت الحرص أدنى من حريص قط رزقا  
لا ، ولكن في قضاء الله : أن يعيا ويشقى  
تعرف الحق ، ولكن لا ترى للحق حقا

أبانا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا  
نعيم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخاء الناس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء  
البذل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء .

أنشدنا أبو يعلى قال : أنشدونا منذ دهر للشافعي :

قدر الله واقع حيث يقضى وروده  
قد مضى فيك حكمة وانقضى ما يُريده  
وأخو الحرص حرصه ليس مما يزيد  
فأرد ما يكون إذ لم يكن ما تريده

أبانا عبد الله بن عروة حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا ابن عليه عن أيوب  
عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريده فأرد ما يكون .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ،  
وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميراً ؛ لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن  
مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الجبن مقتلة ، ولو لم يكن فى الحرص خصلة  
تدم إلا طول المناقشة بالحساب فى القيامة على ما جمع لكان الواجب على العاقل  
ترك الإفراط فى الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما ينشد :

تجانب الحرص ، ودع عنك الحسد      ففيهما الذلُّ وإتعاَبُ الجسد  
وأشدنى الكريزى :

وأرقتى طولُ التفكيرِ إنى      عجبت لدهرٍ ما تُقضى عجائبه  
فكم عاجز يدعى جليداً لفسمه      ولو كلف التقوى لكلت مضاربه  
وعفٍ يسمى عاجزاً لعفافه      ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه  
فليس بحرص المرء أدركه الغنى      ولا باحتيال أدرك المال كاسبه  
ولكنه قبضُ الإله وبسطه      فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد فى الرزق ، وأهون ما يعاقب  
الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتعب فى طلب  
ما لا يدرى أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ؟ ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه  
واتكل على خالق السماء ، لأنحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه ، والظفر  
بما لوسعى فيه وهو حريص عسى لتمذر عليه وجوده .

وأشدنى على بن محمد البسامى :

الأربُّ باع حاجةً لا ينالها      وآخرُ قد تُقضى له وهو آيس  
يحاولها هذا ، وتقضى لغيره      وتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :  
وكم من أكلة منعت أخاها بلذة ساعة أكلاتٍ دهر  
وكم من طالب يسعى لشيء وفيه هلاكه لو كان يدرى  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص علامة الفقر ، كما أن البخل جلباب  
المسكنة ، والبخل لقاح الحرص ، كما أن الحمية لقاح الجهل ، والمنع أخو الحرص ،  
كما أن الأنفة توأم السفه . وأنشدني عمر بن محمد قال : أنشدني الغلابي :

لا تأتين نذالة لمنالة فليأتينك رزقك المقذور  
واعلم بأنك آخذ كل الذي لك في الكتاب مُحجَّر مسطور  
والله ما زاد امرءاً في رزقه حرصاً ، ولا أزرى به التقصير

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادى :

وأرض من العيش في الدنيا بأيسره ولا ترومن ما إن رُمته صعباً  
إنَّ الغني هو الراضى بعيشته لا من يظل على ما فات مكتئباً  
أنا محمد بن سعيد القرزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا  
أبو عبد الرحمن العتيبي حدثني أبي قال : اختصمت بنو إسرائيل في القدر ، خمسمائة  
عام ، ثم تحاكموا إلى عالم من علمائهم ، فقالوا له : أخبرنا عن القدر ، وقصر وبين  
لتفهمه عنك العوام ، فقال : حرمان عاقل ، وحظ جاهل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص ؛ إذ الحرص  
سائق البلايا ، فالواجب على العاقل أن لا يكون بالفرط في الحرص في الدنيا ؛  
فيكون مذموماً في الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون لبغيته  
نهاية يرجع إليها ؛ لأن من لم يكن لقصده [ منها ] نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه .  
فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذي يحمد .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

الحِرْصُ عَوْنٌ لِلزَّمَانِ عَلَى الْفَتَى وَالصَّبْرُ نَعْمُ الْقِرْنُ لِلزَّمَانِ  
لَا تَخْضَعَنَّ فَإِنْ دَهْرَكَ إِنْ رَأَى مِنْكَ الْخَضُوعَ أَمَدَهُ بَهْوَانٍ  
وَإِذَا رَأَاكَ وَقَدْ قَصَدْتَ لِمَرْفِهِ بِالصَّبْرِ ، لَأَقَى الصَّبْرَ بِالْإِذْعَانِ  
وَأَنْشَدَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُرَيْزِيُّ ، حَدَّثَنِي شُعَيْبُ بْنُ أَحْمَدَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ :  
لَا تَخْضَعَنَّ لِخَلْقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالذِّينِ  
وَأَنْشَدَنِي الْكُرَيْزِيُّ أَيْضًا ، أَنْشَدَنِي شُعَيْبُ بْنُ أَحْمَدَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ :  
قَدْ شَابَ رَأْسِي ، وَرَأْسُ الْحِرْصِ لَمْ يَشِبْ  
إِنَّ الْحَرِيصَ عَلَى الدُّنْيَا لَنِي تَعَبُ  
مَالِي أَرَانِي إِذَا حَاوَلْتُ مَسْرَلَةَ  
فَنَلْتَمَهَا طَمَحْتُ نَفْسِي إِلَى رَتَبِ  
لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي عَلَى وَجْهِي  
لَمْ أَشْفُ غِيظِي مِنَ الدُّنْيَا وَلَا كَلْبِي  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ ذَكَرْتُ مَا يَشَاكُلُ هَذِهِ الْحِكَايَاتُ بَعْلَهَا  
فِي كِتَابِ « الثِّقَّةُ بِاللَّهِ » بِمَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ غُنْيَةٌ لِمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى  
مَعْرِفَتِهَا ، فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ تَكَرُّرِهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ .

### ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالْبَغْضَاءِ

أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَكْرَمِ الْبَزَازِ بِالْبَصْرَةِ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الْفَلَّاسُ ،  
حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، حَدَّثَنِي عَطَاءٌ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ  
اللَّهِ إِخْوَانًا » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ مَجَانِبَةُ الْحَسَدِ عَلَى الْأَحْوَالِ

كلها : فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ما حكم الله  
جل وعلا لعباده ، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم ، والحاسد لا تهدأ  
روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيهات أن يساعد  
القضاء ما للحساد في الأحشاء .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلى حسن في مثله الحسد  
إن يحسدوني فاني لا ألومهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد  
أنا الذي وجدوني في صدورهم لا أرتقى صدراً منهم ولا أريد  
أنبأنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق ،  
عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلاً عند العرش فضبطه بمكانه ، فسأله  
عنه ، فقال : ألا أخبرك بعمله ؟ كان لا يحسد الناس علي ما آتاهم الله من فضله ،  
ولا يعق والديه ، قال : وكيف يعق والديه ؟ قال : يستسب لها حتى يسباً ، ولا  
يمشي بالنميمة .

أشدني ابن بلال الأنصاري :

عينُ الحسود عليك الدهر حارسةٌ تبدى مساويك والإحسان يحقيها  
فاحذر حراستها ، واحذر تكشفها وكن على قدرٍ ما توليك توليها  
أنبأنا عبد الرحمن بن زياد السكناني ، بالأبلة ، حدثنا أبو يحيى الضرير ، حدثنا  
موسى بن داود ، حدثنا ابن طبيعة عن كعب بن علقمة قال : قال عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه « ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسداً ، ولو كان المرء أقوم  
من القدح لوجدت له غامزاً ، وما ضرت كلمة لم يكن لها خواطب »

وأشدني على بن محمد البسامي<sup>(١)</sup> :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه      فالقومُ أُنْدَادُ له وخصوم<sup>(٢)</sup> .  
كضرائر الحسنة قلن لوجهها      حسداً وبعياً : إنه لدميم  
وترى اللبيب مُحسداً لم يَحْتَلِبْ      شتم الرجال ، وعرضه مشتوم

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا  
غسان بن المفضل ، أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد ، قال : قال ابن  
سيرين : ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة  
فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل  
النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحسد من أخلاق اللثام ، وتركه من أفعال  
الكرام ، ولكل حريق مطفيء ، ونار الحسد لا تطفأ .  
ومن الحسد يتولد الحقد ، والحقد أصل الشر ، ومن أضر الشرفى قلبه ،  
أنت له نباتاً مرّاً مذاقه ، نماؤه الفيظ ، وثمرته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه . فأما من  
رأى الخير في أخيه ، وتمنى التوفيق لمثله ، أو الظفر بحاله ، وهو غير مريد لزوال  
ما فيه أخوه ؛ فليس هذا بالحسد الذي ذُمر ونُهى عنه .

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه ، فكما أتمنعه الله بترداد  
النعم ، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم .

وقد كان داود بن علي - رحمة الله عليه ! - ينشد كثيراً :

(١) ثانياً هذه الأبيات ينسب لابن الرومي .

(٢) المحفوظ « فالقوم أعداء له وخصوم » .

إني نشأت وحسادي ذور عدد إذا المearج ، لا تنقص لهم عدا  
إني بحسدي على ما كان من حسن قتل خاتمي فيهم جر لي حسدا  
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا العلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ، أخبرنا عباد  
ابن عباد المهلب قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس  
إلى قدرك المدينة فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرائن تلقاها مُحسدة وإن ترى للثام الناس حسادا  
وأشدني الكريزي ، أنشدني محمد بن الحسين العمي :  
حسدوا النعمة لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلام  
وإذا ما الله أبدى نعمة لم يضرها قول حساد النعم  
سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدارمي يقول :  
سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول : كنا نتعلم في الكتاب - كما تتعلم أبو جاد<sup>(١)</sup>  
جهل نيسابوري ، ومخل مروزي ، وحسد هروي ، وطرم<sup>(٢)</sup> بلخي  
أبانا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثني أبي  
عن مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ما حسدت أحداً على  
دين ولا دنيا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد منه ؛  
لأنه مادام مشرفاً على ما خصصت به دونه لم يزد ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ،  
ونماء للحسد فيه .

فالعامل يكون على إماتة الحسد بما قدر عليه أحرص منه على تربيته ، ولا يجد  
لإماتته دواء أفع من البعاد ، فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على

(١) أبو جاد ، أو أبا جاد : حروف الهجاء .

(٢) الطرم : من . تطرم وهو الآليات في الكلام

خيانة ظهرت منك ، ولكن بحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما  
قال العتبي :

أفكر ماذنبى إليك ، فلا أرى نفسى جرماً ، غير أنك حاسدٌ  
وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حسدُ وله البغضاءُ من كل أحد  
وأرى الوحيدة خيراً للفتى من جليس السوء ، فأنهض إن قعدُ

وأشدنى محمد بن نصر المدينى الحبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت ، أتاح لها لسان حسود  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيبُ عَرَفِ العود<sup>(١)</sup>  
لولا التخوف للعواقب لم تزل الحاسد النعمى على المحسود  
أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا روح بن عبادة ،  
حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن ؟ قال :  
ما أنساك ! بنى يعقوب ، لا أبالك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن غم الحسد  
في صدرك ، فإنه لا يضرك ، ما لم يعد أسانك وتعمل به يدك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا خطر بباله ضربٌ من الحسد لأخيه  
أبلغ الجهود فى كتمانها ، وترك إبداء ما خطر بباله .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكتابة  
لا يحسدها إلا الكتابة ، كما أن الحجبة لا يحسدها إلا الحجبة ، ولن يبلغ المرء مرتبة  
من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها مَنْ يبغضه عليها ، أو يحسده فيها ، والحاسد  
خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكماً عند نائبة تحدث ؛ فإنه إن حكم لم يحكم

(١) العرف - بالفتح - الريح الطيبة ، والعود : أراد به العود الذى يتبخر به .

إلا عليه ، وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حظّه ، وإن أعطى أعطى غيره ، وإن قعد لم يقعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ، وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده .

فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبنى أعمامه .  
وتقد أنيانا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار قال : قال رجل لشبيب بن شبة : إني لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما علمك ؟ قال : لأنك لست بحار ولا ابن عم .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :  
أنت أمرؤ قَصَّرت عنه سرّوته      إلا من العِش للاخوان والحسد  
أأن تراني خيراً منك تحسدي ؟      إن الفضيالة لا تخلو من الحسد  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : بثس الشعار للمرء الحسد ؛ لأنه يورث الكمد ، ويورث الحزن ، وهو داء لا شفاء له .

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهت ، وإن رأى به عثرة شمّت ، ودليل ما في قلبه كمين ، على وجهه مبین ، وما رأيت حاسداً سألَ أحداً .  
والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس ؟ حسد آدم فكان حسده نكداً على نفسه ، فصار لعينا بعد ما كان مكيناً<sup>(١)</sup> ، ويسهل على المرء ترصّي كل ساخط

---

(١) لست أدري : علام أقام القائلون بمكانة إبليس : قولهم ؟ فمنهم من زعمه كان طائوس الملائكة ، ومنهم من زعمه ، كان زينة ساكني الجنة ، وغير ذلك من مقالاتهم . وهذا كتاب الله واضح الآيات وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلوة الصفحات ، لا نجد في شيء من ذلك على شيء مما قالوه عن إبليس ، ومن أصدق من الله قبيلاً ؟ وأعتقد أن للاسرائيليات يدا طائلة في تلك النوع التي خلعوها على إبليس . وكل ذلك من علم الغيب الذي لا ينبغي أن ننطق فيه إلا بكتاب الله ، أو بالصحيح الثابت من حديث رسول الله . والله أعلم .

في الدنيا حتى يرضى ، إلا الحسود ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسدَ من أجلها .

ولقد حدثني محمد بن عثمان العقدي<sup>(١)</sup> حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : أزمُ الناس للكآبة أربعة : رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط للأدباء وهو غير أديب ، وحكيم محتقر للأقوام ، وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله : جاهل ورث الضلالة عن أهله ، ورأس أهل ملته حظى فيهم بفضل الضلالة ، ومعظمٌ للدنيا يرى بهجتها دأمة محبوبة ، ويرى مارجى من خيرها قريبا ، وما صرف من شرها بعيدا ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجل خالط التساك فانصرف عنهم لحرصه وشرهه ، ودأجهم على مكر وخديعة .

### ذكر الحث على مجانبة الغضب وكرهية العجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزار بجند يسابور ، حدثنا محمد بن زياد الزيادي ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أن جابرا قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئا يارسول الله أدخل به الجنة ، ولا تُكثير عليّ ، لعلّي أعقلُ ، قال : لا تغضب » قال أبو حاتم رضى الله عنه : أحسن الناس عقلا من لم يحرد ، وأحضر الناس جوابا من لم يغضب .

وسرعة الغضب : أنكى في العاقل من النار في يَبَس العوسج ؛ لأن من غضب زأيله عقله ، فقال ما سؤلت له نفسه ، وعمل ما شأنه وأرداه .  
ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقدي<sup>(١)</sup> ، حدثنا إسحاق بن زكرياء البنانى

(١) في نسخة « العقبى » .

حدثنا عبد الصمد بن حسان ، حدثني وهيب قال : مكتوب في الإنجيل :  
ابن آدم ، أذكرني حين تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أحقك فيمن أحق؟  
وإذا ظلمت فلا تنتصر ، فإن نُصرتي لك خير من نصرتك لنفسك .

وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلا تمَّ إلا بشيمة      ولم أر عقلا صحَّ إلا على الأدب  
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم      عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : سرعة الغضب من شيم الحقى ، كما أن مجانبته  
من زى العقلاء .

والغضب بذر الندم ؛ فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح  
ما أفسد به بعد الغضب .

ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق التتفي ، حدثنا حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا  
بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه إنسان قال : بارك  
الله فيك !

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لم يأكل الناس شيئا من ما كلهم أحلَّ وأحمدَ عقباهُ من الغضبِ  
ولا تلحف إنسان بملحفة أبهى وأزينَ من دين ومن أدب  
أنبأنا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ،  
حدثنا ضمرة عن أبي سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على  
غلامه قال : ما أشبهك بمولاك ! أنت تعصيني وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه  
قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد

ماتهواه نفسه : أن يذكر كثرة عصيانه ربّه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه ولا يزرى بفعله الخروج إلى ما لا يليق بالعقلاء في أحوالهم ، مع تأمل وفور الثواب في العقبى بالاحتمال ونفى الغضب .

وأنشدني الأنصاري :

وكظمت الغيظَ أولى من محاولتي      غيظَ العدو يا ضراري يا يمامي  
لاخير في الأمر تُرديني مغتبه      يوم الحساب إذا مانصّ ميزاني

أبانا محمد بن المنذر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد العنبري قال : سمعت سالم ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفية فلا تجبهُ      فخير من إجابته السكوتُ  
سكتُ عن السفية فظنّ أنّي      عييت عن الجواب ، وما عييتُ  
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً      قذى في جوف عيني ما قذيتُ  
فلستُ مجاوبا أبداً سفياً      تخزيتُ لمن يجافيه خزيتُ

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنّ في أمرك ، وافهم عني      فليس شيء يعدلُ التأنّي  
تأنّ فيه ، ثم قل ، فإنّي      أرجو لك الإرشاد بالتأنّي

أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزبيري عن سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : أنشدني يونس بن إبراهيم بن محمد ابن طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تعجلْ على أحدٍ بظلم      فإن الظلم مرتعهُ وخيمُ  
ولا تفحش ، وإن مُلّيت غيظاً      على أحد ، فإن الفحش لومُ  
ولا تقطع أخاك عند ذنب      فإن الذنب يغفره الكريمُ

ولكن دار عوراهُ برفق كما قد يُرْفَعُ الخلق القديم  
ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبي سليم  
فما جَزَعُ بِمَعْنَى عَنْكَ شَيْئاً ولا ما فات تَرَجِعُهُ الهوموم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في الغضب خصلة تدم إلا إجماع  
الحكماء فاطبة على أن الغضبان لا رأى له لكان الواجب عليه الاحتمال لمفارقتة  
بكل سبب .

والغضبان لا يعذره أحد في طلاق ولا عتاق . ومن الفقهاء من عذَرَ السكران  
في الطلاق والعتاق ، والخلق محبوبون على الغضب والحلم معا ، فمن غضب وحلم  
في نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بمذموم ، ما لم يخرج غضبه إلى المكروه من  
القول والفعل ، على أن مفارقتة في الأحوال كلها أحد .

ولقد أنبأنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء قال :  
قال عبد الملك بن مروان : إذا لم يغضب الرجل لم يحلم ؛ لأن الحلم لا يعرف إلا  
عند الغضب .

### ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم  
حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال « جاء رجل  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمني عملا إذا أنا عملته أحبني  
الله ، وأحبنى الناس ؛ فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس  
يحبك الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة

بكال الإيأس عنهم ؛ إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر ، فكيف بما  
أنت شاك في وجوده أو عدمه ؟  
ولقد أحسن الذي يقول :

لأجعلنَّ سبيل اليأس لى سُبُلًا      ما عشتُ منك ، ودارَ أَلَمِّ أوطاننا  
والصبرُ أجعله غرماً أنال به      فى الناس قرَباً ، وعند الله رضوانا  
فالنفس قانعة ، والأرضُ واسعة      والدار جامعة مثنى ووحدانا  
وأشدنى عمرو بن محمد بن عبد الله النسائى قال : أشدنى الحسين بن أحمد  
ابن عثمان :

اليأس أدبى ورفَع همتى      واليأس خير مؤدب للناس  
إنى رأيت مواضع الطمع الذى      يضع الشريف مواضع الأخساس  
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :<sup>(١)</sup>

فأجمعتُ يأساً لا بُدَّ أنة بعده      ولليأس أدنى للعفاف من الطمع  
والنفس تطمع هشة إن أطمعت .      وتسال باليأس السلو فتقنع  
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى<sup>(٢)</sup> حدثنا يزيد بن عبد الصمد حدثنا يحيى بن صالح  
حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن عُمارة أنه قال لابنه : يا بني ، أظهر اليأس  
فإنه غنى ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى  
لذى طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف ، فطوبى لمن كان شعاراً قلبه الورع ،  
ولم يُعم بصره الطمع .

ومن أحبَّ أن يكون حُرّاً فلا يهوى ما ليس له ؛ لأن الطمع فقرٌ ، كما أن  
اليأس غنى ، ومن طمعَ ذلَّ وخضع ، كما أن من قنع عَفَّ واستغنى .

(١) البيتان الآتيان ليسا من بحر واحد ولا روى واحد لذلك فصلناهما

(٢) أنظر ص ١٤٥ السابقة .

ولقد أنشدني الكريزي :

لا خير في عزمٍ بغير رويةٍ      والشكُّ عجزٌ ، إن أردت سراحا  
والياس مما فات يُعقبُ راحةً      ولربَّ مَطْمَعَةٍ تعود ذباحا

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

فكنت لي أملاً دهرًا أطلبه      ففسيَّرته صُروفُ الدهرِ أطوارا  
صرفتُ بالياسِ عنه النفسَ فانصرفت      فما أبالي أقامَ الدهرَ ، أم سارا

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا عبد الله بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن  
سروان حدثنا محمد بن هاني الطائي قال : بعث أبو الأسود الدبلي إلى جاري يقترض  
منه ، فلم يقرضه ، واعتل عليه ، وكان حسن الظن به ، فقال أبو الأسود :

لا تُشعِرَنَّ النفسَ ياساً ، فإنما      يعيش بجِدِّ عاجزٍ وجليــــــــــــد  
ولا تطمئن في مال جارٍ لقربه      فكل قريب لا يُنال بعيدُ  
وقوض إلى الله الأمورَ ، فإنما      يروح بأرزاق العباد حدود

أنبأنا القطان بالرقعة حدثنا المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول :  
سمعت ابن السماك يقول : الرجاء حبل في قلبك ، وقيد في رجلك ؛ فأخرج الرجاء  
من قلبك ينفك القيد من رجلك .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الطمع غدة من قلب المرء له طرفان ، أحدهما :  
القيد في رجله ، والآخر : الطبع على لسانه ، فإدامت العقدة قائمة لا تنفك  
رجلاه ، ولا ينطق لسانه ؛ فإذا أخرج الطمع من قلبه انفك القيد من رجله ،  
وزال الطبع عن لسانه ، فسمى إلى ما شاء ، وقال ما أحب .

ودواء زوال الطمع عن القلب : هو رؤية الأشياء من مكوّنها بدوام الخلوّة ،  
وترك الناس ، كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كُنْ لِقَعْرِ الْبَيْتِ حِلْسًا وَأَرْضِ بِالْوَحْدَةِ أُنْسًا (١)  
لَسْتَ بِالْوَاجِدِ حُرًّا أَوْ تَرَدُّ الْيَوْمِ أَمْسًا  
فَاغْرَسِ الْيَأْسَ بِأَرْضِ \* زُهْدٌ مَا عُمِّرْتَ غَرْسًا  
وَلِيَكُنْ يَأْسُكَ دُونَ \* طَمَعِ الْكَاذِبِ تَرْسًا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه  
مدلّة ، ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فإنه منجاة ، وتركه مهلكة ، واليأس هو بذر  
الراحة والعز ، كما أن الطمع هو بذر التعب والذل ، فكم من طامع تعب وذل ،  
ولم ينل بغيته ، وكم من آيس استراح وتعزز ، وقد أتاه ما أمل وما لم يأمل .  
وأنشدنى الأبرش :

(١) إن من يلزم قعر البيت ليكون حلساً - والحلس : الفراش المبهين من خيش  
ونحوه ، يكون تحت الفراش القيم ، من نحو البسط والتمارق ، وهو أيضاً : ما يلي  
ظهر الفرس أو البعير تحت السرج والرحل - لا بد أن يكون مهيناً حقيراً ، عالة على  
الناس ، معطلا عن العمل والكسب ، فاراً من ميدان الكدح والجهاد في الحياة  
بسنة الله العليم ، ولذلك جرى على السنة العرب : « فلان حلس بيته » على الدم ،  
يعنون أنه لا يصلح إلا للزوم البيت ، كما قال في لسان العرب . ومثل هذا لا يحبه  
الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن أن هذا لا يقطع جذور داء الطمع ،  
بل يزيد تأصلاً ، وتمكناً في النفس ، بما تلزمه الحياة وشئون العيش اللازم فيها  
إلى ما في أيدي العاملين الكادحين ، بل ويولد فيه - زيادة عن الطمع - الحسد  
والحقد على المجتمع كله ، وما نبتت رموس شياطين الفتن في المجتمع والثورة على النظم  
والحكومات إلا من جحور وأوكار أولئك الفارين من ميدان الحياة المستقيمة  
بالجد والنشاط في حسن الانتفاع بسنة الله وآياته ونعمه ، ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون .

يَعْرِى وَيَعْرِثُ مِنْ أَمْسَى عَلَى طَمَعٍ مِنْ الْمَكَارِمِ وَهُوَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي  
إِنْ الْمَطَامِعُ ذَلٌّ لِلرَّقَابِ ، وَلَوْ أَمْسَى أَخُوهَا مَكَانَ السَّيِّدِ الرَّاسِ  
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِي :

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَنْسَ أَنْ أَتَكْرَمَا  
وَلَسْتُ بِلَوْامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ ، وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدِّمَا  
أَنْبِيَانَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْقَزَازِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَوْسُفَ الْكُوفِيَّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ جَبَلَةَ الْكِنَانِيَّ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عِمَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي  
النَّاسِ عَزٌّ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَاتِمِ الطَّائِي :

إِذَا مَا عَزَمْتَ الْيَأْسَ أَنْفَيْتَهُ الْغَنَى إِذَا عَرَفْتَهُ النَّفْسَ ، وَالطَّمَعُ الْفَقْرُ

### ذِكْرُ الْحَثِّ عَلَى مَجَانِبَةِ الْمَسْأَلَةِ وَكَرَاهِيَّتِهَا

حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ خَالِدُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ  
ابْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ  
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ  
حَطَبٍ فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ مَجَانِبَةُ الْمَسْأَلَةِ عَلَى  
الْأَحْوَالِ كُلِّهَا ، وَلِزُومِ تَرْكِ التَّعَرُّضِ ؛ لِأَنَّ الْإِفْكَارَ فِي الْعِزْمِ عَلَى السُّؤَالِ يُورِثُ  
الْمَرْءَ مَهَانَةً فِي نَفْسِهِ ، وَيَحْطُّهُ رَتَّةً <sup>(١)</sup> عَنْ مَرْتَبَتِهِ ، وَتَرْكُ الْعِزْمِ عَلَى الْإِفْكَارِ فِي  
السُّؤَالِ يُورِثُ الْمَرْءَ عِزًّا فِي نَفْسِهِ ، وَيَرْفَعُهُ دَرَجَةً عَنْ مَرْتَبَتِهِ .

وَلَقَدْ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا الْفَيْضُ بْنُ الْخَضِرِ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ خُبَيْقٍ قَالَ : قَالَ مُوسَى بْنُ طَرِيفٍ : إِنْ الْحَاجَةُ تَعَرَّضَ لِي إِلَى الرَّجْلِ ،

(١) الرتوة : الخطوة الواسعة نحو القفز بشدة

فِيخْرِجُ عِزِّيَ مِنْ قَلْبِي قَطْعَ الْحَاجَةِ مِنْ نَاحِيَتِهِ . فَيَرْجِعُ عِزِّيَ إِلَى قَلْبِي  
وَأَنْشَدَنِي الْكَرِيرِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ :  
هِيَ النَّفْسُ ، مَا حَمَلَتْهَا تَتَحَمَلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ  
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ  
فَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْحُرِّ نِعْمَةٌ وَلَكِنَّ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ  
أَخْبَرَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى السَّاجِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ « مِنْ  
سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْرِي مَالَهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رَضْفٌ <sup>(١)</sup> مِنَ النَّارِ يُنْقَمُهُ ، فَمَنْ شَاءَ اسْتَقْلَّ ،  
وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ »

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ فَارِسِ الدَّلَالِ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ  
حَدَّثَنَا أَبُو عَبَادٍ يَحْيَى بْنُ عَبَادٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قِيَادَةَ قَالَ : سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ  
يُحَدِّثُ عَنْ حَكِيمِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَوْصَى بِنَبِيِّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَ :  
يَا بَنِيَّ ، يَا كُمْ وَمَسْأَلَةُ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا فَيُرَدُّهُ ، وَلَا يُلَاحِظُ  
فِي الْمَسْأَلَةِ فَيُحْرِمُوهُ ، وَيُلْزِمُ التَّعَفُّفَ وَالتَّكْرَمَ ، وَلَا يَطْلُبُ الْأَمْرَ مُذْبِرًا ، وَلَا يَتْرُكُهُ  
مُتَقَبِّلًا ؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْحَاجَةِ خَيْرٌ مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ؛ وَإِنْ مِنْ يَسْأَلُ غَيْرَ  
الْمُسْتَحِقِّ حَاجَةً حَطَّ لِنَفْسِهِ مَرَّتَيْنِ ، وَرَفَعَ الْمَسْئُولَ فَوْقَ قَدْرِهِ

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَوْمِلِ الْمَصْرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ حَامِدَ بْنَ  
يَحْيَى يَقُولُ : سَمِعْتُ سَفْيَانَ بْنَ عَيْنَةَ يَقُولُ : مَنْ يَسْأَلُ نَدْلًا حَاجَةً فَقَدْ رَفَعَهُ عَنْ قَدْرِهِ  
أَنْشَدَنِي ابْنُ زَنْجِيِّ الْبَغْدَادِيُّ :

(١) الرضف : الحجارة المهمة بالنار

ذلُّ السؤالِ شَجَى في الحلقِ معترضٍ من دونه شَرَقٌ، من خَلْفِهِ جَرَضٌ (١)  
ماماءَ كَفَكْ إن جادت وإن بَخَلَتْ من ماءٍ وجهى إذا أفنيتَه عِوضُ  
وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضاً ، وإن نال الغنى بسؤال  
وإذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال ، وخف كل نوال  
وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرم الفضال

أبنا محمد بن المهاجر العدل حدثنا أبو جعفر بن ابنة أبي سعيد التغلبي  
الدمشقي حدثنا حاجب بن أبي علقمة العطاردي قال : سمعت أبي يقول : قال  
مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير لابن أخيه : يَا بُنَيَّ أَخِي ، إذا كانت لك حاجة  
إلى فأكتب بها في رُقعة ، فإني أصون وجهك عن ذلِّ السؤال . وأنشدني ذلك

يا أيها التعبُ بذلُّ السؤالِ وطالب الحاجات من ذى النوال  
لا تحسبنَّ الموت موتَ البلي فإنما الموتُ سؤالُ الرجال  
كلاهما موت ، ولكنَّ ذا أعظمُ من ذاك لذلِّ السؤالِ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أعظم المصائب سوءَ أخْلَافٍ ، والمسألة من الناس  
والهمُّ بالسؤال نصف الهرم ، فكيف المباشرة بالسؤال ؟ ومن عزَّت عليه نفسه  
صَفَرَت الدنيا في عينيه ، ولا يَنْبُلُ الرجلُ حتى يَمِفَّ عما في أيدي الناس ،  
ويتجاوز عما يكون منهم ، والسؤال من الإخوان ملال ، ومن غيرهم ضدُّ النوال  
وأنشدني الأبرش :

انْبُلْ بنفسك أن تكون حريصةً إن الحريص إذا يُبْلِحُ يُبْهان

(١) الشجى : ما يعترض في الحلق من شوكة ونحوها . والشرق : النصبة بلقاء .  
والجرض : النصبة بالريق ، وهو أن يبتلعه على هم وخوف ويجهد ومشقة لجفاف حلقه ،  
وأكثر ما يكون ذلك عند حضور الموت .

من يُكثِرُ التَّسْأَلَ من إخوانه يستثقلوه ، وحظه الحرمان  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :  
أتيت أبا عمرو أُرَجِّي عطاءه فزاد أبو عمرو علي حزني حزنا  
فكنت كباغي القرن أسلم أذنه فبات بلا أذن ، ولم يستفد قرنا  
حدثنا محمد بن عثمان العقبى<sup>(١)</sup> حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی حدثنا  
عبد الله بن سليمان قال : كان أكرم بن صيني يقول : السؤال - وإن قل -  
أتمن من النوال ، وإن جل  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرمه عليه  
قدره ، ويعظم عنده خطره ، فكيف بمن يهون عليه رده ، ولا يكرمه عليه قدره ؟  
وأبعد اللقاء الموت ، وأشد منه الحاجة إلى الناس دون السؤال ، وأشد منه  
التكلف بالسؤال ؛ لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يخل من أن  
يكون فيه ذل السؤال ، وإذا الحاجة لم تقض كانت فيه ذل لأن موجودان : ذل  
السؤال ، وذل الرد .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :  
لا يحسُّ الصديق منك بفقر لا ، ولا والد ، ولا مولود  
ذاك ذل إذا سألت بخيلا أو سألت الذى عليك يحود  
أبانا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ببغداد حدثنا علي بن الجعد أبانا شعبة  
عن الأعمش قال : سمعت المرور بن سويد يحدث عن عبد الله قال « إن في طلب  
الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة ، إذا أعطاه حمد غير الذى أعطاه ، وإن منعه ذم غير  
الذى منعه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى السؤال خصلة تدمم إلا وجود  
التذلل فى النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن

لو اضطره الأمر إلى أن يَسْتَفَّ الرمل ويَمُصَّ النَّوَى أن لا يتعرض للسؤال أبدا ما وجد إليه سبيلا ، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضى حاجته أو ذا سلطان لم يُحَرِّج في فعله ذلك ، كما لم يُحَرِّج في القبول إذا أعطى من غير مسألة ، ومن استغنى بالله أغناه الله ، ومن تعزز بالله لم يفقره ، كما أت من اعترز بالعبيد أذله

ولقد أنبأنا سعيد بن محمد القزاز حدثنا أبو الهيثم الرازي حدثنا خالد بن يزيد حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية - رجل من ولد كعب بن مالك - : « لقد رأيتني أنضح<sup>(١)</sup> أول النهار ، وأضرب آخر النهار على بطني بالمعول في المعدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال : أجل إنا طلبنا الدرهم من أيدي الرجال ومن الحجارة ، فوجدناها من الحجارة أسهل علينا » .

### ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان الشيباني حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي ، فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكثت بُرْهَةً من الدهر مُتَوَهِّيًا أن الأعمش لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبي سليم ، فدلسه ، حتى رأيت على بن المديني

---

(١) الأناضح : هو الذى يستقى من البئر بالدلو ، وأصله فى البعير ، ويستعمل فى الإنسان على تجوز ، وفى نسخة « أنضح » بالصاد المهملة : أى ينصح الناس ويعظمهم ، وهو بالصاد المعجمة أقرب إلى مقصد الكلام

حدث بهذا الخبر عن الطفاوى عن الأعمش قال : حدثنى مجاهد ؛ فعلت حينئذ أن الخبر صحيح ، لا شك فيه ، ولا امتراء فى صحته .

فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم ابن عمر فى هذا الخبر أن يكون فى الدنيا كأنه غريب أو عابرسبيل ؛ فكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا ؛ إذ الغريب وعابر السبيل لا يقصدان فى الغيبة إلا كثار من الثروة ، بل القناعة إليهما أقرب من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرنى محمد بن عثمان العقبى<sup>(١)</sup> حدثنى جعفر بن سنيذ بن داود حدثنى أبى حدثنى حجاج حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكرم بن صيفى لابنه : يا بنى ، من لم يأس على ما فاتته ودع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

من تمام العيش ما قرت به عين ذى النعمة ، أثرى أو أقل

وقليل أنت مسرور به لك خير من كثير فى دغل

وأنشدنى ابن ذبحى البغدادى :

أقول للنفس : صبرا عند نائبة ففسر يومك موصول يسر غد

ما سترنى أن نفسى غير قانعة وأن أرزاقى هذا الخلق تحت يدي

أبانا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أبانا سفيان الثورى عن عيسى بن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال « أربع قد فرغ منها : الخلق ، والخلق ، والرزق ، والأجل . وليس أحد بأكسب من أحد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطراً القناعة ، وليس شئ أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ؛ ولو لم

(١) انظر أيضا ص ١٤٥ السابقة

يكن في القناعة حَصْلَة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء ، لطلب  
الفضل لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .  
ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزار حدثنا أبو مسعود حدثنا محمد بن  
عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عبد الله بن ابراهيم المدني حدثنا أبو بكر بن  
محمد بن المنكدر عن أبيه قال « القناعة مال لا ينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد  
ابن حيد الأكَاف :

تَقَنَّعَ بالكفاف ، تَعَشَّ رَخِيًّا      ولا تَبْغِ الفضول من الكفاف  
ففي خبز القَفَّار<sup>(١)</sup> بغير آدم      وفي ماء القرات غِنَى وكاف  
وفي الثوب المرقع ما يَغْطِي      به من كل عُرى وانكشاف  
وكل تزئِن بالمسء زين      وأزيفه التزين بالكفاف  
وأنشدني الكريزي :

لعمرك ما طول التعمُّل ضائري      ولا كُتْلُ شغل فيه للمرء منفعة  
إذا كانت أرزاق في القرب والنوى      عليك سواء فاعْتَمِ راحة الدَّعَى<sup>(٢)</sup>  
وإن ضقت فاصبر يُفرج الله ماترى      ألا رُبَّ ضيق في عواقبه سَعَى  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً      لقد تزين أهل الحرص والشين  
لا زينَ إلا لراضٍ في تقله      إن القنوعَ ثوب العز والدين  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر  
الأحطاء ، وأن من عدم القناعة لم يزد المَالُ غِنَى ، فتمكن المرء بالمال القليل مع

(١) القفار : الذي لا إدام معه (٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن

قلة الممّ أهنا من الكثير ذى التّبعة ، والعاقل ينتقم من الحرص بالتنوع ، كما  
ينتصر من العدو بالقصاص ؛ لأن السبب المانع رزق العاقل هو السبب الجالب  
رزق الجاهل .

وأنشدني محمد بن سعيد القزاز ، أنشدنا محمد بن خلف التيمي ، أنشدني  
رجل من خزاعة :

رأيت الغنى والفقر حَظَيْن قُسمَا فأحرم مُحْتال وذو العِي كاسب  
فهذا مُلِحٌّ دائِبٌ غيرُ راجِحٍ وهذا مُرِيحٌ راجِحٌ غيرُ دائِبٍ  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المرء لم يقنع بعيش ، فانه وإن كان ذا مال من الفقر مُوقِرُ  
إذا كان فضل الناس يُغنيك بينهم فانت بفضل الله أغنى وأيسرُ  
أخبرنا أحمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن  
حماد قال : سمعت ابن المبارك يقول : مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت  
يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يتسخط ، وعاش آمناً مطمئناً .  
ومن لم يقنع لم يكن له فى القوائت نهاية لرغبته ، والجِدُّ والحِرمان كأنهما  
يصطرعان بين العباد .

ولقد أحسن الذى يقول :

فما كلُّ ما حاز الفتى من تلالده بكيس ، ولا ما فاته بتوانٍ  
فأجملُ إذا طالبت أمراً فانه سيكفيك جَدَّان يصطرعان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي عن المديني  
قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والقاقة بالتعفف والغنى أكثر من  
مروءة الإعطاء .

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي أنشدنا ابن عائشة :  
غنى النفس يغنى النفس حتى يعفها      وإن مسها حتى بها يضراً الفقر  
وما شدة ، فاصبر لها إن لقيتها ،      بدائمة إلا سيبها يسر

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

فيارب كره جاء من حيث أم تخف      ومسرور أمر بالذي أنت خائف  
أرى الناس ، مالم تبلى ، إخوان ظاهر      وإن تبلى تنكركم جل ما أنت عارف  
أبانا محمد بن عثمان العقبي حدثنا إبراهيم بن مهدي الأبي حدثني محمد بن  
يحيى بن أبي عمر قال : سمعت سفيان بن عيينة - وذكر عنه الفضل بن الربيع  
وضرباؤه - فأنشأ سفيان يقول :

كم من قوي قوي في قلبه      مهذب الرأي عنه الرزق منحرف  
ومن ضعيف ضعيف العقل      كأنه من خليج البحر يغترف  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من نازعته نفسه إلى القنوع ، ثم حسد الناس  
على ما في أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة ، بل لعجز وفشل ؛ فمثل كمثل  
حمار السوء الذي يعرج بحمفة حملة ، ويحزن إذا رأى العلف يؤثر به ذو القوة  
والحمل الثقيل ، فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه ، والشير اللثيم أتعب قلبه  
وجسمه ، والكرام أصبر نفوسا ، واللثام أصبر أجسادا .

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي :

لعمرك ما الأرزاق من حيلة الفتى      ولا سبب في ساحة الحى ثاقب  
ولكنها الأرزاق تُقسم بينهم      فما لك منها غير ما أنت شارب

وأنشدني محمد بن سعيد أنشدني هلال بن العلاء الباهلي :

تجمل إذا ما الدهر أولاك غلظة      فإن الغنى في النفس ، لافى التمول

يزين لثيم القوم كثرة ماله وما زين الأرقام مثل التجمل  
حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا محمد بن يحيى  
الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحمٌ كفاك حلٌّ وزيتُ  
إن لا يكن ذا وهذا فكسرةٌ وبيتُ  
تطلُّ فيه وتأوى حتى يحبك موتُ  
هذا لعمرى كفاف فلا يُغرك ليتُ

أبانا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروتي حدثنا أبو مسهر حدثنا  
سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى ( ١٦ : ٩٧ ) فلنحيينه  
حياة طيبة ) قال : القناعة

### ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أبانا زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي بالبصرة أبانا أبو الربيع  
الزهراي حدثنا المقرئ حدثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالا : حدثنا أبو هانيء  
حميد بن هانيء الخولاني قال : سمعت أبا عبد الرحمن الحُبلي يقول : سمعت عبد الله  
ابن عمرو بن العاص يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « قَدَّرَ اللهُ المقادير  
قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسةائة سنة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من  
تكفل بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السبب  
المؤدى إلى نفي الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة  
قلبه حتى كان الله جلّ وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يله إلا لم  
يَكِلْهُ اللهُ إلى عباده ، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

توكل على الرحمن في كل حاجة      أردت ؛ فان الله يقضى ويقدر  
متى ما يرد ذو العرش أمراً بعبده      يُصِبُهُ ، وما للعبد ما يتخير  
وقد يهلك الانسان من وجه أمنه      وينجو بإذن الله من حيث يحذر  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أحسن الظن بمن قد عودك      كل إحسان ، وسوى أودك<sup>(١)</sup>  
إن من قد كان يكفيك الذي      كان بالأمس سيكفيك غدك  
أبتأنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان حدثنا أبو مروان الأزرق حدثنا  
الوليد عن ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن  
أبي الدرداء قال « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لو كان في صخرة في البحر راسية      صماء مملومة مُسِّ حوالها  
رزق لعبد برآه الله لا تفلقت      حتى تؤدِّي إليه كل ما فيها<sup>(٢)</sup>  
أو كان بين طباق السبع مُطلبه      يوماً لسهّل في المرقى مراقبها  
حتى ينال الذي في اللوح حُطَّ له      إن هوأتاه ، وإلا قهّو آتيا  
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني محمد بن الحسين العمي :

سل الحاجات من سيد      ليس له ستر ولا حاجب  
يُعطى عطاياها إذا شاءها      من غير توقيع إلى كاتب

حدثنا محمد بن الحسين بن الخليل بنسأ حدثنا القسواني حدثنا سنان حدثنا رباح  
القيسي قال « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم ، يحملون أرزاقهم

(١) الأود - بفتح الهمزة والواو - العوج .

(٢) برآه الله : خلقه ، وأصله « برأه » خفف الهمز بقلبها ألفاً .

على درجاتهم ؛ ثم قال : أيما عبد من عبادي جعل همه نهما واحدا فضمنوا  
السموات والأرضين وبنى آدم رزقه ، وأى عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث  
أراده ، فإن تحرى مكاسبه بالعدل فطيبوا له رزقه ، وإن تعدى إلى الحرام  
فليأخذه من هواه إلى غاية درجته التي ليس فوقها ، ثم حولوا بينه وبين سائر  
الدنيا ؛ فلا يأخذن من حلالها ولا من حرامها فوق الدرجة التي كتبت له »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الأرزاق قد فرغ منها وتضمنها  
العلی الوفی علی أن یوفرها علی عباده فی وقت حاجتهم إليها ، والاشغال بالسعی  
لما تضمن وتكفل ليس من أخلاق أهل الحزم إلا مع انطواء صحة الضمير ، على أنه  
وإن لم يسع في قصده أتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لما رأيتك قاعدا مستقبلي أيقنت أنك اللهم قرين  
فأرفض لها وتعز عن أثوابها إن كان عندك للقضاء يقين  
هون عليك ، وكن بربك واثقا فأخو التوكل شأنه التهوين  
طرح الأذى عن نفسه في أمره من كان يعلم أنه مضمون

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي قيس عن  
هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت  
تمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاك ، لو لم تأتها أتيتك » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

فنحن بتوفيق الإله وأمره على كل حال أمرنا متوسع  
عطاء عليك لا يمن عطاؤه خبير بما تحتى عليه الأضالع

أنبأنا محمد بن إبراهيم الشافعي حدثنا داود بن أحمد الديمطي حدثنا  
عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما اهتممت برزق قط

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذى يدرك به العاجز حاجته هو الذى يحول بين الحازم وبين مصادفته ، فلا يجب أن يحزن العاقل لما يهوى وليس بكائن ، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن ؛ فما كان من هذه الدنيا أتى المرء من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته ، ولا يدرك بالطلب المحروم ، كما لا يحرم بالعود المرزوق .

ولقد أحسن الذى يقول :

ينالُ الغنى مَنْ ليس يسعى إلى الغنى ويحرم مَنْ يسعى له ويداوم  
وما العجز يحرمه ولا الحرص جالب وما هو إلا خطوة ومقاسم  
وأشدنى عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى أنشدنا العتبى :

ورزق الخلق مقسوم عليهم مقاديرٌ يقدرها الجليل  
فلا ذو المال يُرزقه بعقل ولا بالمال تقسم العقول

أنيأنا الهيثم بن خلف الدورى - ببغداد - قال : سمعت إسحاق بن موسى الأنصارى يقول : سمعت يمان النجرانى - وكان لا يدخر شيئاً - يقول : مررت براهب فى قارعة فلآة من الأرض ، وأنا جائع ، فقلت : يا راهب ، هل عندك من فضل ؟ فأدلى إلى زنبيل فيه فلق من خبز فأكلت منها ، ورميت إليه الباقى ، فقال : تزوده ، قلت : الذى أطعمنى فى هذا الموضع ، وليس فيه إنسى ، يطعمنى إذا جعت ولا يكون معى شىء .

وأشدنى ابن زنجى البغدادى :

لا تهمم ربك فيما قضى وهون الأمر ، وطب نفسا  
لكل مِمِّ فرج عاجل يأتى على المصبح والمسى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن العلائق ، برفض العلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محوّل الأحوال ، وقد يكون المرء موسرافى ذات

الدنيا وهو متوكل صادق في توكله إذا كان العدم والوجود عنده سَيِّئِينَ لا فرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبَّ إليه من العدم ، فلا هو في العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .  
وأنشدني الكريزي :

فلو كانت الدنيا تُنال بفضة      وفضل عقول نلت أعلى المراتب

ولكننا الأرزاق حَظٌّ وقسمة      بملك ملوك ، لا بحيلة طالب

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أنشدنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

ألا ترى الدهر لا تفنى عجائبه      والدهر يخلط ميسورا بمعسور ؟

وليس للهو إلا كل صافية      كأنها دمة من عين مهجور

أنبأنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا سهل بن عاصم حدثنا نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية ، فذكرنا أسباب الرزق ، فحضنا فيه وهي ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبة لمن يدعى حُبّه ثم يتهمه في رزقه ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات على التقصي في كتاب «التوكل» ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها

أنبأنا أحمد بن علي بن المثني بالموصل حدثنا أحمد بن جميل المروزي حدثنا ابن المبارك أنبأنا عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره فكتب ما يكون إلى يوم القيامة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها

قد فرغ منها ، فمنها ما هو كائن لا محالة ، ومالا يكون فلا حيلة للخلق في تكويبه ، فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتزدد بإزاره طرفان : أحدهما : الصبر ، والآخر الرضا ، ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك ، فكم من شدة قد صعبت وتعذر زوالها على العالم بأسره ، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة .  
ولقد أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

كم من أمر قد نضايقتُ به      فأتاني الله منه بالفرج  
ولعبدي مؤيس قربه      قدر الله ، فعاد بالفرج  
فله الحمد على ذي سرمدنا      ما أضاء الصبح يوما وبهج  
وكذاك الله ربُّ قادر      يصلح الأمر الذي فيه عوج  
وله الحمد على آلائه      يستديم اليسر منه والفرج<sup>(١)</sup>

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الحجاج الأزدي قال : سألتنا سلمان : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه [ وما أخطأه لم يكن ليصيبه ]  
وأنشدني الأبرش :

هَوِّنْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ سَعِيهَا      فَلَيْسَ مَا قُدِّرَ مَرْدُودٌ  
وَارْضَ بِحُكْمِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ      كُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ مَحْمُودٌ  
أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحي حدثنا منصور بن قدامة الواسطي حدثنا محمد بن كثير عن معمر قال : لما حاصر الحجاج ابن الزبير بمكة جعلت الحجارة تضرب الحائط ، فقيل له : لا تأمن عليك أن يصيبك منها حجر ، فقال ابن الزبير : هون عليك ، فإن الأمور بكف الإله مقاديرها  
فليس بآتيك منيها      ولا قاصير عنك مأمورها

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي

حدثنا سفيان عن مسعر ، أن رجلا ركب البحر ، فكسر به ، فوقع في جزيرة من جزائر البحر ، فكث فيها ثلاثا لا يرى أحدا ، ولا يأكل طعاما ، ولا يشرب شرابا ، فأيس من الحياة ، فتمثل :

إذا شاب الغراب أتيتُ أهلي وصار القارُ كاللبن الحليب  
فأجابه مجيب يقول :

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه يكون وراءهُ فرج قريب  
فنظر ، فإذا سفينة في البحر ، فلوح لهم ، فأتوه ، فحملوه ، وأصاب معهم خيرا ، ورجع إلى أهله سالما

وأشدني محمد بن جعفر الهمداني - بصور - على ساحل بحر الروم :

لا تضيقنَّ في الأمور ؛ فقد تُكشِف غماؤها بغير احتيال  
ربما تكره النفوس من الأمر ، له فرجة كحلِّ العقال  
وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

عسى فرج يأتي به الله ؛ إنه له كلُّ يوم في خليقته أمرُ  
عسى ماترى أن لا يدوم ، وأن ترى له فرجا مما ألحَّ به العسر  
إذا اشتدَّ عسر فارجُ يسراً ؛ فانه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

أنبأنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « استقيموا قریش ما استقاموا لكم ، فاذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ، فأيدوا خضراءهم ، فإن لم تعملوا فكونوا زراعين أشقياء » فسعى به إلى المهدي ، فبعث إلى شريك ، فأنابه ، فقال : حدثت بها ؛ قال : قلت : نعم ، قال : عن رويته ؛ قلت : عن الأعمش ، قال : ويلى عليه ! لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار ، قلت : إن كان لأمونا على ماروي ، قال : يازنديق

لأقتلنك ، قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم ، قال : والله لأقتلنك .  
قلت : أو يكفي الله ! قال : فخرجنا من عنده ، فاستقبلني الفضل بن الربيع ،  
فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فإنه قد أمر بقتلك ، قال :  
فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوما أتجسس الخبر ، فأقبل ملاح من بغداد ،  
فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ، قلت :  
ياملاح ، قَرَّب ، قَرَّب ، فقرب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

تجرى المقادير إن عسرا وإن يسُرا وللمقادير أسباب وأبوابُ  
ما اشتد عسر ، ولا انهدت مذاهبه إلا تفتَّح من مسروره باب  
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

الآرب عسر قد آتى اليسر بعده وغمرة كَرَب فرُجَّت ليكظيم  
هو الدهر : يوم ، يوم يؤس وشدة ويوم سرور للفتى ونعيم

أنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابوري  
حدثنا بشر بن عبد الحكم عن علي بن عثام قال : روى إبراهيم بن آدم متنفط  
الرجلين<sup>(١)</sup> ، رافعهما على ميل ، وهو يقول ( ٤٧ : ٣١ ) ولنبلونكم حتى نعلم  
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم )

(١) نطقت - بكسر الفاء - رجلاه ، وتنطقت : تفرحت من كثرة الشيء في  
الأرض الصعبة ، وهل كان تنطط رجلي ابن آدم لكثرة جهد وسعي في سبيل الله :  
لجهاد عدو ، أو لطلب علم ، أو لصلة رحم ، أو لأمر بمعروف ، أو لنهي عن منكر ؟  
إتاما كان ذلك لشدة ما أجهد نفسه في الجبال والصحارى منقطعا عن الناس ، وفارا  
من الناس ومن الاختلاط بهم ، وقد أمر الله أولى العلم أن يعاشروا الناس ؛ لعلمهم أن  
يقيموا من اعوجاجهم أو يصلحوا من فسادهم .

أنبأنا القطان بالرقه حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا عبد العزيز بن عمير  
عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، من  
أين أتى هذا الخلق ؟ قال : من قلة الرضا عن الله ، قلت : ومن أين أوتى قلة  
الرضا عن الله ؟ قال : من قلة المعرفة بالله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند  
ورود الشدة عليه سلوك الصبر ، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقى من درجة الصبر إلى  
درجة الرضا ، فإن لم يرزق صبراً فليلزم التصبر ، لأنه أول مراتب الرضا ، ولو كان  
الصبر من الرجال لكان رجلاً كريماً ؛ إذ هو بذر الخير ، وأساس الطاعات

واقعد أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا طاهر بن الفضل بن سعيد حدثنا  
سفيان بن عيينة قال : سمعت رجلاً من أهل الكتاب أسلم ، قال : أوحى الله إلى  
داود : يا داود اصبر على المؤنة ، تأتلك منى المعونة

وأنشدني عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضي :

صبراً جميلاً على ما ناب من حدّث      والصبرُ ينفع أحياناً إذا صبروا  
الصبر أفضل شيء تستعين به      على الزمان إذا ما مسك الضرر

وأنشدني إبراهيم بن محمد بن سهل أنشدني أبو يعلى الموصلي :

إني رأيت - وفي الأيام تجربة -      للصبر عاقبة محمودة الأثر  
وقلّ من جسد في شيء يحاوله      فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أتاك الروح والفرج القريب      وساعدك القضاء ، فلا تحيب  
صبرت ، فقلت عُقبى كل خير      كذلك لكل مصطبر عقيب

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن علي قال : سمعت-

مضر أبا سعيد يقول : قال عبد الواحد بن زيد : ما أحببت أن شيئاً من الأعمال  
يتقدم الصبر إلا الرضى ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضى ، وهو  
رأس المحبة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم ، ودعامة  
العقل ، وبذر الخير ، وحيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام ، ثم التيقظ ، ثم الثبوت ، ثم التصبر [ ثم الصبر ]  
ثم الرضا ، وهو النهاية في الحالات .

واقعد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي <sup>(١)</sup> حدثنا شعيب بن عبد الله البزار حدثنا  
غيلان عن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال « مانال عبد شيئاً من  
جسيم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر »

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

فأشدة يوماً ، وإن جلت خطبها ،      بفاصلة إلا سيتبعها يسرُ  
وإن عسرت يوماً على المرء حاجةً      وضافت عليه كان مفتاحها الصبر  
وأنشدني علي بن محمد البسامى :

تعزُّ : فإن الصبر بالحرِّ أجمل      وليس على ريب الزمان مَعُولُ  
فإن تكن الأيام فينا تبدلت      بنعمى ويؤسى ، والحوادث تفعل  
فما لئنت منا فناةً صليبة      ولا ذللتنا للذى ليس يَجْمَلُ  
ولكن رَحَلناها نفوساً كريمة      تُحْمَلُ مالا تستطيع فتحمل

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى :

إني رأيت الخير فى الصبر مسرعاً      وحسبك من صبر تحوز به أجراً  
عليك بتقوى الله فى كل حالة      فإنك إن تفعل تُصيب به ذخراً

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصى ،  
والصبر على الطاعات ، والصبر عند الشدائد المصيبات .  
فأفضلها الصبر عن المعاصى .

فالعقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر  
على المراتب التي وصفناها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا  
في حال العسر واليسر معا ، نسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه !

وأنشدني عبد الله بن الأحوص :

تَعَزَّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَالِكٍ      فِي الصَّبْرِ مَسَلَةٌ لِهَمُومِ اللُّوْازِمِ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصْطِبَارًا وَخَشِيَةً      سَلَوْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبِهَائِمِ  
وَلَيْسَ يَذُودُ النَّفْسَ عَنْ شَهْوَاتِهَا      مِنْ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ مَاضِي الْعَزَائِمِ  
وَأُنْشِدُنِي ابْنُ زَنْجِي الْبَغْدَادِي :

غَايَةُ الصَّبْرِ لَذِيذُ طَعْمِهَا      وَبَدِيُّ الصَّبْرِ مِنْهُ كَالْقَصِيرِ<sup>(١)</sup>  
إِنَّ فِي الصَّبْرِ لِفَضْلًا بَيْنَنَا      فَاحْمَلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِرِ

وأنشدني الكريزي :

صَبِرْتُ ، وَمَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ غَيْبَ صَبْرِهِ      أَلَدَّ وَأَحْلَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ فِي التَّمِ  
وَمَنْ لَا يَطْبُ نَفْسًا ، وَيَسْتَبِقُ صَاحِبَا      وَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْوَدِّ يُضْرَمُ وَيَضْرِمُ  
أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجَوِيهِ الْقَشِيرِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادِ النَّرْسِيُّ حَدَّثَنَا  
حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبِنَانِيِّ عَنْ مَعَاذَةَ امْرَأَةِ صَلَةَ بْنِ أَشِيمٍ قَالَتْ : « لَمَّا أَتَاهَا  
نَعَى زَوْجِهَا وَابْنُهَا جَاءَهَا النِّسَاءُ ، فَقَالَتْ : إِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لَتَهْنِئْتُنَا بِمَا أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ  
وَإِلَّا فَارْجِعْنَ » .

قال ثابت : وكان صلة يأكل يوما فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك ، قال :

(١) الصبر — بفتح فكسر — ثمرة طعمها مر كربه .

هيات ، قد نُعي إلى ، أجلس فكل ، قال الرجل : ما سبقني إليك أحد ، فقال  
قال الله ( ٣٩ : ٣٠ إنك ميت وإنهم ميتون ) .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب  
بعض الحكماء إلى أخ له يعزیه عن ابن له يقال له محمد :

اصبر لكل مصيبه ، وتجلد واعلم بأن المرء غير مُخَدِّ

وإذا ذكرت محمدا ومصابه فاذا ذكر مصابك بالنبي محمد

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

يُعزِّي المعزى ، ثم يمضى لشأنه ويبقى المعزى في أحرَّ من الحجر

ويُرْمى المعزى بعد ذلك بسلوة وَيَتَوَى المعزى عنه في وحشة القبر

وأنشدني المنتصر بن بلال :

من يسبق السلوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر

ياعجبى من هلع جازع يُصبح بين الدم والوزر

مصيبة الإنسان في دينه أعظم من جائحة الدهر

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تجرى المقادير إن عُسرا وإن يُسرا حاذرت واقعها أو لم تكن حذرا

والعسر عن قدر يجرى إلى يُسرٍ والصبر أفضل شيء وافق الظفرا

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بنسري يقول : كان لنا جار ببغداد ،

كنا نسميه طبيب القراء ، كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لى : دخلت

يوماً على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، فقلت : مالك يا أبا عبد الله؟

قال : خير ، قلت : وما الخير؟ قال : امتحنت بتلك الحنة ، حتى ضربت ، ثم

عاجلوني وبرأت ، إلا أنه بقي في صُلبي موضع يُوجعني هو أشدُّ علىَّ من ذلك

الضرب ، قال قلت : اكشف لي عن صلبك ، قال : فكشف لي ، فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ، فقلت : ليس لي بذى معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا ، قال : فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بيني وبينه فضل معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس في حاجة ؟ قال : ادخل ، فدخلت وجمعت قتيانهم ، وكان معي دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدهم حتى أنسوا بي ، ثم قلت : من منكم ضرب أكثر؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً ، قال قلت له : أسألك عن شيء ؟ فقال : هات ، فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتم ضرب على الجوع للقتل سياتا يسيرة ، إلا أنه لم يميت ، وعالجوه وبرا ، إلا أن موضعاً في صلبه يوجعه وجمعاً ليس له عليه صبر ، قال : فضحك ، فقلت : مالك ؟ قال : الذي عاجله كان حائكا ، قلت : إيش الخبر؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها ، قلت : فما الحيلة ؟ قال يَبِطُ<sup>(١)</sup> صلبه ، وتتوخذ تلك القطعة ويرمي بها ، وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فدخلت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة ، قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا ، قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، قال : ققام ، فدخل البيت ، ثم خرج ويده مخذتان ، وعلى كتفه فوطه ، فوضع إحداهما لي والأخرى له ، ثم قعد عليها ، وقال : استخر الله ، فكشفت الفوطه عن صلبه ، وقلت : أرني موضع الوجع ، فقال : ضَعُ إصبعك عليه ، فإني أخبرك به ، فوضعت إصبعي ، وقلت : هاهنا موضع الوجع ؟ قال : ههنا أحمد الله على العافية ، فقلت : ههنا ؟ قال : هاهنا أحمد الله على العافية ، فقلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية ، قال : فعلمت أنه

(١) البط : الشق بآلة الجراحة التي هي البضع .

موضع الوجع ، قال : فوضعت المبضع عليه ، فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى يبطئته ، فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشدت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم ، قال : ثم هدأ وسكن ، ثم قال : كأني كنت معلقاً فأصدرت ، قلت : يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا امتحنوا بحنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم ؟ قال : إني أفكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكرهت أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة . هو منى في حيل .

### ذكر الحث على العفو عن الجاني

حدثنا الفضل بن الحباب الجعفي بالبصرة حدثنا القعنبى حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال « أتى رجل فقال : يا رسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، ويسيثون إلى ، وأحسن إليهم ، ويجهلون على ، وأحلم عنهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كان كما تقول فسكأنما تسفهم الملأ<sup>(١)</sup> . ولا يزال من الله معك ظهير ما زلت على ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ؛ إذ لا سبب لتسكين

---

(١) الملأ - بفتح الميم - الرماد الحار تحت الجمر ، يدفن فيه الخبز لينضج . أراد صلى الله عليه وسلم : إنما تجعل الملة لهم سفوفاً يستفونوه ، يعنى عطاءك وصلتك وإحسانك وحلمك عليهم ، ذلك برد عليك ، وخير لك ، ونار في بطونهم .

الإساءة أحسنُ من الإحسان ، ولا سبب لثناء الإساءة وتهيبجها أشدُّ من الاستعمال بمثلها .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريري :

سألزُمتُ نفسي الصفح عن كل مذنب      وإن كثرت منه إلى الجرائم  
فما الناس إلا واحد من ثلاثة :      شريف ، ومشروف ، ومثل مقاوم  
فأما الذي فوق فأعرف فضله      وأتبع فيه الحق ، والحق لازم  
وأما الذي دوني : فإن قال صنت عن      إجابته عرضي ، وإن لام لأثم  
وأما الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا      تفضلتُ ؛ إنَّ الحلم للفضل حاكم

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى<sup>(١)</sup> حدثنا محمد بن عامر الأنطاكي حدثنا ابن توبة حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن جليس قال : ثلاثة يحبه الله : من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قمعٌ أن يستحي من الله ، ومن كان ذا رفعة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذي عرف عظمة الله ، فيخاف مقتته ، ومن كان عفوه قريباً من إساءته ، فذلك تقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من أراد الثواب الجزيل ، واسترهان الودِّ الأصيل ، وتوقع الذكر الجميل ؛ فليتحمل من ورود ثقل الردى ، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى ، باستعمال السنة التي ذكرناها في الصلاة عند القطع ، والإعطاء عند المنع ، والحلم عند الجهل ، والعمو عند الظلم ؛ لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون عن داود بن الزبرقان : قال قال أيوب « لا ينبلُ الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم » .

(١) انظر ص ١٤٥ السابقة .

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وإذا مذنب أتاه به الحق ، فغطاه غفوه في ستوره  
راجياً للثواب في كل زُرء من خَفِيِّ الأمور ، أو مشهوره  
فهو في عاجل الحياة كريم ومن الفائزين يوم نشوره  
خَصَّة جَزَلَةٌ بها خَصَّ الله لزين الدنيا ويوم كروره  
أبناؤنا محمد بن إسحاق بن خزيمه حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا سفيان  
عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول « أحب الأمور إلى الله ثلاثة :  
العفو في القدرة ، والقصد في الجِدَّة ، والرفق في العبادة ، وما رَفَقَ أحدٌ بأحد في  
الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة »

أبناؤنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب  
الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعزُّ ما تكون أحوجُّ ما تكون إلى الله ، فإذا  
تعزرت بالله فاعفُ ، فانك به تعز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود  
الإساءة عليه من العالم بأسرهم ، رجاء عفو الله جل وعلا عن جنائياته التي ارتكبها  
في سالف أيامه ؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بايثاره الجزاء ، وصاحب  
العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يودُّه فإنه يحتمل  
عنه الدهر كله زلاته .

ولقد أخبرني محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن داود التمار قال : سمعت مردويه  
الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين زلَّةً ،  
قيل له : وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قال : لأن الأخ الذي آخيته في الله ليس يزل  
سبعين زلَّةً .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا لم تجاوز عن أخ لك عثرةً      فليست غداً من عثرتي متجاوزا  
وكيف يرجيك البعيد لنعمة      إذا كان عن مولاك برك عاجزا

أنبأنا محمد بن صالح الطبري حدثنا الرمادي حدثنا الجعفي يحيى بن سليمان  
حدثنا ابن أبي عمير حدثني أبي قال : « أقبل الشعبي يوما ، فإذا هو برجلين من قومه  
من وراء جدار قصير ، قال : فاستمع عليهما ، فإذا هما يقعان فيه ويشتانه ،  
ويستقصانه <sup>(١)</sup> حتى أكرها ، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبي ، فقال <sup>(٢)</sup> :

هنيئاً مريئاً غير داء مُخامر      لقزة من أعراضنا ما استحلت  
فقالا : والله يا أبا عمرو ، لا نَقَعُ فيك بعد اليوم .

وأنشدني بعض أهل العلم :

ولربما ابتسم الوقور من الأذى      وضميره من حره يتأوه  
ولربما خزن الخليم لسانه      حذر الجواب وإنه لُفوه

أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم ، أنبأنا عبد الله بن الحسين المصيصي ،  
أنبأنا يعقوب بن أبي عباد ، قال : قال الفضيل بن عياض : مَنْ طَلَبَ أَخًا بِلَا  
عَيْبٍ بَقِيَ بِلَا أَخٍ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغشى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة ،  
وأجل الناس مرتبة من صدَّ الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء  
إليه ، فأما مجازاة الإحسان إحسانا فهو المساواة في الأخلاق ، فلربما استعملها  
البهائم في الأوقات ، ولو لم يكن في الصنح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة  
النفس ووداع القلب فكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول في  
أخلاق البهائم ، بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو  
المسيء ، وإن لم يكن بادئا .

(١) في نسخة « ويستقصانه » (٢) البيت لكثير عزة .

كما أنشدني الكريزي:

أسأت ، وأنكرتُ أنى أسأتُ فأفضل ، ولا تك عينَ المُسي  
لك الفضل بالعمو عما عفوت وإلا فأنت القرين السوى  
وعفوك مقتدرأ نعمة وعفو المندد غير الهني  
سمعت محمد بن عثمان العقبى ، قال : سمعت هلال بن العلاء الباهلي يقول :  
جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكفىء أحداً بسوء ،  
وذهبتُ إلى هذه الأبيات :

لما عفوتُ ، ولم أحقد على أحدٍ أرحتُ قلبي من غمِّ العداواتِ  
إني أحببى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحيات  
وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنما قد حُشى قلبي محبات  
أبناؤنا ابن قتيبة ، حدثنا ابن أبي السرى ، قال : سمعت أبا عمر الصنعاني يقول :  
حدثنا زيد بن أسلم قال : قال لقمان لابنه « كذب من قال : إن الشر يطفىء  
الشر ، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار ، فلينظر هل تطفىء إحداهما  
الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفىء الشر ، كما يطفىء الماء النار »

حدثني محمد بن أبي علي الخلادي ، حدثنا محمد بن خلف البسامي ، حدثنا  
محمد بن عبيد الله الداري ، حدثنا محمد بن عمران الضبي قال : قال ابن السماك :  
إن لمن يجفؤ ، فقل من يصفو .

وأنشدني الأبرش :

توخَّ من الشُّبْلِ أوساطها وعدتُ عن الحائر المشتبه  
وسمعتُ صنَّ عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به  
فإنك عند استماع القبيح شريك لقائله ، فانتبه

فكم أزعج الحرصُ من طالب فوافى المنية في مطلبه  
أنيانا عمر بن حفص البرازي بجنديسابور ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب  
الذارع حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا مجاعة بن الزبير ، قال : قال عمران لابنه  
« أي شيء ، أي شيء أقل ؟ وأي شيء أكثر ؟ وأي شيء أحلى ؟ وأي شيء  
أبرد ؟ وأي شيء آنس ؟ وأي شيء أوحش ؟ وأي شيء أقرب ؟ وأي شيء أبعد ؟  
قال : أما أقل شيء فالتيقين ، وأما أي شيء أكثر فالشك ، وأما أي شيء أحلى  
فروح الله بين العباد يتحابون بها ، وأما أي شيء أبرد فغفوا الله عن عباده ،  
وعفوا الناس بعضهم عن بعض ، وأي شيء آنس حبيبك إذا أغلق عليك  
وعليه باب واحد ، وأي شيء أوحش جسد إذا مات ، فليس شيء أوحش منه ،  
وأى شيء أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأي شيء أبعد فالدنيا من الآخرة »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، ويغضى عن المجازاة  
عليها بمثلها .

وقد قيل : إن من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وهو عندي - والله أعلم - غضب لا يخرج به إلى المعاصي ، ولا إلى الانتقام من  
الجاني ، كأنه في نفسه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما  
أقبح قدرة اللئيم إذا قدر ، ومن أساء سمعاً أساء إجابة ، ومن أتى المكروه إلى  
أحد فبنفسه بدأ ؛ لأن الشرور تبدو صفاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازي ، حدثنا  
عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله الخزومي ، قالوا : حدثنا عبد الأعلى  
ابن مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول  
لبنيه : « يا بني أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حبشياً ، وأهينوا من  
أهانكم ، وإن كان رجلاً قرشياً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر : إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا ضير ، فأما من ارتفع عن حدّ الجهال ، واتضع عن حد العقلاء ، فالإغضاء عن مثله فى الأوقات أحدٌ مخافة الأزدىاد منه ، ولأن يصبر المرء على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجلب عليه بما هو أحر وأمرٌ مما مضى ؛ لأن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من الإبر ، وأمرٌ من الصبر .

ولقد أحسن الذى يقول :

لقد أسمعُ القول الذى كاد كلنا      تذكرنيهِ النفس قلبى تصدّعُ  
فأبدي لمن أبداه منى بشاشة      كأنى مسرور بما منه أسمع  
وما ذاك عن عجز به ، غير أننى      أرى أن ترك الشر للشر أقطع

أبناؤنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا أحمد بن مقدم العجلي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي عمرو فى هذه الآية (٧ : ١٩٩) خذ العفو وأمر بالعرف) قال : « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أخلاق الناس »

### ذكر صفة الكريم واللتيم

أبناؤنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسأ ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبدة ابن سايان عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة قال « قيل : يارسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام ، إذا فقهوا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم التقى .  
والتقوى : هي العزم على إتيان الأمور ، والانزجار عن جميع المنزجورات<sup>(١)</sup> ،  
فمن صح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم الكرم ، ومن  
تعرى عن استعمالهما ، أو أحدهما ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .  
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدي عن  
أبيه عن المدائني ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث خصل لا تجتمع إلا في كريم :  
حسن المحضر ، واحتمال الزئنة ، وقلة الماللة »  
وأشدنى ابن زنجي البغدادي :

رأيت الحق يعرفه الكريم اصحابه وينكره اللئيم  
إذا كان الفتي حسناً كريماً فكل فعاله حسن كريم  
إذا ألقيته سمجاً لئيماً فكل فعاله سمج لئيم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكرم لا يكون حقوداً ، ولا حسوداً ، ولا  
شامتاً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ،  
ولا ملولاً ، ولا يقطع إلفه ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضع الحفاظ ، ولا يخفوفى  
الوداد ، يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعفو عن قدرة ، ويصل عن  
قطيعة .

أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن علي بن

(١) هذا تفسير باللائم ، وإلا حقيقة التقوى في اللغة : الأخذ بكل أسباب مما  
يدفع عن الإنسان كل ما يسكره ويحذر في الدنيا والآخرة ، واتخاذ الوقاية مما يؤذى  
ويضر في الجسم والقلب والعقل ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم واليقظة التامة ، والبصيرة  
النيرة ، فكم من آت لكل الأمور ومنزجر عن كل المحرمات ولكنه على جهل  
وتقليد أعمى لا ينفعه شيء مما يأتي ولا يدفع عنه انزجاره شيئاً مما يخاف ويحذر ، والله  
الموفق لكل خير والهادي إلى سواء السبيل .

محمد المرحبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج - مولى المهدي -  
عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شيء حياة وموتاً ، وإن مما يحيي الكرم  
مواصلة الكرماء ، وإن مما يحيي اللؤم معاشره اللئام »  
وأنشدني الكريزي :

مأبال قوم لئام ليس عندهم عهد ، وليس لهم دين إذا اتُّمِنوا  
إن يسمعون ريبية طاروا بها فرحاً ، وما سمعوا من صالح دفنوا  
مُهمُّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرَتْ به وإن ذُكِرَتْ بسوء عندهم أذِنوا<sup>(١)</sup>  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا  
الطف ، والكريم يُجِلُّ الكرام ، ولا يُهين اللئام ، ولا يؤذي العاقل ، ولا  
يمازح الأحق ، ولا يعاشر الفاجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه باذلاً لهم ماملك ، إذا  
اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها ، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق  
العداوة ، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطع به شيء من الأشياء .  
كما أنشدني الخلابي ، أنشدنا أحمد بن أبي علي القاضي ، قال : أنشدنا محمد

بن مقيس الأزدي :

فإن الذي بيني وبين عشيرتي وبين بني عمي مختلفٌ جدا  
إذا قدحوا لي نار حرب برزندهم قدحت لهم في كل مكرمة زندا  
وإن أكلوا الحمي وفرت لحومهم وإن هدموا تجدي بنيت لهم مجدا  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا  
وأعطيهم مالي إذا كنت واجدا وإن قلّ مالي لم أكلفهم رفدا<sup>(٢)</sup>

(١) يقال : أذن الرجل للقول ، أي ألقى سمعه وأصغى بانتباه ويقظة زائدة ،  
والآيات لقنوب بن أم صاحب .

(٢) هذه الآيات من شعر الحماسة منسوبة إلى المقنع الكندي من قصيدة له ، وفي  
بعض ألفاظها اختلاف . و « الرقد » العطاء .

أنبأنا ابن حوصا ، حدثنا النحاسي حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبي عليّة قال : رأيت سالم بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يقسايران بأرض الروم ، فأبال أحدهما دابته ، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا أحمد بن أبي بكر بن خالد اليزيدي عن قُطبة ابن العلاء بن المنهال ، قال : سمعت المبارك بن سعيد يقول : سمعت الأعمش يقول : قال الشعبي « إن كرام الناس أسرعهم مودة ، وأبطؤهم عداوة ، مثل الكُوب من الفِضة يبطن الانكسار ، ويسرع الانجبار ، وإن لثام الناس أبطؤهم مودة ، وأسرعهم عداوة ، مثل الكُوب من الفَخَّار : يسرع الانكسار ، ويبطن الانجبار » قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم مَنْ أعطاه شكره ، ومن منعه عذره ، ومن قطعه وصله ، ومن وصله فضله ، ومن سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتدأه ، وإذا استضعف أحداً رحمه ، وإذا استضعفه أحدٌ رأى الموت أكرم له منه ، والشم بضد ما وصفنا من الخصال كلها .

ولقد أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي ، حدثنا أحمد بن الخليل ، حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم ابن آدم كريم النفس ، يخالط الناس بأخلاقهم ويأكل معهم ، قال : فربما اتخذ لهم الشواء والجواذبات والخبيص ، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم فيتصارعون ، قال : وكان يعمل عمل رجلين ، وكان إذا صار إلى نفسه أكل عجبنا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجمع أهل التجارب للدهر ، وأهل الفضل في الدين ، والراغبون في الجميل : على أن أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في الدنيا ، وأجل ما يدخر لها في العقبى هو لزوم الكرم ، ومعاشرة الكرام ؛ لأن الكرم يحسن الذكر ، ويشرف القدر ، وهو طباع ركبها الله في بني آدم ، فمن الناس من يكون

أكرم من أبيه ، وربما كان الأب أكرم من ابنه ، وربما كان المملوك أكرم من مولاه ، وربّ مولى أكرم من مملوكه .  
واقعد أحسن الذي يتعور :

رب مملوك إذا كشفته كان من مولاه أولى بالكرم  
فهو ممدوح على أحواله وترى مولاه يهجي ويدم  
وتراه كيف يعلو دائماً ؟ وترى مولاه من تحت القدم  
وفتى تلقى أباه دونه وأباً تلقاه أعلى وأنتم  
من بنيه ، ثم لا يعتل إن طلب المعروف منه بالصمم  
وكذلك الناس - فاعلم - ربنا قدر الأخلاق فيهم وقسم  
وأشدنى الأبرش :

رأيت اللين لا يرضى بضم لأن الضيم يسخطه الكريم  
وإن اللين أكرم كل شيء فليس يحبه خلق كثير  
فإن نزل الأذى واللين قلباً فإن اللين يرحل لا يقيم  
ويبقى للأذى في القاب صعب من البغضاء يلبث لا يريم<sup>(١)</sup>

حدثنا القطان بالرقعة ، حدثنا أحمد بن أبي الخوارى ، قال : سمعت أبي يقول :  
مامن أحد إلا وله توبة ، إلا سيء الخلق ؛ فإنه لا يتوب من ذنب إلا دخل في  
شر منه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم محمود الأثر في الدنيا ، مرضى العمل  
في العقبى ، يحبه القريب والقاصى ، ويألفه المتسخط والراضى ، يفارقه الأعداء  
واللئام ، ويصحبه العقلاء والكرام .

وما رأيت شيئاً أكثر عملاً في نقص كرم الكريم من الفقر ، سواء كان  
ذلك بانقلب أو بالموجود .

(١) لا يريم : لا يفارق .

وقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لعمرك ، إن المالَ قد يجعل الفتى نسيبا ، وإن الفقر بالمرء قد يُرزي  
ولا رَفَعَ النفسَ الدنيَّةَ كالفنى ولا وضع النفسَ الكريمةَ كالفقير  
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حميد بن  
عبد الرحمن عن زكريا بن أبي زائدة عن علي بن الأقر عن أبي جحيفة قال :  
« جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسائلوا العلماء »

ذكر الزجر عن قبول قول الوشاة

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون  
حدثنا واصل الأحذب عن أبي وائل عن حذيفة « أنه بلغه أن رجلا يتيم  
الحديث ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل  
الجنة تَمَّام »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على الناس كافة : مجانبة الإفكار في  
السبب الذي يؤدي إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس ، والسعى فيما يفرق جمعهم  
ويشتت شملهم ، والعاقب لا يخوض في الإفكار فيما ذكرنا ، ولا يقبل سعاية الواشى  
بجيلة من الخيل ، لعلمه بما يرتكب الواشى من الإثم في العقبي بفعله ذلك .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه  
عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني ،  
إياك والنميمة ، فإنها أحدٌ من السيف »

وأنشدني الكريزي :

من تَمَّ في الناس لم تؤمن عقاربه على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه .  
كالسيل بالليل ، لا يدري به أحد من أين جاء ، ولا من أين يأتيه ؟  
فالويل للعهد منه ، كيف ينقضه ؟ والويل للود منه ، كيف يفنيه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد بواسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى ابن عمران إلى ربه رأى رجلا تحت العرش ، فغطه بمكانه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه ، قال : لكنني أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشی بالنميمة »  
أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الرعي ، حدثنا محمد بن إدريس المعدل عن العتيبي قال « سمعت أعرابية توصي ابنا لها ، فقالت : عليك بحفظ السرِّ ، وإياك والنميمة ؛ فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها ، ولا ضعيفة إلا أوقدتها » .

ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إلى مقارقتها من أن يحترس من مجالسته ، وأن لا يوثق بمودته ، وأن يزهد في مواصلته ومعاشرته .

ولذلك يقول أخو ربيعة :

تمشيتَ فينا بالنميمة ، وإنما تفرق بين الأضياء النائمُ  
وما زلتَ منسوبا إلى كل آفة وما زال منسوبا إليك الملائم  
لأنك لم تقدم لشرِّ فعلته وما تأت من خير فإنك نادم

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي ، حدثنا علي بن محمد المدائني قال « وشي واش بعبد الله بن همام السلولي إلى زياد ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام ، فجاء ، فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام . بلغني أنك هجوتني ، فقال له : كلاً ، أصلحك الله ! ما فعلتُ ، وما أنتَ لذلك أهل ، قال : فإن هذا أخبرني — وأخرج الرجل — فأطرق ابن همام هنيهة ، ثم أقبل على الرجل فقال :

وأنت امرؤ : إما ائتمنتك خاليا فحُنتَ ، وإما قلتَ قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم  
قال : فأعجب زياد بجوابه ، وأدناه ، وأقصى الساعى ، ولم يقبل منه .  
وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

يمشون فى الناس يبعون العيوب لمن لا عيب فيه ، لكى يستشرف العطب  
إن يعلموا الخير يخفوه ، وإن علموا شراً أذاعوا ، وإن لم يعلموا كذبوا  
أخبرنى محمد بن أبى على ، حدثنا ابن أبى شيبه أبو جعفر ، حدثنا الحسن بن  
صالح قال : سمعت حُجَّين بن المثنى يقول « سعى رجل بالليث بن سعد إلى والى  
مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث ، إن هذا أبلغنى  
عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سله — أصلح الله الأمير! — عما أبلغك :  
أهو شىء ائتمناه عليه فخاننا فيه ، فما ينبغى لك أن تقبل من خائن ، أو شىء كذب  
علينا فيه ، فما ينبغى لك أن تقبل من كاذب ؟ فقال الوالى : صدقت يا أبا الحارث »  
أخبرنا ابن حوصا ، حدثنا عبد الله بن هانىء بن عبد الرحمن عن ابن أبى علقمة  
عن أبيه عن عمه إبراهيم بن أبى عتبة قال : « كنت جالسا مع أم الدرداء ، فأتاها  
آت ، فقال : يا أم الدرداء ، إن رجلا نال منك عند عبد الملك بن مروان ،  
فقلت : إن تؤبى<sup>(١)</sup> بما ليس فينا فظالما زُكينا بما ليس فينا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل الوشاة ،  
وصرف جميعها إلى الإحسان ، وترك الخروج إلى ماليليق بأهل العقل ، مع ترك  
الإفكار فيما يزرى بالعقل ؛ لأن من وشى بالشىء إلى إنسان بعينه يكون قصده  
إلى الخبث أكثر من قصده إلى الخير به ، لمشافهته إياه بالشىء الذى يشق عليه  
علمه وسماعه »

ووقد أحسن الذى يقول :

(١) تؤبى : تهتم .

من يُخَبِّرُكَ بِشْتَمٍ عَنْ أَخٍ      فهو الشاتم ، لا من شتمَكَ  
ذاك شيء لم يشافهك به      إنما اللوم على من أعلمك  
كيف لم ينصرك ؟ إن كان أخا      ذا وفاء عند من قد ظلمك  
إنما رام بإبلاغ الذي      نعم فيه - فاعلمن - أن يُرغمك  
فأهنه ، إنه من لومه      إن تُهنه بهوان أكرمك  
نكن الحرُّ إذا أكرمته      لم يُصغرك ، ولكن فحَمَك

أخبارنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله السويدي قال : سمعت العباس  
ابن ميمون يقول : شيع المأمون الحسن بن سهل ذا الوزارتين ، فلما بلغنا غاية  
التشيع ، قال له المأمون : يا حسن ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، تحفظ  
على من قلبك ما لا أستطيع إدراكه إلا بك ، ويكون بيني وبينك قول كثير عزة :  
وكوني على الواشين نداء شعبة      كما أنا تلوانتي ألد شعوب  
أخبرنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا محمد بن خزيمة البصرى ، حدثنا حذيفة  
حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير قال « الذى يعملُه النمام فى ساعة  
لا يعملُه الساحر فى شهر »

أخبرنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا محمد بن الحسن الهلالى ، حدثنا أبو عوانة  
البصرى ، حدثنا داود بن شبيب ، حدثنا حماد بن سلمة قال « باع رجل من رجل  
غلاماً له ، وقال : أبرأ إليك من التهمة ، فاشتراه على ذلك ، فجاء إلى مولاته ،  
فقال : إن زوجك ليس يحبك ، وهو ينسرى عليك ويتزوج ، أفتريدن أن يعطف  
عليك ؟ قالت : نعم ، قال : خذى موسى فاحلقى به شعرات من باطن لحيته  
وبخرّيه بها ، وجاء إلى الرجل ، فقال : إن امرأتك تبغى ، وتصادق ، وهى  
قاتلتك ، أفتريد أن يبين لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال تناوم لها ، قال : فتناوم لها ،  
فجاءت بموسى تحلق الشعر ، فأخذها فقتلها ، فأخذها أولياؤها فقتلوه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النخلة ؛ لأنها تهتك الأستار  
وتفشى الأسرار ، وتورث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدد العداوة ، وتبدد الجماعة  
وتهيج الحقد ، وتزيد الصد ، فمن وُشىَ إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته  
على المفوة إن كانت ، وقبول العذر إذا اعتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع  
توطين النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الضياع ، وعلى المعاتبه  
عند الإساءة .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

كاف الخليل على المودة مثلها      وإذا أساء فكافه بعنابه  
وإذا عتبت على امرئ أحبته      فتوق ظاهر عيبه وسبابه  
والن جناحك ما استلان لوده      وأجب أخاك إذا دعا بجوابه  
وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أعاب إخوانى ، وأبقى عليهم      ولست لهم بعد العتاب بقاطع  
وأغفر ذنب المرء إن زل زلة      إذا ما أتاها كارها غير طانع  
وأجزع من لوم الخليم وعذله      وما أنا من جهل الجهول بجازع  
أخبرنى محمد بن على الخلابى ، أخبرنى محمد بن يزيد النحوى عن العتبى  
عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية فى شئ ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير  
المؤمنين : اسمع أبياتا أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأنشده<sup>(١)</sup> :

لعمرك ما أدرى ، وإنى لأوجل      على أينما تعدو المنية أول  
وإنى على أشياء منك ترىنى      كثيراً لذو صفح على ذاك مجمل  
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته      على طرف الهجران لو كان يعقل

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، فدخل عليه مَعْنُ بن أوس  
المزنى بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدثت بعدنا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشده :

(١) الأبيات لمعْنُ بن أوس ، وسيدكر المؤلف ذلك .

\* لعمرك ما أدري وإني لأوجل \*

فقال : علي بن الزبير ، فقال : أليس هذا لك فيما زعمت ؟ قال : أنا ألفت  
المعنى ، وهو ألف القوافي ، وهو بعدُ ظئري ، ومهما قال من شيء فأنا قنته ،  
فضحك معاوية ، وكان مَعْنُ بن أوس مُسْتَرْضَعاً في مُزَيْنَةَ .

سمعت الحسين بن إسحاق الأصفهاني يقول : كتب علي بن حجر السعدي  
إلى بعض إخوانه :

أحسُّ إلى عتابك ، غير أنني أُجِلُّك عن عتابٍ في كتاب  
ونحن إذا التقينا قبل موت شفيتُ غليلَ صدرى من عتابي  
وإن سبقتُ بنا أيدي المنايا فكم من عتاب تحت التراب  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

صحائف عندي للعتاب طويتها ستشر يوماً ، والعتاب يطولُ  
كتاب لعمرى لا يَبْنَانُ يَحِطُّهُ وسوف يؤديه إليك رسول  
سأكتب إن لم يجمع الله بيننا وإن نجتمع يوماً فسوف أقول

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يقصّر عن معاتبة  
أخيه على زلته ؛ لأن من لم يعاتب على الزلة لم يكن يحافظ للخلة ، ومن أعتب  
لم يذنب ، كما أن من اغتفر لم يعاقب ، وظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد ،  
ورُبَّ عَتَبٍ أَنْفَعُ مِنْ صَفْحٍ ؛ ولذلك أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

إذا ما مرؤ ساءتكَ منه خليقةٌ فكاتمته ، فالوهن في ذاك تركبُ  
لعلك لو عاتبته ، ثم لُمته لسرك ، حتى لم تكن تتعتبُ  
وأنشدني الكريزي :

فإن تكن العتي فأهلاً ومرحباً وحق لها العتي لدينا وقلتِ

وإن تكن الأخرى ، فإن وراءنا مفاوز لو سارت بها العيس كَلَّتْ  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل أن يناقش على تصحيح  
الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود العتاب إلى ماعوتب عليه ؛ لأن من عاتب على  
كل ذنب أخاه ، تحقيق أن يملكه ويقلاه ، وإن من سوء الأدب كثرة العتاب ،  
كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب ، والإكثار في المعاتبة يقطع الود ، ويورث الصد  
ولقد أنشدنى عبد الله بن أحمد النقيب البغدادى لابن المعتز :

معاتبة الإلفين تحسنُ مرّةً فإن أكرهوا إدمانها أفسد الحبا  
إذا شئت أن تُقلَى فزر متتابعا وإن شئت أن تزداد حُبّا ، فزر عِجّبا  
وأنشدنى محمد بن أبي على الصيداوى<sup>(١)</sup> :

إذا كنتَ في كل الأمور معاتبا خليلك لم تلق الذى لاتعابه  
فحش واحداً ، أو صيل أخاك فإنه مقارف ذنب مرةً ومجانبه  
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظممت ، وأى الناس تصفو مشاربه؟

أخبرنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبي السائب قال :  
قال على بن أبي طالب رضى الله عنه « لا تكثر العتاب ، فإن العتاب يورث  
الضعيفة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت مايشاكل هذه الحكايات فى كتاب  
« مراعاة الإخوان » ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

### ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا على بن الحسن بن عبد الجبار - بنصيبين - حدثنا على بن حرب الطائى  
حدثنا وكيع عن الثورى عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن

(١) تنسب الأبيات لبشار بن برد .

جودان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أنا خائف أن يكون ابن جريج رحمة الله ورضوانه عليه دلس هذا الخبر بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن .  
فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجرم مضى ، أو لتقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويجعله كمن لم يذنب ؛ لأن من تَصَلَّ إليه فلم يقبل أخاف أن لا يَرِدَ الحوضَ على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن فرط منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه .

ولقد أنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً من التقصير عذر أخ مَقْرَّ  
فصنه عن جفائك ، وأعف عنه فإن الصفح شيمه كل حرٍّ  
وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطي :

شفيح من أسلمه جرمه إقراره بالجرم والذنب  
وتوبة المذنب من ذنبه إعتاب من أصبح ذا عتب

أبنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : غضب سليمان ابن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ، القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تجلُّ عن العقوبة ، فإن تعف فأهلُ ذلك أنت ، وإن تعاقب فأهلُ ذلك أنا ، قال : فعفَّا عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يجب أن يجده عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدى إلى التهمة ، وإني أستحب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ، لعلى أن المعاذير يعتريها الكذب ، وقلَّ ما رأيتُ أحداً

اعتذر إلا شابَ اعتذاره بالكذب ، ومن اعترف بالزلة استحق الصّحح عنها ،  
لأنّ ذلّ الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها ، والمعتذر إذا كان محقاً  
خضع في قوله ، ودلّ في فعله ، كما أنشدني المتصّر بن بلال :

أيأربّ قد أحسنتَ عوداً وبدأةً      إلى ، فلم ينهض باحسانك الشكر  
فمن كان ذا عذر إليك وحجّةٍ      فعذري إقرارى بأن ليس لي عذر  
وأنشدني السكري :

وإني وإن أظهرتَ لي منك جفوةً      وألزمتني ذنباً وإن كنتُ مجرماً<sup>(١)</sup>  
لراضٍ لنفسي ما رضيت لها به      أراك بها منى أبرّ وأرحماً  
أبنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله  
ابن خبيق قال : كان يقال : احتمل من دلكّ عليك ، وأقبل ممن اعتذر إليك .  
أبنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز - بالبصرة - حدثنا إسماعيل بن  
إبراهيم أبو بشر قال : سمعت أبي قال : حدثنا مبارك بن فضالة عن حميد الطويل  
عن أبي قلابة ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً ، فإن لم  
تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يعلن عقوبة من لم يعلن  
ذنبه ، ولا يخلو المعتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقاً في  
اعتذاره ، أو كاذباً ؛ فإن كان صادقاً فقد استحق العفو ، لأنّ شرّ الناس من لم  
يقبل العثرات ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذباً فالواجب على المرء إذا علم من  
المعتذر إثم الكذب ورينته وخضوع الاعتذار وذلته أن لا يعاقبه على الذنب السالف

(١) إن الأخيرة نافية ، والمعنى : وما لم أكن في الواقع مجرماً ، على حد قوله تعالى  
( ٣٥ : ٤١ إن أمسكهما من أحد من بعده ) وقوله ( ٧٢ : ٢٥ إن أدري أقرب  
ماتوعدون ) .

بل يشكر له الإحسان المحدث ، الذي جاء به في اعتذاره ، وليس يعيب المعتذر  
إن دَلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه .

وأنشدني الأبرش :

هَبْنِي أَسَاتُ ، كما زعمت ، فأين عاطفة الأخوة ؟

أو إن أسأت ، كما أسأت ، فأين فضلك والمروءة ؟

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

هَبْنِي مَسِيئًا كَالَّذِي قَلتَ ظَالِمًا فَعَفُوًّا جَمِيلًا كَمَا يَكُونُ لَكَ الْفَضْلُ

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ - لِسُوءِ مَا أَتَيْتُ بِهِ - أَهْلًا ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

هَبْنِي أَسَاتُ ، وَكَانَ جُرْمِي مِثْلَ جُرْمِ أَبِي لَهْبٍ

فَأَنَا أَوْبٌ كَمَا أَسَأْتُ ، وَكَمْ أَسَاتَ فَلَمْ تَتَّبِعْ ؟

وأنشدني محمد بن أبي علي ، أنشدنا الربيع عن الأصمعي :

أَتَيْتُكَ تَائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَيْرَ النَّاسِ مِنْ أَخْطَا فَتَابًا (١)

أَلَيْسَ اللَّهُ يُسْتَعْفَى فَيَعْفُو وَقَدْ مَلَكَ الْعَقُوبَةَ وَالثَّوَابَا

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

عَصَيْتُ وَتَبْتُ ، كَمَا قَدْ عَصَى وَتَابَ إِلَى رَبِّهِ آدَمُ

فَقُلْ قَوْلَ يُوسُفَ لَا تَتْرَبًا لَكُمْ يَغْفِرُ الْغَافِرُ الرَّاحِمُ

أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهَاجِرِ الْمَعْدِلِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُرْزِيُّ عَنْ حَمِيدِ بْنِ

سِنَانِ الْخَالِدِيِّ - وَكَانَ نَدِيمًا لِأَبِي دَلْفٍ - قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي دَلْفٍ يَوْمًا ،

وَبَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابٌ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَفِيهِ

أَبْيَاتٌ أَحَبُّ أَنْ أُشْدَكَ بِهَا ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ اسْتَبْطَأْتَهُ فِي بَعْضِ الْمُؤَامِرَاتِ ،

فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

(١) أخطأ : أصله أخطأ ، فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها .

أرى وُدَّكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهدُ  
وودي بكم كالآس حسناً وبهجة له نضرة تبقى إذا فنى الورد  
فكتب إلى بهذه الأبيات :

شبهت ودي الورد ، فهو مشاكلي وهل زهرٌ إلا وسيدها الوردُ ؟  
وشبهت منك الود بالآس في البقا ولم تخاف التشبيه فيك ولم تمدُّ  
فودك كالآس المرير مذاقه وليس له في الريح قبل ولا بعدُ

أخبرنا عبد الكبير بن عمر الخطابي بالبصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستاني عن  
الأصمعي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : كان لأبي الأسود الدؤلي صديق ،  
فرأى منه بعض ما يكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرأة لم أكن أبله<sup>(١)</sup> أتاني ، فقال : اتخذني خليلاً  
فخالته ، ثم صافيته فلم ينقص الود منه فتبلاً  
فراجعتُه ، ثم عاتبته عتاباً رقيقاً ، وقولا جميلاً  
فألقيته غير مُستعَبٍ ولا ذا كبرٍ الله إلا قليلاً  
أنت حقيقاً بتوديعه وأسمع ذلك هجراً طويلاً

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاعتذار يذهب الموم ، ويجلي الأحران ،  
ويدفع الحقد ، ويذهب الصد ، والإقلال منه تستغرق فيه الجنايات العظيمة  
والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي ، فلو لم يكن  
في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تُحمد إلا نفي التعجب عن النفس في الحال لكان  
الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زلة .

(١) هكذا في الأصل ، والمحفوظ « رأيت امرأة كنت لم أبله » إلخ ، مع بعض

اختلاف في الباقي .

ولقد أنشدني الكريزي :

فانظر إلى بطف غير ذي مرض فطال ماصحاً لي من طرفك النظرُ  
أدرك بفضلك عظماً كنت تجبّه واجمع برقك ماقد كاد ينتشر<sup>(١)</sup>  
أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ،  
حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عتبسة بن سعيد ، على معن بن  
زائدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : يا عبد الرحمن ، بأى وجه  
أتيتني ؟ ولأى خير أمّلتني ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع مني حتى أنشدك  
بيتين قالهما نصيب في عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأنشده :

لو كان فوق الأرض حيُّ فعائله كنفعلك ، أوللفعل منك مقارب  
لقلت له هذا ، ولكن تعذرتُ سواك على المستعنين المذاهبُ  
فقال : أقم ، فإنى لا أواخذك فيما مضى ، ولا أعنفك فيما بقى .

أنبأنا الخلابي حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق ، قال ابن  
السيك لمحمد بن سليمان ، أو حماد بن موسى لكاتبه ، ورآه كالمعرض عنه : مالى  
أراك كالمعرض عنى ؟ قال : بلغنى عنك شيء كرهته ، قال : إذاً لا أبالي ، قال : ولم ؟  
قال : لأنه إن كان ذنباً غفرته ، وإن كان باطلاً لم تقبله ، قال : فعاد إلى الموانسة .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب  
« سراعاة العشرة » ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

### ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد  
العبدى ، حدثنا الهيثم بن أيوب العطار السلمي ، حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن  
محمد بن مطرف أبي غسان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن أبي هريرة قال :

(١) ينتشر : يتفرق ويذهب ههنا وههنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الحوائج بكتمان السر ؛ فإن لكل نعمة حاسداً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عمرو هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت <sup>(١)</sup> عن ذكره .

فالواجب على من سلك سبيل ذوى الحجب لزوم ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداء المكنون فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لا بد من أن يضرب ضرباته ، فيوقع ضدَّ الوصل بينهما بحالة من الأحوال فيخرجه وجود ضد ما انطوى عليه قديماً من وفائه إلى صحة الخروج بالسكينة إلى جنائه ، بإبداء مكنوماته ، والكشف عن مخبأته .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثني محمد بن عبد الكريم العبدى ، حدثنا بكر بن يونس بن بكير ، حدثني موسى بن علي عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من الرجل يفرُّ من القدر ، وهو واقع ، ومن الرجل يرى القداة في عين أخيه ، ويدع الجذع في عينه ، ومن الرجل يخرج الضغن من موضع ويدع الضغن في نفسه ، وما ندمت على أمر قط فأمت نفسي على تندي على ، وما وضعت سرى عند أحد فامته على أن يفشيه ، كيف ألومه وقد ضقت به ؟ وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تبيع بسرِّك ضيقاً به      وتبغى لسرك من يكتم  
وكتمانك السرَّ ممن تخاف      ومن لا تخافه أحمم  
إذا ذاع سرُّك من مخبر      فأنت ، وإن لمسه ، ألوم

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره      فألقاه في صدري ، فصدرى أضيح

ومن لامنى فى أن أضيع سره وضيمه قبلى ، فذو السر أخرج<sup>(١)</sup>  
أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد  
ابن إسحاق عن المدائنى قال : كان يقال : أصبر الناس الذى لا يفشى سره إلى صديقه  
مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشييه ، وأنشدنى البغدادى :

صن السر بالسكتان يرضيك غيبه فقد يظهر المرء المضيع فيندم  
فلا تلجن سراً إلى غير حرزه فيظهر حرز السوء ما كنت تكتم  
وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

إذا المرء لم يحفظ سريرة نفسه وكان لسراً الأخر غير كتوم<sup>(٢)</sup>  
فبعداً له من ذى أخ ومودة وليس على ودي له بمقيم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من حصن بالسكتان سره تم له تديره ، وكان  
له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر ، وإن أخطأه التمكن والظفر ،  
والحازم يجعل سره فى وعاء ، ويكتمه عن كل مستودع ؛ فإن اضطره الأمر  
وغلبه أودعه العاقل الناصح له ؛ لأن السر أمانة ، وإفشاؤه خيانة ، والقلب له  
وعاؤه ، فمن الأوعية ما يضييق بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع .

وأنشدنى الكرىزى :

اجعل لسرك من فؤادك منزلاً لا يستطيع له اللسان دخولا  
إن اللسان إذا استطاع إلى الذى كتم الفؤاد من الشئون وصولاً  
ألفت سرك فى الصديق وغيره من ذى العداوة فاشياً مبدولاً  
وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

سأكتمه سرى ، وأكتم سره ولا غرني أنى عليه كريم  
حليم فيفشى ، أو جهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وحليم  
أخبرنى محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنى على بن عيسى

(١) أخرج : أحرق . (٢) الأخر ، هنا بتشديد الخاء ، وهى لغة .

عن محمد بن زياد عن ابن الأعرابي قال : كان يقال : العاقل من حذر صديقه ،  
وأنشدني بعض إخواننا :

لعمرك كتمان الفتى سرّاً مانوى      أعفُ وأدنى للرشاد وأكرمُ  
وأجملُ في بث الحديث مقالة      وأحسن في الأخلاق دوماً وأحزمُ  
وأنشدني الكريزي :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها      فأنت إذا حملته الناس أضيعُ  
ويضحك في وجهي إذا مالقيته      وينهشني بالغيب يوماً ويلسع  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز، وما كتبه  
المرء من عدوه فلا يجب أن يظهره لصديقه ، وكفى لذوى الألباب عبراً ماجربوا ،  
ومن استودع حديثاً فليستر ، ولا يكن مهتاً كما ، ولا مشياً ، لأن السر إنما سمي  
سراً لأنه لا يفشى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفشيه .  
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعم

قال : أنشدني محمد بن سليمان بن سلام الجمحي لرجل من عبد شمس :

إذا ماضقَ صدرك عن حديث      فأفشاء الرجال ، فمن تلومُ ؟  
إذا عاتبتُ من أفشى حديثي      وسرّي عنده فأنا الظلوم  
وإني يوم أسأم حمل سرى      وقد ختمته صدرى شؤون  
فلمست مُحدثاً سرى خليلي      ولا نفسى إذا حضرت هموم  
وأطوى السرّ دون الناس ؛ إني      لما استودعت من سر كُتومُ

وأنشدني علي بن حيدة الكاتب ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن بندار

لشيطان الطاق :

أمتِ السر بكتاف ولا      يُسمعن منك إذا استودعت سرّ

فإذا ضقت به ذرعا ، فلا تضعنُ سرَّك إلا عند حُرِّ  
أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادي ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن  
داود يقول : سمعت الأعمش يقول : يضيق صدر أحدهم بسرّه ، حتى يحدث به ،  
ثم يقول : ا كتمه على .

وأنشدني إبراهيم بن علي الظفري <sup>(١)</sup> أنشدني الحسين بن عبيد الله :  
لا يكتم السر إلا من له شرف والسر عند كرام الناس مكتوم  
السر عندى فى بيت له غلق ضلت مفاتيحه والبابُ مختوم  
أنبأنا الخلابى ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياضى ، قال : أنشدنا  
عبد الرحمن بن محمد :

وإنى لأنسى السر كما أصونه فيامن رأى شيئا يُصان بأن ينسى  
مخافة أن يجرى بيالى ذكره فيخلصه قلبى إلى منطقى خلسا  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأى ، والرأى  
بتحصين الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة فى يده ، ومن أنبا الناس بأسراره  
هان عليهم وأذاعوها ، ومن لم يكتم السر استحق الندم ، ومن استحق الندم صار  
ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجم إلى الجهل .

فتحصين السر للعاقل أولى به من التلطف بالندم بعد خروجه منه .  
ولقد أحسن الذى يقول :

خشيتُ لسانى أن يكون خؤونا فأودعته قلبى ، فكان أمينا  
فقلت ، ليخفى دون شخصى وناظرى : أيا حرَّ كاتى كنَّ فى سكونا  
أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطى ، حدثنا محمد بن سليمان المصيصى ، حدثنا  
ابن عيينة عن ابن شُبْرَمَةَ عن الحسن فى قوله تعالى ( ٣ : ١٥٩ ) وشاورهم فى الأمر

(١) وجد فى هامش الأصل « نسخة الطرقى » .

قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يستنَّ به مَنْ بعده .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بضامن ، والمستشير  
متحصن من السقط ، متخير للرأى .

والواجب على العاقل السالك سبيل ذوى الحجبى : أن يعلم أن المشاورة تفشى  
الأسرار ، فلا يستشير إلا اللبيب الناصح الودود القاضل فى دينه ، وإرشاد المشير  
المستشير قضاء حق النعمة فى الرأى ، والمشورة لا تخلو من البركة إذا كانت مع  
مثل من وصفنا نفعه .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة ، قال : قال الحسن  
ماحزب<sup>(١)</sup> قوما قط أمر فاجتمعوا فتشاوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه .  
وأنشدنى الكريزى :

دَبَّرَ إِذَا مَارَمْتَ أَمْرًا بِفِكْرَةٍ      لتعلم ما تأتي وما تتجنبُ  
وشاور نقيَّ الرأى عند التباسه      لكى يَصِحَّ الأمر الذى هو أصوب<sup>(٢)</sup>  
وأنشدنى المنتصر بن بلال :

لا تسبقنَّ الناس بالرأى واتئد      فإنك إن تعجل إلى القول تزليل  
ولكن تصفح رأى من كان حاضراً      وقل بعدهم رسلا ، وبالحق فاعمل

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنى يحيى بن يزيد بن محمد الأبلى ، حدثنى  
إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلى عن عبد الله بن الديلمى عن وهب بن منبه  
أنه قال : فى التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى  
استأثر ، والفقر الموت الأحر ، وكما تدين تدان .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا أنسَ أنسُ من استشارة عاقل ودود ، ولا  
وحشة أوحش من مخالفته ؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاحا رحمة ،

(١) حزبههم : اشتد عليهم وشق .

(٢) يضح : مضارع وضع ، إذا اشتد ظهوره .

ومن استشير فليشر بالنصيحة ، وليجتهد بالرأى ، وليلزم الحق ، وقصد السبيل  
وليجعل المستشار كمنه بترك الخيانة ، وبذل النصيحة ، وليكن كما أنشدني علي  
ابن محمد البسامي :

ومن الرجال إذا زكت أحلامهم من يستشار إذا استشير فيطرق  
حتى يحول بكل واد قلبه فيرى ويعرف مايقول وينطق  
إن الخليم إذا تفكر لم يكذب يخفى عليه من الأمور الأوفق  
أبناؤنا أبو يعلى ، حدثنا عثمان بن الربيع ، حدثنا يزيد بن ثابت عن إياس  
ابن دغفيل عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماشاور قوم قط  
إلا هُودوا إلى رشدهم » .

أخبرني محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن خالد السيرافي ، حدثنا شيبان ، حدثنا  
أبو الأشهب قال : قال الحسن : لا يندم من شاور مرشدا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا استشير قوم هو فيهم  
أن يكون آخر من يشير ؛ لأنه أمكن من الفكر ، وأبعد من الزلل ، وأقرب من  
الحزم ، وأسلم من السقط ، ومن استشار فلينفذ الحزم بأن لا يستشير عاجزاً ، كما أن  
الحازم لا يستعين كسلاً ، وفي الاستشارة عين الهداية ، ومن استشار لم يعد مرشداً ،  
ومن ترك المشاورة لم يعد غياً ، ولا يندم من شاور مرشداً ، ولقد أنشدني الواسطي :

الهمم ما لم تمضه لسبيله سقم القلوب وآفة الأبدان  
ومعول الرجل الموفق رأيه عند اعتراض طوارق الأحزان  
وإذا الحوادث سددت أسبابه كان التبصر أنجد الأعوان  
وإذا أضل سبيله تديره طلب الهدى بتشاور الإخوان  
أبناؤنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا مطروح بن شاكر ، حدثنا أصبغ عن ابن  
وهب عن إبراهيم بن نشيط عن ابن أبي حسين قال : كان يقال : ماهلك امرؤ  
عن مشورة ، ولا سعد بتوحد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من شيم العاقل عند الفأبة تنويه : أن يشاور عاقلاً ناصحاً إذا رأى ثم يطيعه ، وليعترف للحق عند المشورة ، ولا يتأدى فى الباطل ، بل يقبل الحق ممن جاء به ، ولا يحقر الرأى الجليل إذا أتاه به الرجل الحقيق ؛ لأن اللؤلؤة الخطيرة لا يشينها قلة خطر غائصها الذى استخرجها ، ثم ليستخر الله ، ويمض فيما أشار عليه ؛ ولقد أنشدنى البغدادى :

أطع الخليم إذا الخليم عصب كما      إن الخليم إذا عصاك هدا كما  
وإذا استشارك من تؤد ، فقل له :      أطع الخليم إذا الخليم نها كما  
ولئن أبيت لتأتين خلفه      أرباً يحوطك ، أو يكون هلا كما  
واعلم بأنك لن تسود ، ولن ترى      سبل الرشاد إذا أطعت هوا كما

أبناؤنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجرجان ، حدثنا محمد بن حميد البراز حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة ليس لهم رأى ، فلا تستشيروهم : صاحب الخف الضيق ، وحاقن البول ، وصاحب المرأة السوء السليطة (١) .

### ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أبناؤنا الحسين بن محمد بن أبي معشر - بجران - حدثنا عبد الرحمن بن عمرو البجلي ، حدثنا زهير بن معاوية عن سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثى عن تميم الدارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة ، قيل : لمن يارسول الله ؟ قال : الله ، ورسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ، وترك الخيانة لهم بالإضرار والقول والفعل معاً ؛ إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من بايعه من أصحابه « النصيح لكل مسلم » مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

(١) السليطة : أى البديهة اللسان التى تكثر من قول السوء .

وأخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه « لا تعمل بالخديعة فإنها خلق اللئام ، والمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وزُلْ معه حيث زال » .  
وأشدني الكريزي :

قل للنصيح الذي أهدى نصيحته سرًّا إلينا ، وسامته التكليفُ  
النصح ليس له حدٌّ فتعرفه والنصح مستوحش منه ومألوف  
حتى إذ صرَّحتُ عنَّا عواقبه كانت لنا عِظَةً منه وتعنيف  
لو كان للنصح حدٌّ يستبان به ما نالنا حَسْرَةً منه وتلهيف  
لكن له سُبُلٌ شَتَّى مخالفة بعضٌ لبعض ، فجهول ومعلوم  
والناس غاوٍ ، وذورشد ، ومختلط والنصح ممضًى ، ومردود ، وموقوف  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما  
أن خير الأعمال أحدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصا ، وضرب الناصح خير من  
تحية الشانيء .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبدولة للعامة مكتوما من العام والخاص ما قدر  
عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأبنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم  
التميمي ، حدثني أبي قال « لما قدم على الكوفة لقيه المغيرة بن شعبة ، فقال له :  
إني أشير عليك برأى فأقبله ، قال : هات ، قال : أقرَّ معاوية على الشام ، يسمح  
لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه ، ووليهم عشرين سنة لم يعتبروا  
عليه ، ولم يعتبروه في عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألتني قرية ما وليته إياها ،  
قال : فقال المغيرة : أراه سبلى أرضين وقرى بات »

أبنا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ،

حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال « المؤمن شعبة من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يعجبه سدّده وقوّمه ونصحه في السر والعلانية » وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أَمِنْتُ عَلَى السَّرِّ امْرَأً غَيْرَ حَازِمٍ      وَلَسْكَنَهُ فِي النَّصِيحِ غَيْرُ مَرِيْبٍ  
فَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ ، حَتَّى كَأَنَّما      بَعْلِيَاءَ نَارًا أَوْقَدْتَ بِتَّقْوَبِ  
فَمَا كُلُّ ذِي لَبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصَحَهُ      وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نَصَحَهُ بِبَلِيْبِ  
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ      فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بِنَصِيْبِ

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : قال بعض الحكماء ، « اثنان ظالمان : رجل أهديت له النصيحة فاتخذها ذنباً ، ورجل وسّع له في مكان ضيق فجلس متربعا » قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس على كل ذي نصح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه لم يحمّد غيباً رأيه ، ومشاوره الأعمى أحمد من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن لا يشكر كان كالباذر في السباح ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه ، وأنشدني الأبرش :

إِذَا نَصَحْتَ لَذِي عَجَبٍ لَتُرْشِدَهُ      فَلَمْ يَطْعَمْكَ ، فَلَا تَنْصَحْ لَهُ أَبْدَا  
فَإِنْ ذَا الْعَجَبِ لَا يَعْطِيكَ طَاعَتَهُ      وَلَا يُجِيبُ إِلَى إِرْشَادِهِ أَحْدَا  
وَمَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ غَاوِيَ غَوَى حِقَبًا      إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ قُرْبَى ، أَوْ يَكُنْ وَلَدَا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا قبل ؛ ولكن إبدائها لا يجب إلا سرا ؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ، ومن وعظه سرا فقد زانه ، فابلاغ الجهود للمسلم فيما يزين أخاه أخرى من القصد فيما يشينه .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا الرمادى حدثنا علي بن المدينى حدثنا سفيان قال : قلت لسَعْر « تحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ قال : أما أن يحبني إنسان فيؤبئني بها فلا ، وأما أن يحبني ، ناصح فنعلم » .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي حدثنا محمد بن علي الشقيق حدثنا أبي عن ابن المبارك قال « كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره في ستر ، ونهاه في ستر ، فيؤجر في ستره ، ويؤجر في نهيه ، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره »

أخبرنا محمد بن سعيد انقراز حدثنا محمد بن منصور حدثني علي بن المدينى عن سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل - وعنده قوم - فسأره بشيء ، ثم انصرف ، فقال : أتدرون ما قال لي ؟ قال : رأيتك التفت أمس وأنت تصلي « قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعمت ما وصفنا تقيم الألفة ، وتؤدي حق الأخوة .

وعلاوة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سراً ، وعلاوة من أراد شينه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء في السر والعلانية .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فكم من عدو مُعلنٍ لك نصحه  
وكم من صديق مرشدٍ قد عصيته  
وما الأسر إلا بالعواقب ؛ إنها  
سيبدو عليها كل سر وذائع

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

وصاحبٍ غير مأمون غوائله  
على خلاف الذي يُبدي ويظهره  
يبدى لي النصيح منه وهو مشتمل  
وقد أحطت بعلمى أنه دغل  
عقله إليه من الزلات ينقل  
غفوت عنه انتظارا أن يشوب له

دهرا فلما بدا لي أن شيمته غش وليس له عن ذلك مُنْتَقَلُ  
تركته ترك قال لا رجوع له إلى مودته ما حنّت الإبل<sup>(١)</sup>  
أخبرنا عبد الله بن محمد القيراطي حدثنا محمد بن يزيد الملقب بِتَحْمَشٍ حدثنا  
يعلى بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبيه قال : كتب الربيع بن خيثم وصية :  
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الربيع بن خيثم ، وأشهد عليه ،  
وكفى بالله شهيداً وجزاءً لعباده الصالحين مثيباً ، إني رضيت بالله رباً ، وبالإسلام  
ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وأن يعبد الله<sup>(٢)</sup> من أطاعني في العابدين  
وبحمده في الحامدين ، وينصح لجماعة المسلمين »

#### وصية الخطاب بن المعلی الخزومي ابنه

أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي  
حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلی الخزومي القرشي  
أنه وعظ ابنه فقال « يا بني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع  
سنته ومعامله ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ،  
وإني قد وسمت لك وسمًا ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته وعملت  
به ملأت أعين الملوك ، وانقادك به الصلوك ، ولم تزل مرتجى مشرفاً يُحتاج  
إليك ، ويرغب إلى ما في يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ  
لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبُّك ، وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك  
والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وعليك  
بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكي عنك ، والق  
صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير ذلّة لهم ولا هيبة منهم ،

(١) الإبل لا تترك الحنين ، فهذه كناية عن دوام تركه إياه .

(٢) في الأصل « وأن يعبد الله ومن أطاعني » والواو مقحمة .

وكن في جميع أمورك في أوسطها ؛ فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ،  
وأفش السلام ، وامش متمكنا قَصَدا ، ولا تخطُ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ،  
ولا تلوِّ عُنُقك ، ولا رداءك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا  
تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثا ، ولا تكثر  
المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقصر ، وإذا  
جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعَبَث بلحيتك وخاتمك ،  
وذؤابة سيفك ، وتحليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب  
عنك ، وكثرة الثاؤب والتمطى ، وأشبه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويفتمزون  
به فيك .

وليكن مجلسك هاديا ، وحديثك مقسوما ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن  
حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغَضَّ عن الفكاهات ،  
من المضحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ،  
ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت  
عجبا بشيء منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عطفك ،  
ولا تصنعُ تصنعَ المرأة ، ولا تبدلُ تبدلَ العبد ، ولا تهلبُ<sup>(١)</sup> لحيتك ولا  
تَبْطِنها ، وتوق كثرة الحف ، وتنف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في  
الدهن ، وليكن كحك غبياً ، ولا تلحَّ في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا  
تُعلمُ أهلَكَ وولدَكَ - فضلا عن غيرهم - عدد مالك ، فإلهم إن رأوه قليلا هنت  
عليهم ، وإن كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، ولين لهم في  
غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب

(١) هلب الشعر: تنف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الدقن

عن عجلتك ، وتفكر في حُجَّتِكَ ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتيك ، وتوق حمرة الوجه ، وعرق الجبين وإن شفه عليك فأحلم ، وإذا هدا غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك ، وألق الفضول عندك ، وإن قربك سنطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكله بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من إطفاه إياك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطت الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض ، وزلة لا تقال ، وإذا وعدت فحقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تبهر بمنطقك كمنارِع الأسم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب ، وتفث لها الجلود<sup>(١)</sup> ، وإياك ومضعف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، وعجل ، وما أشبه ذلك ، وإذا توضحت فأجد عزتك كعيبك : وليكن وضعك لحرص<sup>(٢)</sup> من الأسنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخع في الطست ، وليكن طرحك الماء من فيك مترسلاً ، ولا تمخ فتنضح على أقرب جلسائك ، ولا تعص نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقي منها منصيفاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبت بالمشاش<sup>(٣)</sup> ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المشهور ، ولا تبدر تبذير السفية المغرور ، واعرف في مالك واجب الحقوق ، وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس محتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى

(١) تفث لها الجلود : تقشعر .

(٢) الحرص - بزنة قفل أو عتق - الأسنان تغسل به الأيدي إثر الطعام .

(٣) المشاش - بزنة غراب - العظم الذي لامخ فيه .

الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، وربّ أكلة تمنع أكالات ، والتعفف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى في بعيد القمر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ولصدق يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه فائله ، ومعاداة الحلیم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على المهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء المضال ، ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزي بالعتلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .  
واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقرينه ، وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من راقهم ، ويخزون من صادقهم ، وقربهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ، واستخفاف المستجير لثوم ، والعجلة شوم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبك الجهم من الرجال ، ولا تحقر ضئيلا كالخلال<sup>(١)</sup> فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه .

وتوق الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادي ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقسام ، وامنح البشر جليساك ، والقبول ممن لا فاك .

وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإياك

---

(١) الخلال - بكسر الحاء ، بزنة الكتاب - العود الذي تجلل به الأسنان ،

يريد الرجل النحيف البالغ النحافة .

والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متغرباً ، متعزلاً ، منتهزاً في فرصتك ، رقيقاً في حاجتك ، متبثلاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .  
واحذر ما يلزمك اللأمة في آخرتك ، ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالنورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استككت فعرضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنارعتك اللثيم تطعمه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة ، مخافة الإجابة ، والساعى إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للمغائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناء ، وتاديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوقاح<sup>(١)</sup> وزير ، والحليم مطية الأحمق ، والحق داء لاشفاء له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجر ، والشح شقاء ، والشجاعة بقاء ، والمهذية من الأخلاق السرية ، وهي تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار دينا ، ومن المعروف ابتداء من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء بخير خير من معاملة بشر ، والعرق نزاع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان خرق بالإنسان ، والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأجمل منفعة إيسار في دعة ،

(١) الوقاح - بفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهي الإفراط في سوء الأدب

وكثرة العلل ، من البخل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء ،  
يذهب بالشقاء ، ولين الكلام ، من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت  
بفكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقّ منهن كل ذات  
بدا ، مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها رأته  
لفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف  
صقيل ، قد كشفت الفجة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحي من إغوارها ، ولا  
تستحي من جارها ، كلبة هرارة ، مَهَارِشَةُ عَقَّارَةٍ<sup>(١)</sup> ، فوجه زوجها مكلوم ،  
وعرضه مشتوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا دنيا ، ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة  
بنين ، حجابها مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كثيباً ، ويمسى  
عاتباً ، شرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ،  
ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ،  
تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسبُه مثل العقرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شعشع سلفع<sup>(٢)</sup> ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ،  
تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن  
قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لحازيه ، محتقرة لما في يديه ، تضرب له الأمثال ،

(١) هر الكلب هريراً : نبح ، وعقارة : تعقر صاحبها كما يعقر الكلب .

(٢) الشفشليق ، العجوز المسترخية ، والشعشع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة

البديئة السيئة الخلق ، والسم المنقع : المرين .

وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ، وغثَّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحقاء<sup>(١)</sup> : ذات الدَّل في غير موضعها ، الماضغة للسانها ، الآخذة في غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراجع ، تنشر الشمس ولما يُسمع لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناؤها وضير<sup>(٢)</sup> ، وعجينها حامض ، وماؤها قاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبتها ، المحبوبة في جيرانها ، المحمودة في سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتا ، النظيفة بيتا ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، موموقة مألوفة ، وبالغفاف والخيرات موصوفة .

جعلك الله يا بنى ممن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويجنب السخط ، ويجب الرضى .

والله خليفتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

### ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى الموصلي حدثنا وهب بن بقية الواسطي حدثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس قال : قال رسول الله

(١) الورهاء : الحقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أى كثيرة المطر  
(٢) الوضر - بفتح الواو والضاد - بقية الدسم والدهن في الإناء ، والوضر - بكسر الضاد - الوصف منه .

صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ،  
وكونوا عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد  
ولا التدابر بين المسلمين ، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانا كما أمرهم الله ورسوله  
فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، ينفي الغش  
والدغل ، مع استسلام الأنفس لله عز وجل ، مع الرضا بما يوجب القضاء  
في الأحكام كلها ، ولا يجب المهجران بين المسلمتين عند وجود زلة من أحدهما ،  
بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق ، وترك المهجران .

ولقد حدثني محمد بن المهاجر حدثني موسى بن محمد الأخبارى عن الثميري  
حدثني محمد بن يحيى الكتاني قال : أنشدني أبو غزيرة معاوية بن عبد الله  
ابن جعفر :

لا يُزُهَدَنَّكَ في أخ لك أن تراه زل زلّه  
والمره يطرحه الذين يلونه في شر أه<sup>(١)</sup>  
ويخونه من مأمّن أهل البطانة والدخلة<sup>(٢)</sup>  
والموت أعظم حادث مما يمر على الجيلة

أنشدني محمد بن الحسن بن قتيبة أنشدني حميد بن عياش :

ولأنك في حب الأخلاء مفرطاً فإن أنت أبغضت البغيض فأجل  
فإنك لا تدري متى أنت مبغض حبيبك أو تهوي البغيض فأعقل

(١) « الألة » بفتح الهمزة - أصله الحربة والسلاح ، وأراد في شر موضع

(٢) « الدخلة » الدخيلة وباطن الأمر ، وأصلها بسكون الخاء فأتبع حركتها  
حركة الدال .

وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسوي ثعلب :

وما صدودُ ذواتِ الدَّلِّ يَرْمِضُنِي      لَكِنَّمَا المَوْتُ عِنْدِي صَدُّ إِخْوَانِي  
إِنِّي لِأَصْبِرُ مِنْ عَوْدٍ بِهِ جُلِبَ      عِنْدَ المَلَلَاتِ إِلَّا عِنْدَ هِجْرَانِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا رَأَيْتَ ازْوَرَارًا مِنْ أَخِي ثِقَّةً      صَافَتْ عَلَيَّ بِرِجْبِ الأَرْضِ أوطَانِي  
وَأَنشَدَنِي الأَبْرَشُ :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ      وَتَوَسَّمْنَا أُمُورَهُمْ وَتَقَدَّرَ  
فَإِذَا ظَفَرَتْ بِنَدَى اللِّبَابَةِ وَالتَّقَى      فِيهِ اليَدِينِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ  
فَمَتَى يَزِلُّ ، وَلَا مَحَالَةَ ، زَلَّةً      فَعَلَى أَخِيكَ بِفَضْلِ حَلْمِكَ فَارِدِدِ  
وَإِذَا الخَنْئَى تَقَضَّ الحُجْبَى فِي مَجْلَسِ      وَرَأَيْتَ أَهْلَ الطَّيْشِ قَامُوا فَاقْعَدِ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للبرء أن يدخل في جملة العوام والهمج بإحداث الود لإخوانه ، وتكديره لهم بالخروج بالسبب الذى يؤدي إلى الهجران الذى نهى المصطفى صلى الله عليه وسلم عنه بينهم ، بل يقصد قصده الإغضاء عن ورود الزلات ، ويتحرى ترك المناقشة على المفوات ، ولا سيما إذا قيل فى أحدهم الشيء الذى يحتمل أن يكون حقا وباطلا معا ، فإن الناس ليس يخلو وصلهم من رشق أسهم العذال فيه .

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبى يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول :

قال محمد بن حميد :

وَمَنْ ذَا مَنْ عَيُوبِ النَّاسِ نَاجٍ      بِحَقِّ قِيلَ فِيهِ ، أَوْ قَرِافِ<sup>(٢)</sup>  
قَبِيحٌ بِي إِذَا خَالَتْ خَلَا      وَلا زَمَّ خُلَّتِي أَنْ لَا أَكْفَى  
وَكَلُّ مَوَدَّةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا      إِذَا لَمْ تَحْتَمِلْ حَقَّ المُصَافِي

(١) العود - بالفتح - الجمل السن ، والجلب : القروح

(٢) أقرفه بكذا وقرفه : اتهمه .

فأما في الكلام فكم وفي ولكن في الشدائد لا يوافق  
إذا أحببت لم أنقض إخائي ولم أبن الإخاء على اعتساف  
ولكن أمتحُ الكرماء ودًا ولا أدعو اللثام إلى العطاف  
متى تقطعُ صديقك بعد وصل ولا تثبت ، فعهك غير واف  
إذا مالرء أدبر لم تُطقه وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت أبا عمار  
الحسين بن حريث يقول : قيل لرجل : ألك عيوب ؟ قال : لا ، قيل له : فلك  
من يلتسها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثر عيوبك ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة  
أشياء : إما وجود الزله من أخيه - ولا محالة يزل - فلا يفضى عنها ولا يطلب لها  
ضدها ، وإبلاغ وإش يقدر فيه ، ومشى عاذل بثلب له فيقبله ولا يطلب لتكذيبه  
سببا ، ولا لأخيه عذرا ، وورود ملل يدخل على أحدهما ، فإن الملامة تورث القطع  
ولا يكون للول صديق .

ولقد أخبرني محمد بن أبي على الخلابى حدثنا محمد بن إبراهيم اليعمرى

حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم الإصبهاني أنشدني بعض أهل الأدب :

إنَّ الملوَّةَ ودُّهُ مثل السراب يذم وردة

أو كالسحاب الزائد السِّراق لم يصدقك وعدة

أو كالحسام هزَّزته عند الضراب ، فكلَّ حده (١)

لا تقبلنَّ إخاءه فوعيده كذبٌ ووعدده

بيننا يودك رأى عينك إذ بدالك منه صدده

وتفـيرت أخلاقه وأزور ، حتى مال خده

(١) كل حده : ضعف

أنبأنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم  
ابن بشار عن سفيان قال : كان لابن شُبْرَمَةَ أخ ، جفاه ، فكتب إليه :  
كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة  
أيام ؛ فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهى النبي صلى الله عليه وسلم ، وخيرهما الذى  
يبدأ بالسلام ، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة ، ومن هجر أخاه سنة  
كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهاجرٌ أخاه دخل النار ، إن لم يتفضل الله  
عليه بغيره ورحمة ، وغاية ما أبيع من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام .

ولقد أنشدنى عبید الله بن محمد الأنماطى قال : أنشدنى محمد بن الحسن :  
ياسيدى عندك لى مظله فاستفت فيها ابن أبى خيثمه  
فإنه يرويه عن شيخه قال : روى الضحاك عن عكرمه  
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالرحمة  
إن صدود الخلل عن خله فوق ثلاث ربنا حرمة (١)  
وأنشدنى محمد بن شاه الأبيوردى بالموصل :

ماودنى أحد إلا بذلت له صفو المودة منى آخر الأبد  
ولا جفاني وإن كنت الحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد  
ولا أمنت على سر فبحت به ولا مددت إلى غير الجليل يدي  
ولا أخون خليلي فى خليلته حتى أغيب فى الأكفان واللحد  
أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع حدثنا محمد بن سماعه .

(١) وفى غير الأصل بعد الأبيات

وأنت مذ شهر لنا هاجر فم نخاف الله فينا فمه ؟

قال : جئت يوماً إلى أبي على المصرى أسلم عليه ، قال : فبشّ بي واحتملنى في حجره ، ثم قال :

حسبى بوصلك في حياتى لذةً ورضيتُ في ذلك المعاد ثواباً  
لو كنتَ رزقى ما أردتُ زيادةً ولقلتُ : أحسنَ خالقي وأطاباً

### ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أبنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملى حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا حلِيم إلا ذو عَثرة ، ولا حلِيم إلا ذو تجرِبة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر في الضرب الذى ذكرت في كتاب فصول السنن بأن العرب تُضيف الاسم إلى الشيء للقرب من التمام ، وتنفي الاسم عن الشيء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون حلماً حتى يكون ذا عَثرة نفي النبي صلى الله عليه وسلم اسم الحلِيم عن من لم يكن بذى عَثرة ، لنقصه عن الكمال .

فالحلِيم : عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضى الفعل .

والحلم : اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه .

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت ، ولم يقرب شيء إلى شيء أحسن من غفو إلى مقدره .

والحلم أجل ما يكون من المقدر على الانتقام .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد حدثنا يحيى

ابن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن ضمرة قال : « الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

ألم تر أنَّ الحلمَ زينٌ مسوّدٌ لصاحبه والجهلَ للره شائنٌ  
فكُن دافئاً للشرِّ بالخيرِ تسترحُ من الهَمِّ ، إن الخيرَ للشرِّ دافنٌ

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا سُئتَ يوماً أن تسودَ عشيرةً فيالحلمُ سُدٌّ ، لا باتسرعِ والشتمِ  
وللحلمِ خيرٌ - فاعلمن - مَقَبَةٌ من الجهلِ ، إلا أن تشرسنَّ من الظلمِ (١)

وأشدني علي بن محمد البسامي :

فأرضَ بما حُمَّ من قضاءِ يَصِيكَ من ذلك الخيارِ  
وعشٍ حميداً ، رَخِيَّ بالِ ملازمتِكَ الحلمُ والوقارِ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من نفاسة اسم « الحلم » وارتفاع قدره ، أن الله جل وعلا تسمى به ، ثم لم يُسمَّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله وإسحاق ذبيحه ، حيث قال : ( ٩ : ١١٤ إن إبراهيم لأواهٌ حلِيم ) وقال : ( ٣٧ : ١٠١ فبشرناه بغلامٍ حلِيم ) (٢) .

(١) يعني أن الظالم المعتدي لا يناسب الحلم معه ، فلا ينبغي أن يعامل إلا بالقساسة التي تردعه .

(٢) هذه الآية من سورة الصافات ، والسياق فيها واضح جداً بأنه إسماعيل ، فإنه سبحانه وتعالى بعد أن ساق قصة الذبيح وصبره وأبيه ورضاهما التام عن ربهما وأمره ونجاحهما في هذا البلاء العظيم قال تعالى ( ٣٧ : ١٠٩ - ١١٣ سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ) =

ولو لم يكن في الحلم خصلة تحمد إلا ترك اكتساب المعاصي ، والدخول في  
المواضع الدنسة لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى  
استعماله سبيلا .

والحلم : سَجِيَّة ، أو تجربة ، أو هما .

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي .  
حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان .  
يقول « لا حلم إلا بالتجربة » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

صافِ الصديق بؤده وإذا ذنا شبراً فزده  
واحلم إذا نطق السفية ، فمن يرذ جهلاً يجده  
أبنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة .  
عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال « إنما العلم بالتعلم ،  
وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتوخ الخير يقطه ، ومن يتوق الشر يوقه » .

وأنشدني الكريري :

إذا أنا كافيت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثله إذا أحاوره ؟  
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش على ، فإني بالتحلم قاهره  
أبنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان .  
ابن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلاً كتب إلى أخ له :  
اعلم أن الحلم لباس العلم فلا تعرّين منه .

= والعجب العاجب أن يخفى هذا على ابن حبان وغيره حتى يقولوا : إن الديبج  
إسحاق ، مقلدين في ذلك من غير بيان حجة ، ثم غافلين عن النصوص القرآنية الصريحة ،  
وبالأخص في هذه السورة بهذا السياق البين .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صعب ذلك عليه فليتحالم ، لأنه يرتقى به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم التثبت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم الرضا ، ثم الصمت والإغضاء ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأما من أحسن إلى المحسن ، وحلم عن لم يؤذِهِ ؛ فليس ذلك بحلم ، ولا إحسان .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر المازني عن وهب بن منبه أنه قال : يا بني لا تجادلن العلماء فتهون عليهم فيرفضوك ، ولا تمارين السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، فإنه يلحق بالعلماء من صبر ورأى رأيهم ، وينجو من السفهاء من صمت وسكت عنهم ، ولا تحسبن أنك إذا ماريتَ الفقيه إلا زدته غيظاً دائباً ، ولا تَحْمِينَ من قليل تسمعه فيوقعك في كثير تكرهه ، ولا تفضح نفسك لتشفى غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فلينفعن إياك حلمك ، وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرك ، وما فضلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، واعف عن ظلمك ، وانفع من لم ينفعك ، وانتظر ثواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنة الكاملة التي لا يريد صاحبها عليها ثواباً في الدنيا .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا المرء لم يصرف عذاباً من الأذى حياءً ، ولم يفرّ لأخرق مذنب  
فلم يصطنع إلا قليلاً صديقه ومن يدفع العوراء بالحلم يغلب  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظ لسانك إن لقيت مشاماً لا تجرّين مع اللثيم إذا جرى  
من يشتري عرض اللثيم بعرضه يحوى الندامة حين يقبض ما اشتري

أبانا إبراهيم بن نصر العنبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم  
ابن رستم قال: سمعت ابن المبارك يقول: دعانا عبد الله بن عون إلى طعامه، فكنا  
نأكل، فجاءت الخادم ومعهما صحيفة فعثرت في ثوبها، فسقطت الصفحة من يدها  
فقال لها ابن عون: مترس آزادي<sup>(١)</sup>

حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا الفلابي، حدثنا ابن عائشة قال: قال محمد بن  
السعدى لابنه عمرو، لما ولى اليمن: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى  
الأرض تحتك، ثم عظم خالقهما.

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على العاقل، إذا غضب واحتد أن  
يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتراتها كه محارمه وتعديه حرمانه، ثم يحلم،  
ولا يخرج غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي.

والناس على ضرب ثلاثة: رجل أعز منك، ورجل أنت أعز منه، ورجل  
ساواك في العز؛ فالتجاهل على من أنت أعز منه لؤم، وعلى من هو أعز منك  
جَنَفٌ، وعلى من هو مثلك هراش كهراش الكلبين، ونقار كنفار الديكين،  
ولا يفترقان إلا عن الخدش والعقر والهجر، ولا يكاد يوجد التجاهل وترك  
التحالم إلا من سفهين، ولقد أحسن الذى يقول:

ما تمَّ حلمٌ ولا علمٌ بلا أدبٍ ولا تجاهلٌ في قوم حليانٍ  
وما التجاهل إلا ثوبٌ ذى دنسٍ وليس يلبسه إلا سفهانٍ  
وأشدنى ابن زنجى البغدادى:

وما شئ أسرُّ إلى لثيمٍ إذا شتم الكرام من الجواب  
متاركة اللثيم بلا جوابٍ أشدُّ عليه من مرِّ العذاب

(١) معناه بالفارسية: لا تخافى، أنت حرة.

وأنشدني الكريزي :

تجرد ما استطعت من السفية بحسن الحلم ، إن العزَّ فيه  
فقد يعصى السفية مؤدبيه ويؤرم باللجاجة منصفيه (١)  
تلين له فيغايظ جانباه كعير السوء يرمحُ عالفيه (٢)  
أبانا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الحسين بن محمد الأزدي الكوفي ، حدثنا  
عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال : كنت جالسا عند جعفر بن محمد ، ورجل  
يشكو رجلا عنده ، قال لي كذا ، وفعل لي كذا ، فقال له جعفر : من أكرمك  
فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ماضمٌ شيء إلى شيء هو أحسن من حلم إلى علم ،  
وما عُدِم شيء في شيء هو أوحش من عدم الحلم في العالم ، ولو كان للحلم أبوان  
لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ، وربما يُدفع العاقل إلى الوقت بعد  
الوقت إلى من لا يُرضيه عنه الحلم ولا يقنعه عنه الصمغ ؛ فحينئذ يحتاج إلى سفية  
ينتصر له ؛ لأن ترك الحلم في بعض الأوقات من الحلم .

ولقد حدثني محمد بن المنذر ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن  
ابن إبراهيم ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز ، أن رجلا استطال على  
سليمان بن موسى ، فسكت له سليمان وانتصر له أخوه ، قال : فقال مكحول : ذلَّ  
من لاسفيه له .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن  
ابن القاسم عن أبيه قال : قال أبو حنيفة لشیطان الطاق (٣) : ما تقول في التعة ؟

(١) أبرمه باللجاجة : أى غاظه بكثرة الملاحظة والتهادي في السفه والجهل . ولج في  
الأمر : أوغل فيه وزاد . (٢) العير : الحمار ، ورمح : يعنى رفس .  
(٣) شیطان الطاق : شاعر رافضى مشهور .

قال : حلال ، قال : فيسرك أن أمك تزوجت متعة ؟ فسكت عنه ساعة ، ثم قال :  
يا أبا حنيفة : ماتقول في النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : وشربه وبيعه وشراؤه ؟  
قال : نعم ، قال : فيسرك أن أمك تبيّأذة ؟ قال : فسكت عنه أبو حنيفة .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعدا  
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفنا  
وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

وُخِّيرت : أنى شئت ، فالحلم أفضل  
ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل  
إذا أمن الجهال جهلك مرة  
فمّمّ عليه الجهل والحلم وألقه  
فعرضك تارات ، ويخشاك تارة  
فعرضك للجهال غمّ من الغم  
بمرتبة بين العداوة والسلم  
وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم

حدثنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا  
أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : لالحلم لمن لا جاهل له .  
وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قال  
المأمون : يحسنُ بالملك الحلم عن كل أحد ، إلا عن ثلاثة : قادح في ملك ، أو  
مذيع لسر ، أو متعرض لحرمة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحلم على ضربين :

أحدهما : ما يرد على النفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن الله بها عباده  
فيصبر العاقل تحت ورودها ، ويحلم عن الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل .  
والآخر : ما يرد على النفس بصد ما شتهيه من الخلقين ، فمن تعود الحلم فليس  
بححتاج إلى التصبر ، لاستواء العدم والوجود عنده .

كما حدثنا أبو حمزة محمد بن يوسف بن عمر بنسا ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم  
الدورقي ، حدثنا عبد الله بن صالح المجلي قال : سمعت ابن أبي عتبة يقول :

قيل للأحنف بن قيس التميمي : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم التميمي ، أتاه آتٍ وهو محتبٍ ، فقال : ابن أخيك قتلَ ابنك ! قال : عصي ربه ، وفَتَّ عَضُدَهُ ، وقَطَعَ رَحْمَهُ ، جهزوه ، وما حَلَّ حُبُوتَهُ ، ففنه تعلمت الحلم .

حدثنا محمد بن شاذل الهاشمي ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادي ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن جعفر بن سليمان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبدة تصيبها المصائب ، فنكر من صبرها ، حتى أصابها مصيبة موجعة ، فصبرت ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : ما من مصيبة تصيبني فأذكر معها النار إلا صارت في عيني مثل التراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن خلاد الجهضى ، حدثنا خالد بن خدّاش ، حدثنا ابن وهب عن بكر بن مضر قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقى له بُنْيٌّ صغير ، فمات ، فأتاه إخوانه يعزونه وهو في ناحية المسجد ، فقال لهم : تركني حُزْنُ يوم القيامة لا آسى على شيء فأتني ، ولا أفرح لما أتاني .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن لشريح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحد ، فقيل له : يا أبا آمنة ، كيف هو ؟ قال : قد سكن عَزْزُهُ<sup>(١)</sup> ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكنَ منه الليلة .

ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية العجلة فيها

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة ، حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملكة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى

(٢) العلز - محرّكة - قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر .

حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ مَنَعَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ مَنَعَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها ؛ إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ومن منع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة.

وأشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

الرفق مما سيلقى اليمينَ صاحبهُ      وألحرق منه يكون العنفُ والزللُ  
والحزم أن يتأنى المرء فرصته      والكف عنها إذا ما أمكنت قسْلُ  
والبرُّ لله خير الأمر عاقبةً      والله للبرِّ عونٌ ماله مثل  
خيرُ البرية قولاً خيرهم عملاً      لا يصلح القول حتى يصلح العمل

وأشدني منصور بن محمد الكريزى :

الرفق أيمن شيء أنت تتبعه      والخرق أشأم شيء يقدم الرجال  
وذو التثبت من حمد إلى ظفر      من يركب الرفق لا يستحب الزللا  
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابى ، حدثنا محمد بن خلف البسامى عن أحمد

ابن موسى الأزرق أنه أشده :

وزن الكلام إذا نطقت ، فإنما      يبدى العقولَ أو العيوبَ المنطقُ  
لا أفتينك ثاويًا في غربة      إن الغريب بكل سهم يُرشق  
لو سار ألف مدجج في حاجة      لم يقضها إلا الذى يتفرق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الرفق في الأوقات ، والاعتدال في الحالات ؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب ، كما أن النقصان فيما يجب

من المطلب عجز ، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ، ولا دليل أمهر من رفق ،  
كما لا ظهير أوثق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفي الاحتراز ترجى  
السلامة ، وفي ترك الرفق يكون الخرق ، وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة .  
ولقد أنشدني الأبرش :

عليك بوجه القصد ، فاسلك سبيله      ففي الجور إهلاك ، وفي القصد مسلك  
إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها      تُحمّلها ما لا تطيق قتهالك  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الرفق لا يكاد يسبق ، كما أن العجل لا يكاد  
يتحقق ، وكما أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من نطق لا يكاد يسلم ،  
والعجل يقول قبل أن يعلم ، ويحجب قبل أن يفهم ، ويحمد قبل أن يُجرب ،  
ويذم بعد ما يحمد ، يعزم قبل أن يفكر ، ويمضى قبل أن يعزم ، والعجل تصحبه  
الندامة ، وتمتله السلامة ، وكانت العرب تسمى العجلة أمّ الندامات .  
ولقد أنشدني بعض أهل العلم :

العجز ضرٌّ ، وما بالحزم من ضرر      وأحزم الحزم سوء الظن بالناس  
لا تترك الحزم في أمر تحاذره      فإن أمنت فما بالحزم من باس  
أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال :  
كان يقال : لا يوجد العجول محموداً ، ولا الفضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ،  
ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا إخوان .

وأشدني محمد بن عبد الله البغدادي :  
إذا ما أتيت الأمر من غير بابهِ      نصّب ، حتى لا ترى فيه مروتني  
وإن الذي بصطاده الفخ إن عتا      على الفخ كان الفخ أعتى وأضيقا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العجلة تكون من الحدة ، وصاحب العجلة  
إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموماً ، والعجل لا يسير

إلا منا كبا للقصْد ، منحرفاً عن الجادّة ، يلتبس ما هو أنكد وأوعر وأخفى مسّاراً ، يحكم حكم الورّهاء ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق قال : قال خالد بن برمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللّجاجة ، والعُجب ، والتواني ، فثمرة العجلة الندامة ، وثمرّة اللجاجة الحيرة ، وثمرّة العجب البغضة ، وثمرّة التواني الذل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل بعد التأنى فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العجول محموداً أبداً ، والعاقل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإفراط في السعي ، فيتجنبهما معاً ، ويجعل نفسه مسلماً بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثني إبراهيم بن عاصم قال : سمعت صدقة يقول : سمعت الشمردل يقول : فكح العجزُ التواني ، فولد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب النجاح ترك التواني ، ودواعي الحرمان الكسل ؛ لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التواني والعجز أنتجت المهلكة ، وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ ، والرشيد من رَشِد عن العجلة ، والخائب من خاب عن الأناة ، والعجل مخطيء أبداً ، كما أن المثبت مصيب أبداً .

وحدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا محمد بن الحسن المصري حدثني نعم ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه في التأنى « أما بعد ، فإن التفهم في الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا ينفعه الرفق

يضره الخرق ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني - أو قال : المعالي - ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حله جهله ، وتصبره شهوته ، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

بني ، إذا ماسألك الضر فأتئد      فآرقق أولى بالأريب وأحرز  
فلا تحمين عند الأمور تعززا      فقد يورث الذل الطويل التعزز

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكرم بن صيفي : ما يسرنى أني نزلت بدار معجزة فأسمنت وألبنت<sup>(١)</sup> . قيل له : لم ؟ قال : لأنني أخاف أن أتخذ المعجز عادة .

أنشدني المنتصر بن بلال :

وعليك في بعض الأمور صعوبة      والرفق للمستصعبات مداين  
وبحسن عقل المرء يثبت حاله      وعلى المغارس ثمر العيدان  
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عبد الله بن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابي عند معاوية بشهادة ، فقال معاوية : كذبت ، فقال الأعرابي : إن الكاذب للمتمزمل في ثيابك ، فقال معاوية : هذا جزاء من يعجل .

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس الأنصاري أنبأنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد شبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر

(١) أسمنت : صرت ذا سمن ، وألبنت : صرت ذا لبن .

البيان بالسحر : إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته والفصيح  
الدَّربُ اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفـس  
تكون إليه تائقة ، والأعين إليه راققة .

ولقد حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو محمد التوزي النحوي حدثنا عبد الله بن صالح  
حدثنا حبان بن عليّ قال : سمعت ابن شبرمة يقول : ما رأيت لباساً على رجل أحسن  
من فصاحة ، ولا على امرأة من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيعرب ، فكان  
عليه الخبزُ الأدكن ، وإن الرجل ليتكلم فيلحن فكان عليه أسمالاً<sup>(١)</sup> ، إن  
أحببت أن يصغر في عينك الكبير ، ويكبر في عينك الصغير : فتعلم النحو .  
وأشدني الكريزي :

أكرم بذى أدب ، أكرم بذى حسب فإنما العزم في الأحساب والأدب  
والناس صنفان : ذو عقل ، وذو أدب كعدن الفضة البيضاء والذهب  
وسائر الناس من بين الوري همج كانوا موالى ، أو كانوا من العرب  
وأشدني البسامي :

ليس المسودُ من بالمال سؤدده بل المسود من قد ساد بالأدب  
لأن من ساد بالأموال سؤدده مادام في جمع ذا الأموال والنشب  
إن قلَّ يوماً له مال يصير إلى هون من الأمر في ذل وفي تعب  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل وأحسن  
إزار يتزر به العاقل ، والأدب صاحب في الغربية ، ومؤنس في القلة ، وزين في  
المحافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حديثه  
انتفع به في كبره : لأن من غرس فسيلاً<sup>(٢)</sup> يوشك أن يأكل رطبها ، وما يستوى  
عند أولى النهى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجبى ؛ رجلان : أحدهما يلحن ،  
والآخر لا يلحن .

(٢) الفسيل : صغار النخل .

(١) الأسمال : الثياب البالية .

ولقد حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود حدثنا  
عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنا أبي عن سالم بن قتيبة قال : كنت عند  
ابن هبيرة فجري الحديث ، حتى ذكروا العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان  
حسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن ، إلا أن  
أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ، قال فقلت : أصلح الله الأمير ! هذا  
أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعريته ، رأيت الآخرة ما باله فضل فيها ؟ قال :  
إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في  
كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال قلت : صدق الأمير وبراً ! .  
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أيها الطالب فخرًا بالنسبِ      إنما الناس لأم ولأب  
هل تراهم خلقوا من فضة      أو حديد أو نحاس أو ذهب ؟  
أو ترى فضلهم في خلقهم      هل سوى لحمٍ وعظمٍ وعصب ؟  
إنما الفضل بحلمٍ راجح      وبأخلاقٍ كرامٍ وأدب  
ذاك من فاخر في الناس به      فاق من فاخر منهم وغلب  
وأنشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام

مسجد مكة :

ما حلة نسجت بالدُّرِّ والذهب      إلا وأحسن منها المرء بالأدب  
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أحمد بن محمد المسروق حدثنا محمد بن  
الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن  
أبيه قال : قال لي رجل من حكماء الفرس : أقربُ القرابة المودة الدائمة ، وأفضل  
ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل ما ورث أب ابناً ثناء حسن وأدب نافع ،  
والحرص عندي خير من البيان بالكذب ، كما أن الحضور خير من العاهر .

فيجب على العاقل أن يذكي قلبه بالأدب ، كما يذكي النار بالحطب ؛ لأن من لم يذكي قلبه ران حتى يسود ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذ المهاراة عدّة ، ولا للمهاراة ملجأ ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه ، وليستمع به على ما يقربه إلى بارئه .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أدبُ المرءِ كلحمٍ ودمٍ ماحواه رجلٌ إلاّ صلح  
لو وزتم رجلا إذا أدب بالوف من ذوى الجهل رجح  
أنا أنا أحمد بن بشر الكرجي حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رُسْتَةَ  
عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما ندمت على شيء  
ندامتني أني لم أنظر في العربية .

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول : سمعت ابن أخي  
الأصمعي يقول : سمعت عمي يقول : تعلموا النحو ، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة  
واحدة ، كانت مشددة فخففوها ، قال الله « يا عيسى إني ولدتك » فقرأوا يا عيسى  
إني ولدتك مخفف فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح  
حدثنا أبو زيد النحوي قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ما تقول في رجل  
ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأبائه ولأخاه ؟  
فقال : الحسن فما لأبيه ولأخيه ؟ فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا زينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من  
أجل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل  
الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب ؛ لأن حسن الأدب  
خلف من الحسب ، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ، ولا البلاغة

إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أحمد الفصاحة الاقتدار عند البداهة  
والغزارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت أبا داود السنجى  
يقول : سمعت الأصمى يقول : ليست البلاغة بحفة اللسان ، ولا كثرة التهذيان ،  
ولكن بإصابة المعنى والتقصيد إلى الحاجة ، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروى  
المجذع ، ولا البدوى المعرب .

وأشدنى الكريزى :

ولم أر فضلاً ثمَّ إلا بشيمة ولم أر عقلاً صحح إلا على أدب

ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

حدثنا عمر بن محمد حدثنا الفلابجى حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى قال : قال  
المدائنى : ذكروا عند على بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إني لأكره  
أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه  
فاضلاً على مقدار عقله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر ، والزر جرد الأخضر  
والياقوت الأحمر ، إلا أن بعضه أفضل من بعض ، ومنه ما يكون مثل الخنزف  
والحجر والتراب والندى ، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل  
العلم ؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث ، وخوضهم فى أنواع العلوم .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول : سمعت أبا داود السنجى أو  
حدثنى سهل بن هانى عنه ، قال : سمعت الأصمى يقول : إن أخوف ما أخاف  
على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم  
يكن لحاناً ، ولم يلحن فى حديثه ، فهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه .

وأشدني ابن زنجي البغدادي :

ليس الفتى كلُّ الفتى إلا الفتى في أدبه  
وبعضُ أخلاق الفتى أولى به من نسبه  
حَتَفُ امرئ لسانه في جدِّه أو لعبه  
بين اللّهيِّ مقتله رُكِّبَ في مركبته

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران بتُسْتَرِيقول : سمعت عثمان بن خُرُزَادَ يقول : سمعت علي بن الجعد يقول : سمعت شعبة يقول : مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الدابة عليها الخلاة ، ليس فيها شيء .

### ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسرَجِسَ حدثنا جدي حدثنا ابن المبارك أنبأنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا عمرو نِعِمَّا المال الصالح للرجل الصالح » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : هذا الخبر يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم بإباحة جمع المال من حيث يجب ، ويحل للقائم فيه بحقوقه ، لأن في تقريره الصلاح بالمال والرجل معاً بيانا واضحا ، لأنه إنما أباح في جمع المال الذي لا يكون بمحرم على جامعه ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، ولقد ذكرت هذه المسألة بتامها بالعلل والحكايات في كتاب « الفضل بين الغني والفقير » بما أرجو الغنية فيها لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغني ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

أشدني منصور بن محمد الكريزي :

إذا كان ما جمعت نيس بنافع فأنت وأقصى الناس فيه سواء  
على أن هذا خارج من أئامه وأنت الذي تجزى به وتساء  
أنيابنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا  
أبو عياد حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث  
عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال : عليكم  
بالمال واصطناعه فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة  
الناس ؛ فإنها آخر كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن ما ينتفع المرء [ به ] في عمره وبعد  
المرات تقوى الله والعمل الصالح .

فالواجب على العاقل أن يعمل في شبابه فيما يقيم به أودته ، كالشيء الذي  
لا يفارقه أبداً ، وفيما يصلح به دينه كالشيء الذي لا يجده غداً ، وليكن تعاهده  
لماله ما يصلح به معاشه ، ويصون به نفسه ، وفي دينه ما يقدم به لآخرته ، ويرضى  
به خالقه ، والفاقة خير من الغنى بالحرام ، والغنى الذي لا مروءة له أهون من  
انكسب ، وإن هو طوق وخيخل .

حدثني محمد بن عثمان العقبى حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثني أبي  
حدثني عيسى بن يونس عن محمد بن سؤفة عن محمد بن المنكدر قال : نعم العون  
على تقوى الله الغنى .

وأشدني على بن محمد البسامي :

أرى كل ذي مال يسود بماله وإن كان لا أصل هناك ولا فصل  
وآخر منسوباً إلى الرأي خاملاً وأتوك مجهولاً ، له الجاه والنبل  
فلا ذا بفضل الرأي أدرك بلغة ولم أر هذا ضرراً التوك والجهل

وأشدني منصور بن محمد السكري ليحيى بن أكرم :

إذا قَلَّ مال المرء قَلَّ بهاؤه وضائق عليه أرضه وسأؤه  
وأصبح لا يدرى، وإن كان حازماً أقدامه خيرٌ له أم وراؤه  
ولم يمض في وجه من الأرض واسعٍ من الناس إلا ضاق عنه فضاؤه  
وأصبح مردوداً عليه مقالهُ وكان به قد يَقْتدى خطبائه  
وإن يبق لم يَضُرْ عدواً بقاؤه وإن يَفْنَ لم يفقد خيراً فَناءؤه

حدثني محمد بن المهاجر حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي  
شيخ حدثني الزبيرى قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مسامة وهو يفرس  
وَدِيًّا<sup>(١)</sup> . فقال : ما تصنع يا ابن مسلة ؟ قال : ماترى ، أستغنى عن الناس ، كما  
قال صاحبكم أحيحة بن الجلاح :

استغن ، أو مت ، فلا يفرك ذوتشبي من ابن عم ، ولا عم ، ولا خال  
إني أظلُّ على الزوراء أعمرهما إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال  
أبانا محمد بن المنذر حدثنا علي بن عبد الرحمن عن عبدان قال : دخلت على  
عبد الله المبارك ، وهو يبكي ، فقلت له : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بضاعة لي  
ذهبت ، قال : قلت : أو تبكى على المال ؟ قال : إنما هو قوام ديني .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان في غناه غنياً ،  
وفي مسكنته قنعاً ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بُدًّا من ترك الحياء ، والفقر  
يذهب العقل والمروءة ، ويذهب العلم والأدب ، وكاد الفقر أن يكون كفراً ،  
ومن عُرف بالفقر صار مَعْدِنًا للتهمة ، ومجعماً للبلايا ، اللهم إلا أن يرزق المرء قلباً  
نقياً قنعاً ، يرى الثواب المدخر من الضجر الشديد ، فينثذ لا يبالي بالعالم بأسرهم

(١) الودى - بفتح الواو وكسر الدال وياء مشددة - صغار النخل ، واحدته ودية.

والدنيا وما فيها ، والفقر داعية إلى المسهانة ، كما أن الغنى داعية إلى المهابة ، ولقد أحسن الذي يقول :

يغطى عيوب المرء كثرة ماله وصدق فيما قال ، وهو كذوب  
ويزرى بعقل المرء قلة ماله يحمته الأقسام وهو لبيب  
أنا بن بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي حدثنا النمر بن قادم حدثنا حماد بن زيد  
عن أيوب قال : قال لي أبو قلابة : يا أيوب ، الزم سوقك ؛ فانك لا تزال كريما  
على إخوانك ما لم تحتج إليهم .

وأشدني العقبي أنشدني محمد بن خلف التيمي بالكوفة :

كأن مقلًا حين يغدو لحاجة إلى كل من يلقى من الناس مذنب  
وكان بنو عمى يقولون : مرحبا فلما رأوني مُقدِّمًا مات مرحب

وأشدني الكريزي :

لعمرك ، إن المال قد يجعل الفتى نسيبا ، وإن الفقر بالمرء قد يُزري  
ولا رفع النفس الدينية كالغنى ولا وضع النفس الكريمة كالفقر  
حدثنا محمد بن يحيى العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن  
زيد حدثنا أيوب قال : قال لي أبو قلابة : الزم السوق ؛ فإن الغنى من العافية .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ليس خلة هي للغنى مدح إلا وهي للفقير عيب ؛  
فإن كان الفقير حلما قيل : بليد ، وإن كان عاقلا قيل : مكار ، وإن كان بليغا  
قيل : مهذار ، وإن كان ذكيا قيل : حديد ، وإن كان صموتا قيل : عيسى ، وإن  
كان متأنيا قيل : جبان ، وإن كان عارما قيل : جرىء ، وإن كان جوادا  
قيل : مسرف ، وإن كان مُقدِّرا قيل : ممسك .

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يحل وأنفق فيما لا يجمل ، ووجوده

وعدمه ليسا بتجلد ولا بكثرة حيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العليم<sup>(١)</sup>  
واقعد أنشدني الأبرش :

يشقى رجالاً ، ويشقى آخرون بهم      ويسعدُ الله أقواما بأقوام  
وليس رزق الفتى من حُسن حيلته      لكن جُدود بأرزاق وأقسام  
كالصيد يُحرّمه الرامي المجيد ، وقد      يرمى فيرزقه من ليس بالرامي

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى العطار حدثنا  
أحمد بن نصر العدني حدثنا المندني قال : قال أبو قيس بن معدى كرب ، وكان  
له أحد عشر ذكراً : يا بني ، اطلبوا هذا المال أجل الطلب ، واصرفوه في أحسن  
مذهب ، صلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأقوام ، واجعلوه جنة لأعراضكم  
تحسن في الناس قائلتكم ، فإن جمعه كمال الأدب ، وبذله كمال المروءة حتى إنه  
ليسود غير السيد ، ويقوى غير الأيد ، وحتى إنه ليكون في أنفاس الناس نبيا ،  
وفي أعينهم مهيبا . ومن جمع مالا فلم يَصُن عرضا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناس  
عن أصله ؛ فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحاً نسبوه إما إلى عرض  
دنية ، وإما إلى كَوْص<sup>(٢)</sup> لئيم حتى يهجنوه .

(١) فإذا كان كذلك فما بال أبي قلابة يقول « الزم سوقك فإن الغنى من  
العافية » ؟ نعم هوهبة من الخلاق العليم ، ولكن الخلاق العليم هو سبحانه  
الخبير الحكيم ، الذي جعل لكل شيء سبباً ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بأسباب  
ماسخر له في السموات والأرض ، متوكلاً على الله ، ضارِعاً إليه أن يديم عليه التوفيق  
لهذه الأسباب ، والإحسان فيها والتقدير لها ، وشكرها لمسديها ، والله يقول ( من  
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون )

(٢) في اللسان : لاصه بعينه لوصا ، ولاوصه : طالعه من خلل أو ستر . وقيل :  
اللاوصة النظر بمنة ويسرة ، كأنه يروم أمراً - إلى أن قال - والإنسان يلاوص =

حدثنا مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان القطان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال « سمع رجل صوتا في غمام : اذهبي إلى أرض فلان ، فاسقيه قال : فقال الرجل : لآتين فلانا هذا فلأنظرن ما يعمل في أرضه ، فاتاه وقد مُطر فيها وهو قائم يفتح الأوعى ، فسلم عليه ، وقال : يا عبد الله ، أخبرني ما تعمل في أرضك هذه ؟ قال : أنظر إلى ما أخرج الله منها ، فأرد فيها ثلثه ، وأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه . قال علقمة : فكان ابن مسعود يبعثني إلى أرض له يرازان أفعل فيها مثل ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن شر المال ما لا يُخرج منه حقوقه ، وإن شراً منه ما أخذ من غير حِلِّه ، ومنع من حقه ، وأنفق في غير حله ، واستنار المال قوام المعاش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط عن إصلاح ماله صالحا كان أو طالخا .

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقضى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة نعم الله أساءت مجاورته ، وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فإن كنتَ في خير ، فلا تغتر به      وإسكن قل : اللهم سَلِّمْ وتمم  
فمن لم يَصُنْ عِرْضاً إذا ما استفاده      ويشكر لأهل الخير يُسَابِّ ويذمم

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

وَرَبُّ مَمْلَكٍ مَالاً كَثِيراً      وَلَكِنْ حَظُّهُ مِنْهُ قَلِيلٌ

= الشجرة إذا أراد قلعها بالفأس ، فتراه يلاوص في نظره بمنه ويسره كيف يضربها ، وكيف يأتيها ليقلمها .

يعيش بفضل هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول  
له منه الذي يحيا عليه بعيشته ، وسائر فضول  
حدثنا أحمد بن الحسين الحرزى - بالموصل - حدثنا أحمد بن سنان القطان  
حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معاوية بن عبد الله عن كعب  
قال : أول من ضرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ماشا كل هذه الحكايات في كتاب  
«السقاء والبذل» فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

### ذكر الخث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضى وعبد الله بن محمود بن سليمان  
السعدى قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله العتقى حدثنا مسلم بن خالد الزنجى  
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه  
وسلم « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : صرح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر  
بأن المروءة هي العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .  
فالأوجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال الحمودة ،  
وترك الخلال المذمومة .

وقد نبغت نابتة اتكلوا على آباءهم ، واتكلوا على أجدادهم ، في الذكر  
والمروءات ، وبعثوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد فى دمَّ من هذا نعتة :

إن المروءة ليس يُدركها امرؤ ورث المروءة عن أبٍ ، فأضاعها

أمرته نفس بالدناءة وانلخنا ونهته عن طلب العلى فأطاعها  
فإذا أصاب من الأمور عظيمةً بينى الكريم بها المروءة بإعها  
وأنشدنى محمد بن إسحاق :

خساسة أخلاق الرجال تشينهم وقل غناء عنهم النسب المحض  
يصولون بالآباء فى كل مشهد وقد غيّت آباءهم عنهم الأرض  
طويلاً تبدّيتهم بمجد أبيهم وما لهم فى المجد طول ولا عرض  
وأنشدنى الحسين بن أحمد البغدادى :

ليس الكريم بمن يُدنس عرضه ويرى مروءته تكون بمن مضى  
حتى يشيد بناءه بينانه ويزين صالح ما أتوه بما أتى  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما رأيت أحداً أخسر صفقة ، ولا أظهر حسرة ،  
لا أخيب قصداً ، ولا أقلّ رشداً ، ولا أحقّ شعاراً ، ولا أدنس دناراً ، من  
لفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد  
شباههم ، متوهماً أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهيهات ! أتى  
سود المرء على الحقيقة إلا بنفسه ؟ وأتى ينبل فى الدارين إلا بكده ؟

ولقد أنشدنى البسامى :

وكم قائل : إني ابن بيت ، هو ابنه وقد هدم البيت الذى مات عامرة  
فأودى عموداه ، ورثت جباله وأصلح أولاه ، وأفسد آخرة

وأنشدنى الأبرش :

فإن قلت : لى آباءٌ صدق ومنصبٌ كريم وإخوانٌ مضت وجلودُ  
صدقت ، ولكن أنت هدمت ما بنوا بكفك عمداً ، والبناء جديداً

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إن لم تكن بفعل نفسك سامياً لم يغن عنك سموٌ من تسمو به  
ليس القديم على الحديث تراجع إن لم تجده آخذاً بنصيبه  
ولربما اقترب البعيد بوجه وغداً القريب مباعداً لقريبه  
أنبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجى حدثنا أبو داود السنجى حدثنا  
عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال : لا دين إلا بمروءة .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلف الناس فى كيفية المروءة :  
فمن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوانه أبويه ، وإصلاح ماله ،  
وقعوده على باب داره .  
ومن قائل قال : المروءة إتيان الحق ، وتعاهد الضيف .  
ومن قائل قال : المروءة تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغذاء والمشاء  
فى الأفنية .  
ومن قائل قال : المروءة إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو  
فوقه ، والجزاء بما أتى إليه .  
ومن قائل قال : مروءة الرجل صدق لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ،  
وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفنه الأذى عن أباعده وجيرانه .  
ومن قائل قال : إن المروءة التباعد من الخلق الذى فقط :  
ومن قائل قال : المروءة أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان مريباً  
كان ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والابقاء  
على نفسه فى مطعمه ومشربه .  
ومن قائل قال : المروءة حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء  
ما يعاب منه .  
ومن قائل قال : المروءة سخاوة النفس ، وحسن الخلق .

ومن قائل قال : المروءة العفة والحُرْفَة ، أى يَعْفُ عما حرم الله ، ويحتَف فيما أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة كثرة المال والولد .

ومن قائل قال : المروءة إذا أعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت .

ومن قائل قال : المروءة حسن الحيلة فى المطالبة ، ورقة الظرف فى المكاتبه .

ومن قائل قال : المروءة اللطافة فى الأمور ، وجوده الفطنة .

ومن قائل قال : المروءة بجانب الريبة ؛ فإنه لا ينبل صريب ، وإصلاح

المال ؛ فإنه لا ينبل فقير ، وقيامه بجوانح أهل بيته ؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال : المروءة النظافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة الفصاحة والساحة .

ومن قائل قال : المروءة طلب السلامة ، واستمطاف الناس .

ومن قائل قال : المروءة مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود .

ومن قائل قال : المروءة التذلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالترفق .

ومن قائل قال : المروءة ملاحه الحركة ، ورقة الطبع .

ومن قائل قال : المروءة هى المفاكمة ، والمباسمة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس

قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان ؛ فالفلسف مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح

فى غير مسأخط الله

وأما مروءة الحضرة فالإيمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ،  
وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلفت أفاضهم في كيفية المروءة ومعاني  
ما قالوا قريبة بعضها من بعض .

والمروءة عندي خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال ،  
واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتیان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم ، واستعمالها هو  
العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن مروءة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .  
واقعد أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

احتل لنفسك أيها المحتالُ      فمن المروءة أن يرى لك مالُ  
كم ناطق وسط الرجال ، وإنما      عنهم هناك تكلم الأموالُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر  
عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال ، فمن رزق ذلك وضنَّ  
بإتدائه في إقامة مروءته فهو اندى خسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تفتجأ المنية  
فتسلبه عما ملك كريها ، وتودعه قبرا وحيدا . ثم يرث المال بعد من يأكله  
ولا يحمده ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامة تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟  
ولقد أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

يا جامع المال في الدنيا لوارثه      هل أنت بالمال قبل الموت منتفع ؟  
قدم لنفسك قبل الموت في مهلٍ      فإن حظك بعد الموت منقطع

أنبأنا المفضل بن محمد الجندي - بمكة - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري حدثنا  
أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل في

الأسواق ، والأدهان عند العطار ، والنظر في مرآة الحجام .  
حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هُشَيْمٌ  
عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام .  
حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا  
حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلابة يقول : ليس من المروءة أن  
يربح الرجل على صديقه .

وأنشدني البسامي :

اعلم بأنك ، لا أبالك ، في الذي أصبحت تجمه لغيرك خازنٌ  
إنَّ المنية لا تؤامر مَنْ أتت في نفسه يوماً ، ولا تستأذن  
أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان  
يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات  
تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب .  
حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن  
سليمان بن أبي شيخ حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال قال معاوية بن  
أبي سفيان : آفة المروءة إخوان السوء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب  
المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد  
المروءات تؤذى الكامل في الحال بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام  
وأوباش الناس<sup>(١)</sup> .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمداني بصور ، قال : سمعت طلحة بن إسحاق  
ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول : سمعت علي بن  
حكيم الأودي يقول : سمعت شريكا يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام

(١) عربية هذه الكلمة « أو شاب الناس » أى أخلاطهم .

سَحْرًا بلا كرنيب<sup>(١)</sup> ، وعبور المعبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ،  
وحاجة الشريف إلى الدنى ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الإصطخري حدثنا عبد الرحمن بن محمد  
ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا  
طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلة مروءة الرجل نظره  
في بيت الحائك ، وحمله الفلوس في كفه »

### باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أنا أحمد بن يحيى بن زهير بن ستر ، حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى  
حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى عن الأعرج عن  
أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السخى قريب من الله ،  
قريب من الناس ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، ولسخى جاهل ،  
أحب إلى الله من بخيل عابد »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن كان حفظ سعيد بن محمد إسناد هذا الخبر  
فهو غريب غريب .

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حطام هذه الدنيا الفانية ، وعلم  
زوالها عنه ، وانقلابها إلى غيره ، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال  
الصالحة : أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في ماله ، والقيام بالواجب في أسبابه ،

---

(١) في القاموس : الكرنيب - بالفتح ، ويكسر - المجمع ، والكرنية : إطعامه  
للضيف ، وأكل التمر باللبن وهذه المعاني لا تناسب ما هنا ، والظاهر أنه أراد إناء  
يعرف به ، وفي مدينة حلب من سوريا يستعمل هذا اللفظ لإناء على شكل مخصوص  
معد لغرف الجامدات من بر ونحوه .

مبتغياً بذلك الثواب في العقبى ، والذكر الجميل في الدنيا ، إذ السخاء محبة ومحمدة  
كما أن البخل مذمة ومبغضة ، ولا خير في انسال إلا مع الجود ، كما لا خير في  
المنطق إلا مع الخبر .

ولقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الجود مكرمة ، والبخل مبغضة لا يستوى البخل عند الله والجود  
والفقر فيه شحوص ، والغنى دعة والناس في المسال مرزوق ومحدود<sup>(١)</sup>  
حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن الحسن الذهلي ، حدثنا محمد  
ابن يوسف السدوسي ، حدثنا أحمد بن خالد القُشَمي ، حدثنا سليمان مولى عبد الصمد  
ابن علي أن المنصور أمير المؤمنين قال لابنه المهدي : « اعلم أن رضاء الناس غاية  
لا تدرك ؛ فتحب إليهم بالإحسان جهدي ، وتودد إليهم بالإفضال ، واقصد  
بإفضالك موضع الحاجة منهم » .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

أعادلتني اليوم ، ويحك ما مهلاً وكفماً الأذى عني ، ولا تكثرا العذلا  
دعاني تجد كفي بما ملكت يدي سأصبح يوماً أترك الجود والبخلا  
إذا وضعوا فوق الضريح جناذلا عليّ وخلت المطية والرحلا  
فلا أنا مختار إذا ما نزلته ولا أنا لاقٍ ما تويت به أهلا

أبنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ، حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبي الزناد عن  
هشام بن عمرو قال : كان أبي يقول « ما لي قوم قط أقاموا علي ماء عذب »  
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا بكر بن عامر العتري ، حدثنا هشام  
ابن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال « من آتاه الله منكم  
مالاً فليصل به القرابة ، وليحسن فيه الضيافة ، وليفك فيه العاني والأسير

(١) المحدود : - بالحاء المهملة - المنوع من البخت وغيره .

وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على النائية : فإن بهذه  
الخصال يتال كرم الدنيا وشرف الآخرة»

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن  
مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل رذل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن  
يتعزى عن العنة ؛ لأن من لم يمتن بمعروفه وفره . والامتنان يهدم الصنائع ، وإذا  
تعزت الصنعة عن إزار له طرفان : أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء -  
كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

ولقد أنشدنى ابن زنجى :

يارب عاذلة في الجود ، قلت لها : قلى ، على الله فيما أنفق الخلقاً  
هل من بخل رأيت المال أخذه ؟ أم هل رأيت جواداً ميتاً عجفاً ؟<sup>(١)</sup>  
لما رأيتى أوتى المال طالبه ولا أبلى تِلادا كان أم طرفاً ؟<sup>(٢)</sup>  
عدت سماحى تديراً ، ولست أرى ما يكسبُ الحمد تديراً ولا سرفاً

أبناؤنا الحسين بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن المبارك  
يوماً بين إخوانه وأصحاب الحديث ألفَ درهم ، ثم أنشأ يقول :

لاخير في المال لكتنأزه إلا جواد الكف وهابه  
يفعل أحيانا بزواره ماتعمل الخمر بشرابه

حدثنى محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السماك ، قال :  
ياعجبى لمن يشتري المالك بالتمن ، ولا يشتري الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن خصال المرء الجود فمن غير  
امتنان ، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهانة .

(١) العجب : المزال (٢) الطريف : نال المستحدث ، وطرف ككرم .

وأصل الجود ترك الضنَّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يحمل عليه في الأكل والشرب واللباس ، فكما لا تنفع المروءة بغير تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مال ، ولا المال بغير جود ، وكما أن القرابة تبع العودة ، كذلك المحمدة تبع للانفاق .

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك ابن سعيد الثوري قال : كان يقال : ثلاث هنَّ أحسن شيء فيمن وجدت فيه : تودة في غير ذل ، وجود لغير ثواب ، ونصب لغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى بالموصل ، حدثنا محمد بن الصباح الدولابي ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال : قلت للحسن : ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المعطي خير من يد المانع .

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال : من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ؛ فقد استكمل الإيمان .

وأنشدني الكريزي ليحيى بن أكرم :

ويُظهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُلْغُهُ      وَيَسْتَرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ  
تَفْطَنُ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ ؛ فَإِنِّي      أَرَى كُلَّ عَيْبٍ وَالسَّخَاءُ غَطَاؤُهُ  
وَأَنشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَمَانِيُّ لِبَعْضِ الْقَرَشِيِّينَ :

سَأَبْذُلُ مَالِي كُلَّمَا جَاءَ طَالِبٌ      وَأَجْعَلُهُ وَقْفًا عَلَى الْقَرْضِ وَالْفَرَضِ  
فَإِذَا كَرِيمًا صُنْتُ بِالْجُودِ عَرِضُهُ      وَإِنَّمَا لَثِمًا صُنْتُ عَنْ لُؤْمِهِ عَرِضِي  
وَأَنشَدَنِي كَامِلُ بْنُ مَكْرَمِ أَبُو الْعَلَاءِ ، أَنشَدَنِي هَلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ عَمْرِو الْبَاهِلِي :

مَلَأْتُ يَدِي مِنَ الدُّنْيَا مَرَارًا      فَمَا طَمِعَ الْعَوَازِلُ فِي اقْتِصَادِي  
وَمَا وَجِبْتُ عَلَى زَكَاةِ مَالٍ      وَهَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى الْجَوَادِ ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : البخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا ، مَنْ تعلق بفصن من أغصانها جرّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا ، فمن تعلق بفصن من أغصانها جره إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء . والبخيل يقال له في أول درجته : البخيل ، فإذا عتا وطفى في الإمساك يقال له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخياء يقال له : لثيم ، فإذا صار محتجج للبخلاء . ويعذرهم في فمالهم يقال له : الملائم .

وما أترز رجل يزار أهتك لعرضه ، ولا أثم لدينه من البخل .  
وتقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لكلِّ هم من المموم سمّة<sup>(١)</sup> والبخل واللؤم لافلاح ممّة<sup>(١)</sup>  
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه  
أقبل من الدهر ما أتاك به من قرّ عينا بعيشه نفعه

سمعت الخطابي بالبصرة يقول : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سأل كسرى : أى شيء أضر على ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضر منه ، إن الفقير إذا وجد اتسع ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد .

أبنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب حدثنا ابن أبي القعقاع قال قال أبو الهذيل : كنت عند يحيى بن خالد البرمكي ، فدخل عليه رجل هندي ، ومعه مترجم له ، فقال للمترجم : إن هذا رجل شاعر ، قد حاول مدحتك ، فقال يحيى : لينشد ، فقال الهندي :

أرّه أصرّه كسكرا كي كره مندره

فقال يحيى للمترجم : ما يقول ؟ قال : يقول :

إذا المسكارم في آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضربُ المثل

قال : فأمر له بألف دينار .

(١) الأبيات محفوظة لأوس بن حجر ، وفيها « وانصبح والمسى لا فلاح معه »

وأنشدني عبد الرحمن بن محمد القاتلي<sup>(١)</sup> :

إذا المرء لم يدأس من اللؤم عَرْضَهُ      فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ  
إذا قلتَ : لا، في كلِّ شيءٍ سألته      فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

وأنشدني عمرو بن محمد الأنصاري أنشدني الغلابي أنشدني مهدي بن سابق :

يا مانع المال ، كم تَخِنُّ به      تطمع بالله في الخلود معه ؟  
هل حمل المالَ ميتٌ معه ؟      أما تراه لغيره جمعة ؟

أبانا عمران بن موسى السخثياني حدثنا سليمان بن معبد المروزي حدثنا  
عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن أبي علي الغافقي  
سمع عامر بن عبد الله اليحصبي قال : كان ابن منبه يقول : أجود الناس في الدنيا  
من جاد بحقوق الله ، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس  
في الدنيا من أبخل بحقوق الله ، وإن رآه الناس كريماً جواداً بما سوى ذلك .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

رب مالٍ سيتعمُّ الناس فيه      وهو عن ربه قليل الغناء<sup>(٢)</sup>  
كان يشقى به ، وينصب فيه      ثم أضحى لمعشر غرباء  
ماله عندهم جزاء إذا ما      نعموا فيه غير سوء الثناء  
رب مالٍ يكون ذمًّا وغمًّا      وغنى يعد في الفقراء

حدثنا أحمد بن الحسن بن أبي الصغير المدائني حدثنا الربيع بن سليمان قال :  
سمعت الشافعي يقول : كان أبو حاتم - يعني الطائي - سخياً ، وكان يضع الأشياء  
مواضعها ، وكان حاتم مبدراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكوا إليهم حاتم ،  
قال : والله ما أدري ما أصنع ، لا يأخذ شيئاً إلا بدَّره ، فاجتمع رأيهم على أن

(١) أول هذين البيتين وعجز ثانيهما في كلمة مشهورة للسموأل بن عادياء

(٢) الغناء بالفتح والمد : النفع

لا يعطيه شيئاً سنة ، قال : فأقام أبوه ، ولم يمكنه من شيء سنة ، مع ما هو فيه من الضر ، فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حراء ، قال : فلما وقفت عليه قال حاتم : من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعاه أبوه ، فقال له : أى بنى ، ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أبى لقد بلغ الجوع منى شيئاً لا يسألنى أحد شيئاً إلا أعطيته إياه .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

تجودُ بالمال على وارثٍ ولا ترى أهلاً له نفسكا  
قدّمَ حسن الظن بالله من جادٍ ، وسوء الظن من أمسكا

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يمثّل بهذا الشعر ويعجبه :

وما تزودَ بما كان يجمعه إلا حنوطاً غداة البين مع خرقٍ  
وغيرَ نَفْحَةٍ أعواد تُشدُّ له وقلاً ذلك من زادٍ لمنطلق

أنبأنا أبو يعلى حدثنا يحيى بن أيوب المقابري حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة ، فاشتوى عنباً في غير زمانه ، قال : فطلبوا ، فلم يجدوا إلا عند رجل ، فاشتري سبع حبات بدرهم ، فجاء سائل فأمر له به ، ولم يذقه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى برداء الجود وأثرر بإزار ترك الأذى إلا رأساً أشكاله وأضداده ، وخضع له النخاص والعام ، فمن أراد الرفعة العالية في العقبى ، والمرتبة الجليلة في الدنيا ، فليزِم الجود بما ملك ، وترك الأذى إلى النخاص والعام ، ومن أراد أن يهتك عرضه ، ويثلم دينه ، ويمدله إخوانه ، ويستقله جيرانه ، فليزِم البخل .

ولقد ذم البخل أهل العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا ؛ فنه  
ما أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

كأنما نُقِرَتْ كَفَّاهُ مِنْ حَجْرٍ      فليس بين يديه والندي عملُ  
يرى التيمم في بحر وفي بلد      مخافةً أن يرى في كفه بللُ  
وأنشدني عمرو بن محمد أنشدني الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

لو أن دارك أنبت لك ، واحتشيت      إبراً يضيق بها فناء المنزل  
وأذاك يوسفُ يستعيرك إبرة      ليخيط قدَّ قميصه لم تفعل  
وأنشدني أحمد بن محمد بن أيوب :

وكفَّاك لم يخلقاً للندي      ولم يك بخلهما بدعه  
فكفَّ عن الخير مقبوضة      كما حط من مائة سبعة<sup>(١)</sup>  
وأخرى ثلاثة آلافها      وتسع مثيها لها شرعه

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت محمد بن صالح الوركاني  
يقول : قيل للنضر بن شميل : أي بيت قالته العرب أسخى ؟ قال : الذي  
يقول :

فلو لم تكن في كفه غيرُ روحه      لجادَ بها ، فليتق الله سائله  
قال : وأي بيت قالته العرب أبخل ؟ فقال :

لو جُعِلَ الخردلُ في كفه      ما سقطت من كفه خردلُه

قال : وأي بيت قالته العرب أجهى ؟ قال :

العَجْرَفِيُّونَ لا يوفون ما وعدوا      والعَجْرَفِيُّاتُ ينجزن المواعيدا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا لم يُعرف بالساحة ،

(١) في المحاسن والمساوي ( كما نقصت مائة تسعة )

أن لا يعرف بالبخلِ ، كما لا يجب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجبين ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل بأس الشعارُ في الدنيا والآخرة ، وشر ما يُدَّخر من الأعمال في العقبى .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة حدثنا أبو عتبة الحمصي أحمد بن الفرج حدثنا ضمرة حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أفٍ للبخل ، والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العباس بن بكار الهذلي قال : قال الحسن : من أيقن بالخلفِ جاد بالعطية .

### ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبري حدثنا عبد الله بن عمران الأصبهاني - بالري - حدثنا يحيى بن ضريس ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سفیان الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجيبوا الداعي ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين»

قال أبو حاتم رضى الله عنه : زجر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردّها ، ثم يثيب عليها إذا قدر ، ويشكر عنها ، وإني لأستحب للناس بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم ، إذ الهدية تورث المحبة ، وتذهب الضغينة .

ولقد حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمي ، حدثنا عبد الله بن صالح ،

أنبأنا الليث قال : سمعت عبد الملك بن رفاعة الفهمي يقول : الهدية هو السَّحْرُ  
الظاهر .

حدثني إبراهيم بن أبي أمية بطرسوس حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا  
سفيان قال : لما قدم أبو حنيفة قال للناس مساور الوراق :

كنا من الدِّين قبل اليوم في سعة حتى بلينا بأصحاب المقاييس  
قوم إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم تعالاب صَبَحَت بين النواويس

قال : فبلغ ذلك أبا حنيفة ، فبعث إليه بمال ، فقال مساور حين قبض المال :

إذا ما الناسُ يوما قاسونا بأبدةٍ من الفتيا طريفة  
أتيناهم بمقياس صحيح مصيب من طراز أبي حنيفة  
إذا سمع الفقيه بها وعابها وأثبتها بحبر في صحيفة  
وأنشدني الكريزي :

إن الهدية حلوة كالسحر تختلبُ القلوبا  
تدنى البعيد من الهوى حتى تصيره قريبا  
وتعيد مضطفن العداوة بعد بغضته حبيبا  
تفنى السخيمة من ذوى السُّشْحَنَّا وتمتحق الذنوبا

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني - بالكرج - وإبراهيم بن محمد الدستواي  
بتستر قالوا : حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة البكندی حدثنا بكار بن أسود العامري  
حدثنا إسماعيل بن أبان قال : بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش يقع فيه ، فبعث  
إليه بكسوة ، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش فقيل له : كيف تدمه ثم تمدحه ؟  
قال : إن خيثة حدثني عن عبد الله قال « إن القلوب جبلت على حب من أحسن .  
إليها ، وبغض من أساء إليها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قال لنا هذان الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا أهابه ، قال : والبشر مجبولون على محبة الإحسان ، وكراهية الأذى ، واتخاذ المحسن إليهم حبيبا ، واتخاذ المسيء إليهم عدوا .

فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب محبتهم إياه ، ويفارق تركه مخافة بغضهم .

ولقد أنشدنى الأبرش :

هدايا الناس بعضهم لبعض      تولد في قلوبهم الوصالا  
وترزع في الضمير هوى وودا      وتكسوك المهابة والجلالا  
مصايد للقلوب بغير آغب<sup>(١)</sup>      وتمنحك المحبة والجمالا

حدثنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن لقمان البهرانى النجرانى حدثنا موسى بن أيوب حدثنا خدش بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين قال : كانوا يتهادون الدراهم في الجوالقات<sup>(٢)</sup> والأطباق .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على ما يوجب الوقت ، ويرضى بنفاذ القضاء ، ولا يتمنى ضد مارزق ، وإن كان عنده الشيء التافه لا يجب أن يمتنع من بذله لاستحقاقه واستقلاله ؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والمنع ، ومن حقر شيئا منعه ، بل يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سيان ؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورث الصغير بقدره من الفعال .  
حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب عن الأصمى قال : دخلنا على كهمس العابد ، فجاء بجمسة وعشرين بسرة حمراء ، فقال : هذا الجهد من أخيكم ، والله المستعان .

(١) كذا بالأصل واللغز واللغوب التعب

(٢) الجوالقات : أوعية من الخيش ونحوه كالزكايب والأخراج ، واحدها جوالق

وأنشدني ابن زنجي :

إن المنى عجبٌ لله صاحبها      لعلَّ حَتَفَ امرئٍ فيما تمناه  
فإن ترى عبراً فيهنَّ معتبرٌ      يجرى بها قدرٌ ، فألله أجراه  
لا تحقرنَّ من الإحسان محقرةً      أحسن ، فعاقبة الإحسان حسناه  
حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان - بطبرية قصة الأردن - حدثنا أبو عتبة  
حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضي حدثنا العافي بن عمران قال : سمعت ميمون  
يقول : من رضى من خلة الإخوان بلا شيء فليواخ أهل القبور .  
حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العقيلي  
حدثنا نعيم بن حماد قال : أنشدني ابن المبارك :

ماذا ق طعمَ الغنى من لا قنوع له      ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا  
والعرف من يأتيه يَحمد عواقبه      ماضع عُرْف ، ولو أوليته حجرا  
سمعت يوسف بن يونس القرظاني يقول : بعث أبو السنور الشاعر إلى  
الأمير أبي الأشعث بطبق ورد يوم النيروز هدية ، وبعث إليه بهذه الأبيات :  
بعثنا ببراً تافه ، دون قدركم      وماتبعت الألفاظ للقلِّ والسكر  
ولكنَّ ظرفاً أن تزيد مودة      فهل تكرمنا بالقبول وبالعذر ؟  
فلو كان يرى حسب ما أنت أهله      أنك إذاً روحى على طبق البر

سمعت عمر بن محمد الهمداني يقول : سمعت وزيره بن محمد النساني يقول :  
قدم بعض الكتاب المسكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم من قعدت به  
الحال ، فوجه إليه بدقة وأشنان ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة - جعلت فداءك! -  
بيلوغ النية فيه ، وملكتني الجدة بسط القدرة لأتعبت السابقين إلى برك ،  
ولبرزت أمام المجتهدين في فضلك ، ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وقصرت عن  
مساماة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذكر ،

فوجهت إليك بالمبتدأ به لينه وبركته ، وبالختم به لطيبه ونفعه ، مقتصراً عن  
ألم التقصير فيه ، فأما ما سوى ذلك فالمعبر عنى فيه قول الله ( ٩ : ٩١ ) ليس على  
الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ( حرج ) والسلام .

حدثنا محمد بن يوسف الأرمي ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز الموصلي ، حدثنا  
محمد بن علي بن الفضل المدني ، حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيرى ، حدثنا محمد  
ابن إسحاق المسيبى عن القاسم بن المعتز عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت  
من شهد الحكم بن حنطب بمنبج ، وهو يريد أن يموت ، وقد كان لقي من الموت  
شدة ، فقلت ، أو قال رجل : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ، ولقد كان .  
فأثنى عليه ، فأفاق من غشيته ، قال : من المتكلم ؟ قال المتكلم : أنا . قال : إن  
ملك الموت يقول : إني بكل رجل سخي رفيق ، قال : ثم كأن فتيلة أطفئت  
فمات ، فبلغ ابن هرمة الشاعر موته ، فأنشأ يقول :

سالا عن المجد والمعروف أين هما ؟      فقلت : إنهما ماتا مع الحكم  
ماتا مع الرجل الموفى بذمته      يوم الحفاظ إذا لم يوف بالذم  
ماذا بمنبج لو تُنبش مقابرها      من التهدم بالمعروف والكرم

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق  
ابن إبراهيم عن أبيه قال : قيل للمغيرة بن شعبة : ما بقى من لذتك ؟ قال : الإفضال  
على الإخوان ، قيل : فمن أحسنُ الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشه غيره ، قيل :  
فمن أسوأ الناس عيشاً ؟ قال : من لا يعيىش بعيشه أحد .

ذكر استحباب التفريح عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا  
محاضر بن المورع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « من نَفَسَ عن أخيه كُرْبَةً من كُرْبِ الدنيا نَفَسَ اللهُ عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يَسَّرَ على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم ؛ لأن من نَفَسَ كربة من كرب الدنيا عن مسلم نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن تَحَرَّى قضاء حاجته ولم يقضَ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر في قضاؤها ، وأيسر ما يكون في قضاء الخوائج استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الخوائج ، كما أن الأهل تختبر عند الفقر ؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة ، كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خصب ولا أمن .

وأنشدنى الكريزى :

خير أيام الفتى يوم نفع واصطناع العرف أبقى مصطنع  
ما ينال الخير بالشر ، ولا يحصد الزارع إلا ما زرع  
ليس كل الدهر يوما واحدا ربما انحط الفتى ، ثم ارتفع

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمى ، حدثنا بشر ابن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلى من اعتكاف شهرين » .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

سابق إلى الخير وبادر به فإن من خلك ما تعلم  
وقدم الخير ، فكل امرئ على الذى قدمه يقدم

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى ، حدثنا محمد بن موسى البصرى ، حدثنا

الأصمعي ، حدثنا أبو معمر شبيب بن شذبة الخطيب قال : لما حضرت ابن سعيد ابن العاص الوفاة قال لبنيه « يا بني ، أيكم يقبل وصيتي ؟ فقال ابنه الأكبر : أنا قال : إن فيها قضاء ديني ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ، قال : يا أبت فم أخذتها ؟ قال : يا بني في كريم سددت خذته<sup>(١)</sup> ، ورجل جاءني في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها » قال أبو حاتم رضى الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك من جاه أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول المنية ، فيبقى عن الخيرات كلها ، ويتأسف على ما فاتته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من سحب النعمة في دار الزوال لم يحل من قسدها ، وأن من تمام الصنائع وأهناها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى قال : دخل أبو العتاهية على الرشيد ، فقال : سل يا أبا العتاهية ، فقال :

إذا كان المنال يبذل وجهه فلا قرَّبْتُ من ذاك المنال  
وأشدنى عبد العزيز بن سليمان :

يبقى الثناء وتفقدُ الأموال ولكل دهر دولة ورجال  
مانال محمدة الرجال وشكرهم إلا الصبور عليهم الفضال

حدثني محمد بن عبدل بن المهدي الشعرائي ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسى حدثنا ابن عائشة قال : قال أبي « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، فقال له : هب لي شيئا ، قال : يا غلام أعطه مامعك ، فأعطاه عشرين ألفا ، فأخذها ليحملها فقلت عليه ، ففعد بيكي ، فقال : ما بيكيك ؟ لعلك استقلتها فأز يدك ، قال : لا ، والله ما استقلتها ، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك ، فقال له يحيى : هذا الذى قلت لنا أكثر مما أعطيناك »

(١) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب الإلخاف عند السؤال فى الحوائج ؛ لأن شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمان والمنع ، والطالب للفلاح كالضراب بالقِداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أعطى وجب عليه الحمد ، وإن منع لزمه الرضاء بالقضاء ، ولا يجب أن يكون السؤال إلا فى ديار القوم ومنازلهم ، لا فى المحافل والمساجد والملا ؛ لأن محمد بن محمود النسائى ، حدثنا ، قال : حدثنا على بن خَشم ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبى عن حنيف المؤذن قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لا تسألوا الناس فى مجالسهم ومساجدهم فتفحشوا ، ولكن سلوهم فى منازلهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الذى قاله عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه إذا كان المسئول كريماً ؛ فإنه إن سئل الحاجة فى نادى قومه ولم يكن عنده قضاؤها تشور وخجل ، وأما إذا كان المسئول ثنيا ودُفع المرء إلى مسألته فى الحاجة تقع له ، فإنه إن سأل فى مجلسه ومسجده كان ذلك أفضى لحاجته ؛ لأن اللثيم لا يقضى الحاجة ديانة ولا مروءة ، وإنما يقضيها إذا قضاها طلبها للذكر والحمدة فى الناس .

على أنى أستحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القِدِّ<sup>(١)</sup> ومَصَّ الحصى ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لثياً حاجة ؛ لأن إعطاء اللثيم شين ، ومنعه حتف .

وتقد أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا أعطى القليل فتى شريف فإن قليل ما يعطيك زين  
وإن تكن العطية من دنى فإن كثير ما يعطيك شين

أنبأنا أحمد بن محمد بن الفضل السجستانى بدمشق ، حدثنا على بن خشم قال : سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى يقول : خرجت حاجاً فمليت

---

(١) القد : السير من الجلد تخصف به النعال .

المحمل ، فنزلت أسائر القطرَات ، فقال : أنا أعرابي ، فقال لي : يافتي لمن الجمال بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة . قال : يا لله أن يعطي الله باهليا كل ما أرى ، قال : فأعجبني ازدرأوه بهم ، ومعى صرة فيها مائة دينار ، فرميت بها إليه ، فقال : جزاك الله خيرا ! وافقت منى حاجة ، فقلت : يا أعرابي ، أيسرك أن تكون الجمال بما عليها لك وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنى من باهلة ، فقلت : يا أعرابي ، الجمال بما عليها لي وأنا من باهلة . قال : فرمى بالصرة إلى ، فقلت : سبحان الله ! ذكرت أنها وافقت منك حاجة ، قال : ما يسرنى أن ألقى الله ولباهلي عندي يد ، فحدثت بها المأمون ، فجعل يتعجب ويقول : ويحك ياسعيد ! ما كان أصبرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقام بنسبته حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا الأصمعي حدثنا هشام بن القاسم قال : سأنت سالم بن قتيبة حاجة ، فقضاها ، ثم سأنته أخرى ، فاتهرنى وقال : حاجتيني في حاجة ، أو قال : على الريق ؟ ثم دعا بالطعام ، فلما تغدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديت وطابت نفسي فليس في الحق غلام مثلي

\* إلا غلام قد تغدى قبلي \*

أبانا عمرو بن محمد حدثنا القلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء بن مصعب قال : قال أبو عمرو المنذرى : أتيت مسلم بن قتيبة في حاجة ، وكان له صديق من أهل الشام ، فكلمته أن يكلمه في حاجتي ، فجعل يقول : اليوم ، غداً ، فطال على ، فترأيت له ، وقد كان يعرفني ، فدعاني فقال : أبا عمرو ، إنك لها هنا ؟ قلت : نعم أطلبك بحاجة منذ كذا وكذا وسيلتي فيها فلان ، فضحك ، وقال : قد كنت أراك قد أحكت الآداب ، لا نستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له

عنده طُعْمَةٌ ؛ فإنه لا يؤثرُك على طعمته ، ولا تستعن بكذاب ؛ فإنه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، ولا تستعن بأحق ؛ فإن الأحق يجهد لك نفسه ، ولا يكون عنده شيء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فأنصرفت فقلت : يكفيني هذا ، قال : لا ، ولكن تقضي لك حاجتك ، فقضاها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته بالعدو ، ولا بالأحق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذاب ، ولا بمن له عند المسئول طعمة ، ولا يجب أن يجعل حاجتين في حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاضٍ ، ولا يظهر شدة الحرص في اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون المطالبة والاقتضاء .

وقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فاصبر ، ولا تك للوطال ملولاً  
لا تُظهِرَنَّ شرَّه الخريص ، ولا تكن عند الأمور إذا نهضت ثقيلاً

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي العزمي :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فحضوره يكفيك والتسليم  
فإذا رآك مسلماً عرف الذي حملته فكانه ملزوم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يتسخط ما أعطى ، وإن كان تافهاً ؛ لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيده ربح ، ولا يجب أن يسأل الحاجة كل إنسان ؛ فرب مهروب منه أضع من مستغاث إليه ، ولا يجب أن يكون السائل متشفعاً لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على عنقه آخر ، ومن سئل فليبدل ؛ لأن مال المرء نصفان ، له ما قدم ، ولوارثه ما خلف ، وأقرب الأشياء في الدنيا زوال المال والولاية ، والتعاهد للصنيعة

بالتحفظ عليها أحسن من ابتدائها ، ومن غرس غراساً فلا يضمن بالنفقة على تربيته ، فتذهب النفقة الأولى ضياعاً .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثني محمد بن أبي يعقوب الرعي حدثنا عبد الكريم بن محمد الموصلي حدثنا أبي قال : سمعت أبا تمام حبيب بن أوس الطائي يقول : وقفت على باب مالك بن طوق الرحبي أشهراً فلم أصل إليه ، ولم يعلم بمكاني ، فلما أردت الانصراف قلت للحاجب : أتأذن لي إليه أم أنصرف ؟ قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : فأيصال رقعة ، قال : لا ، ولا يمكن هذا ، ولكن هو خارج اليوم إلى بستان له فاكثب الرقعة وارم بها في موضع أرانيه الحاجب ، فكتبت :

لعمرى ، لئن حَجَبْتَنِي العبيد عنك ، فلم تحجب القافية  
سأرمي بها من وراء الجدا ر شعاء تأتيك بالداهية  
تصم السميع ، وتعمى البصير ومن بعدها تسأل العافية

فكتبت بها ورميت بها من المكان الذي أرانيه الحاجب فوقعت بين يديه ، فأخرجها ، فنظر فيها ، فقال : عليّ بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدخلت عليه ، فقال لي : أنت صاحب الرقعة ؟ قلت : نعم ، فاستنشدني ، فأنشدته ، فلما بلغت — ومن بعدها تسأل العافية — قال : لا ، بل نسأل العافية من قبلها ، ثم قال : حاجتك ، فأنشأت أقول :  
ماذا أقول إذا انصرفت ، وقيل لي : ماذا أصبت من الجواد المفضل ؟  
إن قلت : أغنائي كذبت ، وإن أقول : ضمنَّ الجواد بماله ، لم يحمل  
فاختر لنفسك ما أقول ، فإنني لا بد أخبرهم ، وإن لم أسأل  
فقال : إذا والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أقت بيابي ؟ قلت : أربعة أشهر ،  
قال : يعطى بعدد أيامه الوفا ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .

سمعت محمد بن نصر بن نوفل بقوئل يقول: سمعت أبا داود السنجى يقول :  
كان ببغداد رجل يقال له ابن الهفت ، فر يوماً على سائل واقف على الجسر ،  
وهو يقول : اللهم ارزق المسلمين حتى يعطوني ، فقال له : تسأل ربك الحوالة ؟

### ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي

حدثنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء  
الهمداني حدثنا مصعب بن المقدم حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن  
جابر قال « ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا ، ولا ضرب بيده  
شيئاً قط »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للمرء طلب المعالي من  
الأخلاق ، مع ترك رد السؤال ؛ لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق ،  
والندامة موكلة بترك معالجة الفرصة ، وإن الحرَّ حقَّ الحر من أعتقته الأخلاق  
الجميلة ، كما أن أسوأ العبيد من استعبدته الأخلاق الدنية ، ومن أفضل الزاد في  
المعاد اعتقاد الحماد الباقية ، ومن لزم معالي الأخلاق أنتج له سلوكها فراخا  
تطير بالسرور .

ولقد حدثني محمد بن سعيد القرزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضي حدثنا  
المسيب بن واضح يقول : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ما كان المال مذُ  
كانت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادي :

بادر هواك إذا همتَ بصالح      خوف العوائق أن تجيء فتغيبُ  
وإذا همتَ بسبيء فتعدَّه      وتجنّب الأمر الذى يُتجنب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما ضاع مال ورث صاحبه مجداً ، ولولا

المتفضلون مات المتجملون ، وليس يستحق المرء اسم الكرم بالكف عن الأذى إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثرت في الخير رغبته ، وكان اصطناع المعروف همته ، قصده الراجون ، وتأمله المتأملون ، ومن كان عيشه وحده ولم يعش بعيشه غيره فهو - وإن طال عمره - قليل العمر ، والبأس من طال عمره في غير الخير ، ومن لم يتأس بغيره في الخير كان عاجزاً ، كما أن من استحسن من نفسه ما يستقبه من غيره كان كالغاش لمن تجب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له همّة إلا بطنه وفرجه عدّ من البهائم ، والهمة تبلغ الرتبة العالية ؛ لأن الناس بهمتهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : كان لي خال من كلب ، فكان يقول لي : يا عبيد الله ، همّ ! فإن الهمة نصف المروءة .

وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

قد بلونا الناس في أخلاقهم فرأيانهم لدى المال تبع  
وحبيب الناس من أطمعهم إنما الناس جميعاً بالطمع

حدثنا عمر بن حفص البزار - بجنديسابور - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا الحسن بن واقع الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : سمعت كديراً أبا سليمان الضبي يقول « كان تقصر إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثمانية أبواب من حيث جاء السائل أعطى »

حدثنا محمد بن أحمد الرقام - بقستر - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم : سمع رجلاً إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فأنصرف فبعث بها إليه .

وأنشدني الكريزي :

لا تحقرنَّ صنيعَ الخيرِ تفعله      ولا صغيرَ فعالِ الشرِّ من صغره  
فلو رأيتَ الذي استصغرتَ من حسنِّ      عند الثوابِ أطلتَ العجبَ من كبره  
سمعتُ أحمدَ بنَ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ التَّمَّاني يقولُ : سمعتُ صالحَ بنَ آدمَ يقولُ :  
أنشد إنسانٌ عندَ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ هذينِ البيتينِ :

إن الصنِيعَةَ لا تكونُ صنِيعَةً      حتى يُصابَ بها طريقُ المصنِعِ  
فإذا صنعتَ صنِيعَةً فاعمدِ بها      اللهُ ، أو لذوى القربانِ ، أو دَعِ  
فقال عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ : إن هذينِ البيتينِ يخالِقُ الناسُ ؛ ينبغي لمن عملَ  
بهذا أن يدعو لمن طلبَ حاجةً بالبينَةِ ، بل تُبَثُّ الصنائِعُ ويرمَى بها مواضعُ القَطْرِ  
حيثَ حَلَّتْ ، وفي مثله يقولُ العتَّابي :

له في ذوى المعروفِ نُعمَى ، كأنه      مواقعُ ماءِ القَطْرِ في البلدِ القَفْرِ  
إذا ما أتاه السائلونَ حاجةً      علتهُ مصابيحُ الطلاقةِ والبِشْرِ  
حدثنا أحمدُ بنُ محمدَ بنِ سعيدِ القيسي حدثنا أحمدُ بنُ مسروقٍ حدثني ابنُ  
أبي سعيدٍ عن شيخٍ له قال : رأيتُ ابنَ المباركَ يعضُّ يدَ خادمٍ له ، فقلتُ له :  
تعضُّ يدَ خادمك ؟ قال : كم أمره أن لا يعد الدرهمَ على السؤالِ ، أقولُ له :  
أحسُّ لهم حَسْواً .

حدثنا عمرو بنُ محمدَ حدثنا الغلابي حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ عن  
عن أبيه قال : قال إبراهيمُ بنُ أبي البلادِ : حدثني أخى قال : رأيتُ الحجاجَ بنِي  
في عمله على العراقِ ، وقامَ إليه رجالٌ من أهلِ الحجازِ يسألونه ، فقال : توهمتم  
بنا أننا بغيرِ بلادنا ومالكِ متركٍ ، مَنْ هاهنا من أهلِ العراقِ ؟ فقامَ إليه تجارُ  
أهلِ العراقِ ، فقال : هل من سلفٍ ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألفَ ألفِ درهمٍ ،  
فقسمها ، فلما قدمَ العراقَ ردها ، وأكثرتُ ظني أنها ومثلها معها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأفرضَ فالأفرضَ ، يبدأ بأهل بيته ، ثم باخوانه وجيرانه ، ثم الأقرب فالأقرب ، ويتحرى المعروف والإحسان فى أهل الدين والعلم منهم ، ويجتنب ضد ما قلنا ؛ لأن مثلَ من لم يفعل ما أومأنا إليه كما أنشدنى الحسين ابن أحمد البغدادى :

تصول على الأدنى ، وتجتنب العدا      وما هكذا تُبَنَّى المكارمُ يا يحيى  
فكنتَ كفحل السوء ينزو بأمه      ويترك باقى الخليل سائمة ترعى  
وأنشدنى البسامى :

وكنت كمهريق الذى فى سقائه      لرقراق ماء فوق رايبة صدِّ  
كرضعة أولادٍ أخرى ، وضِيَّمت      بنى بطنها ، هذا الضلالُ من القصد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يبتدىء بالصنائع قبل أن يسأل ؛ لأنَّ الابتداء بالصنيعة أحسن من المكافأة عليها ، والإمساك عن التعرض خير من البذل ، والصنائع إنما تحسن بتمامها ، والتحافظ عليها بعدها ؛ لأنَّ بصلاح الخواتم تزكو الأوائل ، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية ، والناس فى الصنائع على ضربين : شاكِر ، وكافر ، ولقد أنشدنى بعض إخواننا :

وما الناسُ فى حسن الصنيعة عندهم      وفى كفرهم إلا كبعض المزارع  
فمزرعة طابت وأضعف ريعها      ومزرعةٌ كُدتْ<sup>(١)</sup> على كلِّ زارع  
وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

ومن يَصِّع المعروف فى غير أهله      يكن ضائعا فى غير حمد ولا أجر  
وحسب امرئ من كُفِرَ نَعْمَى جُجودها      إذا وقعت عند امرئ غير ذى شكر

(١) أي منعت وخيبت ظن الزارع ، وأصله من الكدية ، وهى القطعة الغليظة الصلبة من الأرض لا يعمل القاس فيها .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :  
لعمرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله إلا كبعض الودائع  
فستودع ضاع الذي كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : افتح من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك  
استحقاقاً منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ،  
ولا يشكر عند البر ، ويتعجب ممن يشكر ، ويذم من يحمد ، وإذا امتحن العاقل  
بمثل من هذا نعمته استعمل معه ما أنشدني الكريزي :

إن ذا اللؤم إذا أكرمه حَسِبَ الإِكرامَ حقاً لزمك  
فأهنه بهوان ، إنه إن تهنه بهوان أكرمك  
وأنشدني الأبرش :

إذا أوليتَ معروفاً لئماً يَعدُّكَ قد قتلتَ له قتيلاً  
فكن من ذاك معتذراً إليه وقل : إني أتيتك مستقيلاً  
فإن تفر ، فبجرتي عظيم وإن عاقبت لم تظلم قتيلاً  
ولستُ بعائد أبداً لهذا وقد حَمَلتني حِملاً ثَقِيلاً

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أهنا الصنائع وأحسنها في الحقائق ، وأوقعها  
بالقلوب ، وأكثرها استدامة للنعم ، واستدفاعاً للنقم ، ما كانت خالية عن المن في  
البداة والنهاية ، متعزية عن الامتتان ، وهو الغاية في الصنعة ، والنهاية في  
الإحسان .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أحسن من كل حسن في كل وقت وزمن  
صنعة . مربة خالية من المن

حدثنا محمد بن غدار بن محمد الحارثي بالبصرة حدثنا سهل بن زادويه حدثنا

محمد بن أبي الدوامي عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :  
ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاعَ اللهَ من نالها  
من لم يُؤاسِ الناسَ من فضلها عرَّضَ للإدبارِ إقبالها  
فاحذر زوالَ الفضلِ يا حائرًا واعطِ من الدنيا لمن سألها  
فإن ذا العرشِ سريعُ الجزاءِ يُخلفُ بالحبسة أمثالها  
حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعنى حدثني سعيد  
حدثني أبوك - يعني أباه أحمد بن النضر - قال : كان بالكوفة قوم من العرب ،  
فأصابت رجلا منهم حاجة ، فكان عياله يغزلون ويبيعون ، وكان يشركهم ،  
فقالوا : لاتعود علينا بشيء ، وما نكسب تشركنا فيه ، فأئنف من قولهم ، فخرج  
يَوْمَ بغداد ، ولم يدخل بغداد قبل ذلك ، وليس له حميم ولا قريب بها ، فدخلها  
ومرَّ على وجهه ، فرأى على باب يعقوب بن داود كاتب المهدي ، فرأى قوما جلوسا  
عليهم بزّة فقال : ما أخلق هؤلاء دُعوا إلى وليمة ، لو دخلت معهم لعلني أصيب  
شعبة ، فاندس معهم ، فخرج الإذن ، فقال : ادخلوا ، فدخلوا إلى دار قوراء  
كبيرة ، وإذا بهو في صدر الدار ، فجلسوا في البهو بمنّة ويسرة ، وأخلوا الصدر  
فجاء يعقوب فسلم عليهم وقعد ، ثم قال : يا غلام ، هات ، فجاء بصوانٍ عليها  
مناديل مغطى بها ، وإذا فيها أكياس ، فقال : أعطهم ، فوضعوا في حجر كل  
رجل منهم كيسا ، ووضعوا في حجرى كيسا حتى فرغ منهم ، ثم قال : أعد  
عليهم ، فوضع في حجر كل رجل منهم كيسا ، ووضعوا في حجرى كيسا حتى  
والى بين خمسة أكياس ، ثم قال : قوموا مبارك لكم ، وقد تعينه الخدم ، وليس  
له عندهم اسم ولم يعرفوه : فلما بلغ الدهليز ربطوه فصاح وصاحوا ، وسمع يعقوب  
الصوت ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : رجل دخل مع هؤلاء القوم لانعرفه ، فقال :  
على به ، فقال له : يا عبد الله ، ما أدخلك هذه الدار ؟ فقص عليهم القصة والسبب

الذى دخل له ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال : يعرفني فلان وفلان ، فسمى له قوما يعرفهم ، فقال : خلوا عن الرجل ، إنا كاتبون إلى هؤلاء القوم : فإن كان الأمر على ما ذكرت ، فتعال كل سنة في هذا الوقت ، ولك عندنا مثل هذا ، وكتب إلى القوم ، فسألهم فكتبوا بمعرفته ، فكان يحيى أيام حياته يأخذ خمسة آلاف وينصرف

### ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إنى لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف : لأن إطعام الطعام من أشرف أركان التدي ، ومن أعظم مراتب ذوى الحجى ، ومن أحسن خصال أولى النهى ، ومن عرف باطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب ، وقصده الرضى والعاتب ، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رقى نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ، ويُسرفه برفيع الذكر وكال الذخر .

حدثنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا أبو مصعب حدثنا الدراوردي عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أول من أضاف الضيف

حدثنا الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب حدثنا الأصبغى أخبرنى نافع بن أبي نعيم قال : قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية « قدمت

المدينة ، فاذا منادٍ ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار دُلَيْم ، وهو جد سعد ابن عبادَةَ بن دُلَيْم سيد الخَزْرَج ، ثم ضرب الزمان من ضربه ، فقدمتُ المدينة ، فاذا منادٍ ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبادَةَ : ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمتها ، فاذا منادٍ ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار سعد .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصي ، لم يكن كمال سؤدده إلا باطعام الطعام ، وإكرام الضيف  
والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلا قرى الضيف ، وإطعام الطعام ، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف للميل والميلين .

ولقد حدثني محمد بن المنذر حدثنا علي بن الحسن الفلستيني حدثنا أبو بكر السني حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال : بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق في أذنيه قرطان ، وفي كل قرطة جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يمجد ربّه بأبيات من شعر ، فسمعتة يقول :

ملكٌ في السماء به افتخاري عزيزُ القدر ليس به خفاء  
فدنوت إليه ، فسلمت عليه ، فقال : ما أنا براد عليك سلامك حتى تؤدى من حقى الذى يجب لى عليك ، قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتعدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف ، فأجبتة إلى ذلك ، قال : فرحّب بى وسرت معى حتى قربنا من خيمة شعر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه ، فأجابتة جارية من الخيمة يالبيكاه قال : قومى إلى ضيفنا هذا ، قال : فقالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف ، قال : فقامت وصلّت ركعتين شكراً لله ، قال :

فأدخلني الخيمة ، فأجلسني ، فأخذ الغلام الشفرة ، وأخذ عناقاً له ليذبحها<sup>(١)</sup> ، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ، فقطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مه ، أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب - تعني النبي صلى الله عليه وسلم - أن « زَيَّ العينين النظر » أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك ، وألكني أردت أن أودبك لكيلا تعود لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم بتُّ أنا والغلام خارج الخيمة ، وباتت الجارية في الخيمة ، قال : فكنت أسمع دويَّ القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك ؟ قال : فقال : تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح ، قال : فقلت : يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة ، قال : فتبسّم ، ثم قال : ويحك يافتي ! أما علمت أنه موفق ومخدول .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا ما أتاك الضيفُ فابداً بحقه قبل العيال ، فإنَّ ذلك أوصوبُ<sup>(٢)</sup>  
وعظّم حقوق الضيف واعلم بأنه عليك بما توليه من ذهاب

أبنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس قال : صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكل وحده .

حدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا أبو أمية حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد الطائي حدثنا عمرو بن هانيء قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السنبسي - فخذ من طيء - يُغَدِّي أهل ثلاثة مساجد ، ويعشيهم ، يوماً بئراند ، ويوماً برطبة ، يعني الحيس . وماله قبيص إلا قبيص هو لجمعه وهو للبيت .

(١) الشفرة - بالفتح - السكين . والعناق - بوزن السحاب - الأثني من ولد العز

(٢) عجز هذا البيت لا يستقيم مع صدره ولا مع ما بعده

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكِسْر ؛ لأن نعمة الله إذا لم تُصَنَّ بالقيام في حقوقها ترجع من حيث بدأت ، ثم لا ينفع من زالت عنه التلطف عليها ، ولا الإفكار في الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب النماء والزيادة ، واستدخر الأجر في القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقاق القليل ، وتقديم ما حضر للأضياف ؛ لأن من حَقَّرَ منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .  
ولقد حدثني كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب الفرجي حدثنا الوليد ابن شجاع حدثنا عقبه بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي :

ما إكرام الضيف ؟ قال : طَلَاقةُ الوجه ، وطيب الكلام .

وأنشدني الكريزي في قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا اللدَّيدبانَ على يَفَاعٍ <sup>(١)</sup> وقالوا : لا تَمِّمُ للديدبان

إذا أبصرت شخصاً من بعيد فصَفَّقْ بالبنان على البنان

ترام خشية الأضياف خُرْساً يَصَلُّون الصلاة بلا أذان

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أبجل البخلاء من بخل بإطعام الطعام ، كما

أن من أجود الجود بذله ، ومن ضَنَّ بما لا بد للجنة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه :

كان بغيره أبجل ، وعليه أشح .

ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ،

فإنه لا يذلُّ من خدم أضيافه ، كما لا يعزُّ من استخدمهم ، أو طلب لقراءه أجراً .

وأنشدني كامل بن مكرم أنشدني محمد بن سهيل :

وإني لطلق الوجه للمبتغى القري وإنَّ فِئسَى للقري لرحيبُ

(١) اليفاع : الأرض المرتفعة .

أضاحك ضيفي عند إنزال رحله فيخصبُ عندي ، والمحلُّ جديب  
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنا وجه الكريم خصيب  
وأنشدني الأبرش :

لا تبخلنَّ بدنيا ، وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرفُ  
وإن تولتْ فأحري أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلفُ  
أنا أنا الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العقبى عن أبي مخنف لوط بن يحيى  
حدثني هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عبادة خرج من مصر ،  
فر بأهل بيت من القَينِ فنزل بهم ، فنحرم لهم صاحب المنزل جزوراً وأتاهم به ،  
فقال : دونكم ، فلما كان من الغدِ نحر لهم آخر ، ثم حبستهم السماء اليوم  
الثالث ، فنحرم لهم مثله ، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوباً من ثياب  
مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فما صار إلا قليلاً  
حتى أتاه صاحب البيت على فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدرهم ،  
فقال : يا هؤلاء ، خذوا بضاعتكم عني ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإننا لم  
نكن لناخذها ، فقال الرجل : لتأخذنَّها ، أو لا ينفذ منكم رجل ، أو تذهب  
نفسى ، فعجب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ الله أبوك ! ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟  
فكافأناك ، ما في هذا من بأس ، فقال الرجل : إنا لا نأخذ القرى ابن السبيل  
وقرى الضيف ثمناً ، لا والله لا أفعل أبداً ، قال لهم قيس : أما إذ أبي فخذوها  
منه ، فأخذوها ، ثم قال قيس : ما فضلنى <sup>(١)</sup> رجل غير هذا .

حدثني أحمد بن عمرو الزنبقي بالبصرة حدثنا الحسن بن مدرك السدوسي  
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله القرشي حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب  
قال : لأن أشبع كبداً جائعة أحب إليَّ من حجة بعد حجة .

(١) فضلنى : زاد على فى الفضل وأربى .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عيسى بن أبي موسى الأنصاري حدثني  
أبي حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس  
ابن سعد بن عبادة « اللهم ارزقني مالا وفعالا ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال » .

### ذكر الحث على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا عبد الرحمن بن بكر بن الربيع  
ابن مسلم ، قال : سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد بن زياد يقول : سمعت  
أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يشكر الناس  
لا يشكر الله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على من أسدى إليه معروف أن يشكره  
بأفضل منه أو مثله ، لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه  
وإن قلَّ ، فمن لم يجد فليثن عليه ؛ فإن الثناء عند العدم يقوم مقام الشكر  
للمعروف ، وما استغنى أحد عن شكر أحد .

وقد أنشدني محمد بن زنجي البغدادي :

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد      لِعِزَّةِ مُلْكٍ ، أو علوِّ مكان  
لما أمر الله العباد بشكره      فقال : اشكروني أيها الثقلان  
وأنشدني الكريزي :

إذا المرء لم يشكر قليلا أصابه      فليس له عند الكثير سُكُور  
ومن يشكر المخلوق بشكر لربه      ومن يكفر المخلوق فهو كفور  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

حافظ على الشكر كي تستجزل القسما      من ضيَّع الشكر لم يستكمل النعما  
الشكر لله كنز لا نفاذ له      من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العقبى قال : مر سعيد بن العاص بدار رجل بالمدينة فاستسقى فسقوه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادى عليها فيمن يزيد ، فقال لمولاه : سأل لم تباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحبها دين ، قال : فارجع إلى الدار ، فرجع ، فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه ، فقال : لم تباع دارك ؟ قال : لهذا على أربعة آلاف دينار ، فنزل وتحدث معهما ، وبعث غلامه فأتاه ببكرة فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ، ودفع الباقي إلى صاحب الدار وركب ومضى .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

ومن يُسَدِّ معروفًا إليك ، فكُنْ له  
ولا تبخلن بالشكر ، والقَرْضَ فأجزه  
شكوراً يكن معروفُهُ غير ضائع  
تكن خير مصنوع إليه وصانع

وأنشدني بعض أهل العلم :

فكن شاكرًا للنعمين لفضلهم  
ومن كان ذا شكر فأهل زيادة  
وأفضل عليهم إذ قدرت وأنعم  
وأهل لبذل العرف من كان يُنعم

وأنشدني الكريزي :

أحق الناس منك بحسن عون  
وأشكرهم أحقهم جميعا  
لمن سلفت لكم نعم عليه  
بحسن صنيعه منكم إليه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحر لا يكفر النعمة ، ولا يتسخط المصيبة ، بل عند النعم يشكر ، وعند المصائب يصبر ، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك أن لا يشكر الكثير منه ، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ، ولن أسداها إليه .

ولقد حدثني أحمد بن محمد القيسي حدثني محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم القرشي قال : سمعت أبا عبيدة مَعْمَر بن المثنى يقول : ماتت لعبيد بن معمر

بنت ، ففعد في المآتم في مسجده في سكة سبانوش ، فجاء عبيد الله بن أبي بكرّة معزيا ، وإذا الأشراف قد أخذوا مواضعهم ، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف قد عرفه ، فقام قائما ، وجعل يقول له : ههنا ، حتى أخذ بيده فأقعده في مجلسه ، ثم ذهب ففعد في أخريات الناس ، فأمر عبيد الله غلاما كان معه أن يتماهده إلى قيامه ، فلما قام دعا الرجل ، فقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، قال : من أنا ؟ قال أنت عبيد الله بن أبي بكرّة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما حملك على تركك مجلسك لي ؟ قال : إجلالا لولد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أوجب الله على أمثالي خصوصا من التبجيل ، فقال له عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة نريد أن نصير إليها ؟ قال : نعم ، قال : فصحبه الرجل إلى تلك الضيعة في نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريب نخل ، وعلى وجه الضيعة قصر بني بأجر وجص وخشب ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ عبيد الله بيد الرجل وجعل يدور به في تلك النخيل ، فقال للرجل : كيف ترى هذه الضيعة ؟ قال : تالله ما رأيت نخيلا أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ، ولا أسرى ضيعة منها ، قال : قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبعث إليك بصكها ، قال : فاستطار الرجل فرحا وبكاء ، وقال : أنعشتني وأنعشت عيالي ، فقال عبيد الله : وم لك من العيال ؟ قال : ثلاثة عشر نفسا ، قال : فإني قد جعلت اسم عيالك في اسم عيالي ، أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله : من تكون له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله في سرة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلنا قاعد علينا نأمر بك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ورأس مال وخدم تصلح لدارك تعيش بها إن شاء الله ، قال : فقدنا الرجل عليه ، فأمر له بشراء دار بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بدابة وبغل وسائس وكسوة وصرفه .

وأنشدني الأبرش :

الشكرُ يفتح أبواباً مغلقةً      لله فيها على مَنْ رامه نَمٌّ  
فبادر الشكر ، واستغلق وثائقه      واستدفع الله ما تجرى به النقم

حدثنا أحمد بن الحسن المدائني بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول :  
أخذ رجل بركاب الشافعي ، فقال : ياربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

ومن يشكر العرف الصغير فإنه      سينمي ، وَيَجْتَرُّ المزيء أصاغره  
ومن يشكر المعروف يحمده إلهه      ويضعف أضعافاً على الحمد شاكره

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

وإذا اصطنعتَ إلى أخيك      صنيعه ، فأنسِ الصنيعه

والشكر من كرم القتي      والكفر من لؤم الطبيعة

والصبر أكرمُ صاحبٍ      فأصعبه إن نزلت فجيعه

حدثنا أحمد بن قریش بن بشر بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي  
حدثنا أحمد بن خليل حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم  
ابن آدم إذا صنع إليه أحد معروفًا حرص على أن يكافئه ، أو يتفضل عليه ، قال  
أبو عيسى : فلقيني وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جئت من الرملة ، قال :  
وقد اشترى بأربعة دوانيق تفاعاً وسفر جلاً وخوخاً وفاكهة ، فقال : يا أبا عيسى ،  
أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا عجوز يهودية في كوخ لها ، فقال : أحب أن  
توصل هذا إليها ، فانتى مررت وأنا ممس ، فبيتنتني عندها ، فأحب أن أكافئها  
على ذلك .

وأنشدني الكريزي :

يدُ المعروف غنمٌ حيث تُسدَى      تحملها شكورٌ ، أم كفورُ  
كفى شكر الشكور لها جزاءً      وعند الله ما كفر الكفور

وأنشدني بعض أهل العلم :

رهنتُ يدي للعجز عن شكرِ برِّه      وما فوق شكري للشكور مزيد  
ولو كان شيء يستطيعُ استطعته      ولكنَّ مالا يستطيع شديدُ  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ، ويحمد  
المعروف على حسب وسعه وطاقته ، إن قدر فبالضعف ، وإلا فبالمثل ،  
والا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده ، مع بذل الجزاء له بالشكر ، وقوله : جزاك الله  
خيرا ، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ في الثناء .

ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين : إما  
رجل لا معرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها ، لما لم يركب فيه من التفقد لمراعاة  
الغشرة ، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه ، وترك المناقشة على فعله ، والرجل  
الآخر : أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة ، استخفافا بالمنعم ، واستحقارا للنعمة ،  
وتهاونا في نفسه لها أو لأحدهما ، فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود  
إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به .

وأنشدني علي بن محمد :

علامة شكر المرء إعلان حمده      فمن كتم المعروف منهم فما شكر  
إذا ما صديقي نال خيرا ، فخانني      فما الذنب عندي للذي خان أو فجر  
ولكن إذا أكرمته بعد كفره      فأني ملوم حيث أكرم من كفر

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

إذا أنا أعطيتُ القليل شكرتم      وإن أنا أعطيتُ الكثير فلا شكرُ  
وما لمت نفسي في قضاء حقوقكم      وقد كان لي فيما اعتذرت به عذر

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع  
والسمى فيها من غير قضائها إذا كان المنعم من ذوى القدر فيه ، والاهتمام بالصنائع ،

لأن الاهتمام ربما فاق المعروف ، وزاد على فعل الإحسان . إذ المعروف يعمل المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غير مهتم به ، ولا مشفق عليه ، وربما فعله الإنسان وهو متكاهن . والاهتمام لا يكون إلا من فرط عناية وفضل وودٍّ ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره المعروف .

أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

لأشكرنك معروفا هممت به  
ولا ألومك إن لم يمضه قدرٌ  
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

بَطْرَ النعمة مَنْ ضَيَّعَهَا  
ومُضِيْعُ الشكر مُستدعى الغَيْرِ  
فاجعل الشكر عليها حارساً  
ربما ابتزَّ الفتي النعمى البطر

حدثني عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله الجشمي حدثنا علي بن محمد قال : مر عمر بن هبيرة - لما انصرف في طريقه - فسمع امرأة من قيس تقول : لا والذي ينجي عمر بن هبيرة ، فقال : يا غلام ، أعطها ما معك ، وأعلمها أني قد نجوت .

### ذكر الحث على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا مؤمل ابن إسماعيل حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلُّكم راع ، وكلُّكم مسئول عن رعيته ، فالأمير راع على رعيته ، ومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرحت السنة عن المصطفى صلى الله عليه

هو سلم ، بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم  
التعاهد لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم  
وراعى المتعلم معلمه ، وراعى الولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجها ، وحارس  
العبد مولاه ، وكلُّ راعٍ من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملوك ؛ إذ هم رعاة لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة  
نفاذ أمورهم ، وعقدُ الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم  
يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد ،  
ولا يدوم مُلكُ ملكٍ إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ، ولا يتم  
ذلك إلا أن يكون الوزير ودوداً نصوحاً ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف  
والرأى ، ولا يتم قوام هؤلاء إلا بالمسال ، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية ، ولا  
تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكأن ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ،  
وزواله لا يكون إلا بمفارقتة .

فالواجب على الملك أن يتفقد أمور عماله ، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ،  
ولا إساءة مسيء ، لأنه إذا خفى عليه أعمال عماله لم يكن قائماً بالعدل .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا سُتتَ قوماً فاجعل العدل بينهم وبينك ، تأمن كلَّ ما تتخوفُ

وإن خِفتَ من أهواء قوم تشتتوا فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضي

حدثنا الأصمعي قال : قال ملك طخارستان لنصر بن سيّار : ينبغي للامير أن يكون

له ستة أشياء : وزير يثق به ويفضى إليه بسرّه ، وحصان يلجأ إليه إذا فرغ أنجاه

يعنى فرسا ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة المحمل

إذا نابتة نائبة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همّه ، وطباخ إذا لم يشته

الطعام صنع له شيئاً يشتهيّه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للسلطان أن يفرط البشاشة والمشاشة للناس ، ولا أن يقلّ منهما ؛ فإن الإكثار منهما يؤدي إلى الخفة والسخف ، والإقلال منهما يؤدي إلى العجب والكبر ، ولا ينبغي له أن يفضب لأن قدرته من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن يبخل ؛ لأنه لا عذر له في منع الأموال والجاه معاً ، ولا له أن يحقد ؛ لأنه يجب أن يترفع عن المجازاة ، فأفضل السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأعجزهم آخذهم بالهويّنا ، وأقلهم نظراً في العواقب ، وخير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف ، لا من أشبه الجيف حولها النسور .

ويجب عليه استبقاء الرياسة وما فيه من نعمة الله عليه بلزوم تقوى الله ، وتفقد أمور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضاً ؛ لأنه مامن قوى في الدنيا إلا وفوقه أقوى منه ، فمتى ما عرف السلطان فضل قوته على الضعفاء فقره ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حيناً عليه وهلاكاً له ، والضعيف المحترس أقرب إلى السلامة من القوى المغتر ؛ لأن صرعة الاسترسال لا تكاد تستقال ، ولا يجب أن يعجل في سلطانه بعقاب من يخاف أن يندم عليه ، ولا يثقل بمن عاقبه من غير جرم .

وما أشبه السلطان إلا بالنار ، إن قصرت بطل نفعها ، وإن جاوزت عظم ضررها ، فخير السلطان من أشبه الغيث في أحيائه في نفع من يليه ، لا من أشبه النار في أكلها ما يليها .

والسلطان إذا كان عادلاً خيراً من المطر إذا كان وابلاً ، وسلطان غشوم خيراً من فتنة تدوم ، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خصب زمانهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مرجى بن المؤمل بن المثنى المري عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الولي من الرعية مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذي لا بقاء له إلا معه » .

وأشدنى ابن زنجى البغدادى للأفوه الأودى :

لا يصلحُ الناسَ قَوْضَى لاسرَّادَ لهم ولا سرَّاة إذا جهَّالهم سادوا  
والبيتُ لا يُبتنى إلا بأعمدة ولا عماد إذا لم تُرس أوتادُ  
فإن تجمَّع أوتادُ وأعمدة وساكنٌ أدركوا الأمر الذى كادوا  
تُهْدَى الأمور بأهل الرأى ما صلحت فإن تولَّت فبالأشرار تنقُادُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على السلطان قبل كل شىء أن يبدأ بتقوى الله وإصلاح سريره بينه وبين خالقه ، ثم يتفكر فيما قلده الله من أمر إخوانه ، ورفعه عليهم ؛ ليعلم أنه مسئول عنهم فى دق الأمور وجلبها ، ومحاسبٌ على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلاً عفيفاً نصحاً ، وعمالاً صالحين بررة راشدين ، وأعواناً مستورين ، وخداماً معلومين ، ثم يقدر عماله ما لاغنى له عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذ المال من حله ، ويفرقه فى أهله ، ثم يتفقد أمر بيت المال بأن لا يدخله حبةٌ فما فوقها من قهر أو جور ، أو سلب أو نهب أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذرَّة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ، ثم لا يخرجها إلا فى المواضع التى أمر الله جل وعلا فى سورة الأنفال (١) .

ثم يتفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ومجاورى بيت الله وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يتفقد ثغور المسلمين ، ولا يولى على الثغور من عماله إلا من يعلم أن القتل فى سبيل الله يكون آثر عنده من البقاء فى الدنيا ليغزى الناس ولا يعطل الثغر .

---

(١) فى قوله تعالى ( ٨ : ٤١ ) واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسة وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — الآية ) : والآيات فى هذا المعنى كثيرة

ثم يتفقد ثغور المسلمين ومراقبهم والأبرجة التي بين المسلمين وبين عدوهم ،  
بأن يعمرها ويقيم فيها أعيننا من المسلمين تتجسس أخبار العدو ويُجْرِي عليهم من  
بيت ما لهم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار بعطائهم ، ويعرف فضيلتهم ، وسابقة  
آبائهم ، وأنه إنما نال ما نال بهم .

ثم يتفقد أمور الحكم بأن لا يولى أحداً على قضاء المسلمين إلا من يعلم منه  
العفاف والعلم ، وترك الميل إلى الهوى والحكم بغير ما يوجبه العلم .

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وضعفاء المسلمين ، وليكن لمن  
هو أصغر سنّاً منه أبا ، ولين هو أكبر منه ابناً ، ولأترابه <sup>(١)</sup> أخاً ، فيكون في  
تفقد أمورهم ولصلاح أسبابهم أكثر من تفقدهم بأنفسهم .

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم في كل سنة إلى المدن ، ليشرفوا  
على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها فيعزل من استحق  
منهم العزل ، ويقرّ من اتبع الحق .

ثم يجعل لنفسه موضعاً لا يتنع منه لطرح القصص ، ويبرز للرعية في كل يوم  
مرة ، أو في كل ثلاثة أيام ، أو في كل أسبوع ، يرفعوا إليه حوائجهم ، وليجتنب  
الحِدَّةَ وليلزم الحلم الدائم فيما يرد عليه من أسبابهم .

واقعد حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر  
ابن عياش ، أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسودون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء  
إنما كانوا يسودون من إذا شتم حُلم ، وإذا سئل حاجة فضاها ، أو قام  
معهم فيها .

وأشدنى الأبرش :

وقد يُبغِضُ الحياتِ أولادُ آدمَ وأبغضُ ما فيها إليهم رهوسها

(١) الأتراب : جمع ترب - بالكسر - وهو المساوى لك في السن

وما ابتليت يوماً بشرٍ قبيلةً أضراً عليها من سَنِيهِ يسوسها  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يستحق أخذ اسم الرياسة حتى يكون فيه  
ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .

ثم يتعمى عن ستة أشياء : عن الحدة ، والعجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ،  
وترك المشاورة .

ثم يلزم في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق في الأمور ، والصبر  
على الأشياء ، وطول الصمت .

فمن تعرى عن هذه الأشياء - وهو ذو سلطان - عمى عليه قلبه ، وتشتت عليه  
أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء بصر قلبه مثلها ،  
ودخل الخلل في أموره نحوها .

وإنما مثل الرئيس والرعية : كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد ؛ فإن لم يكن  
ذلك القائد أحد الناس بصراً ، وألطفهم نظراً ، كان خليقاً أن يوقعهم وإياه  
في وهدة تَنَدَّقُ أعناقهم وعنقه معهم .

والواجب على السلطان أن لا يغفل عن الأشياء الأربعة التي صلاحه في دينه  
ودنياه فيها ، وهى ما حدثنا به عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن  
عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني قال « خرج الزهري يوماً من عند هشام بن  
عبد الملك فقال : مارأيت كالسيوم ، ولا سمعت به كأربع كلمات تكلم بهن رجل  
آنفاً عند هشام بن عبد الملك ، فقيل له : وما هن ؟ قال : قال له رجل : يا أمير  
المؤمنين ، احفظ عنى أربع كلمات ، فيهن صلاحُ ملكك ، واستقامة رعييتك .  
قال : هاتهن ، قال : لا تَعِدَنَّ عِدَّةَ لا تُثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغررك  
المرتقى ، وإن كان سهلاً ، إذا كان المنحدرُ وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاءاً ،  
فاتق العواقب ، وأن للأموال بغتات ؛ فكن على حذر .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

بلاء الناس مذ كانوا إلى أن تأتي الساعه  
بحب الأمر والنهي وحب السمع والطاعة  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل طلب الإمارة ؛ لأن من أوتيتها  
عن مسألة وُكِّلَ إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر  
بالرياسة فليحترز ؛ لأن الريح الشديدة لاتحطم الكلاً ، وهي تحطم دَوح الشجر  
ومشيدّ البنيان .

وليُزَم المشورة ؛ فإن في المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي ، وليصطنع إلى  
الناس كافة في الوقت الذي يقدر على الصنائع والمعروف قبل أن يجيئه الوقت الذي  
يفقد فيه القدرة عليها ، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء  
لأن من ظفر بأمر جسيم فأضاعه فاتته ، ومن أمكنته الفرصة فأخّر العمل فيها  
لاتكاد تعود إليه .

والسلطنة إنما هي قول الحق والعمل بالعدل ، لا التفاخر في الدنيا واستعمال البذل .  
ولقد حدثنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ،  
حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو عمرة بن العلاء : كانوا لا يسوّدون إلا من  
تكاملت فيه ست خصال وتماهن في الإسلام السابعة : السخاء ، والنجدة ، والصبر  
والحلم ، والبيان ، والتواضع ، وتماهن في الإسلام الحياء .

وأنشدني الكريزى :

إذا نلت الإمارة فاسمُ فيها إلى العلياء بالعمل الوثيق  
بمحض خليقةٍ لا عيبَ فيها وليس المحضُ كاللبن المذيق<sup>(١)</sup>  
ولا تكُ عندها حلواً فمتحسى ولا مرّاً فتتشبَّ في الخلق

(١) المحض : الخالص في جنسه لا يشوبه شيء من جنس آخر ، واللبن المذيق :

وكلُّ إِمارةٍ إلا قليلاً مَغيرةُ الصديق عن الصديق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته ؛  
لأن من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بشه<sup>(١)</sup> ؛ فقد خان نفسه  
ومن يصحب السلطان لا ينجو من الآثام ، كما أن راكب العجل لا يأمن العثار ،  
ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه ، ولا عقوبته إن كذبه ، ولا يجترىء  
عليه ، وإن أدناه ؛ لأن الحازم العاقل لا يشرب السُّم اتكالاً على ما عنده من  
الترياق والأدوية .

وإني لأستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله والعمل  
الصالح ، كأنه يتعلم منه ، ويؤدبه كأنه يتأدب به ، ويتقى سخطاته ، والسخط إذا  
كان عن علة كان الرضا عنه موجوداً ، وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء  
ولا يجب أن يعلم كلَّ ما تأتي الملوك من أمورها ؛ لأن في معرفتهم إياها بعض الفتنة  
وهيئات ! من ذا صحب السلطان فلم يفتن ، ومن اتبع الهوى فلم يعطب ، إن الشجرة  
الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها ، وربما كان ذنب الطاووس الذى  
فيه جماله سبب حتفه ؛ لأنه يثقله حتى يمنعه من الهرب ، ومن صحب السلطان لم  
يأمن التغيير على نفسه ؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور ، فإذا  
وقعت في البحور ملحت ، على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة في نور  
علمهم ، وكثرة غشياتهم إياهم غشاوة على قلوبهم ، ومن صحب الملوك لم يأمن تغييرهم  
ومن زایلهم لم يأمن تفقدهم ، وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم ، وإن  
عزم على شيء لم يجد بدا من مؤامرتهم ، وأسمح شيء بالملوك الحدة .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ، حدثنا يحيى بن معين ،  
حدثنا المبارك بن سعيد الثورى قال : كان يقال : خمس خلال هنَّ أقبح شيء

بمن كنّ فيه : الحدة في السلطان ، والكبر في ذى الحسب ، والبخل في الغنى ،  
والحرص في العالم ، والفتوة في الشيخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هموما ، وأدومهم غوما ،  
وأشغلهم قلوبا ، وأشهرهم عيوبا ، وأكثرهم عدوا ، وأشدّهم أحزانا ، وأنكاهم .  
أشجانا ، وأكثرهم في القيامة حسابا ، وأشدّهم - إن لم يعف الله عنهم - عذابا .  
ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه ، اتخاذ وزير عفيف ناصح على  
ما تقدم ذكرنا له ؛ فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكّره ، وإن ذكر أعانه ، وإن  
سوّلت له نفسه سيئة صدّه ، وإن أراد طاعة نشّطه ، فهو المحب له إلى الناس ،  
والمستجلب له دعاءهم .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا نسي الأمير قضاء حق فإنّ الذنب فيه للوزير  
لأنّ علي الوزير ، إذا تولى أمور الناس ، تذكير الأمير

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على كل من يغشى السلطان وامتنحن  
بصحبته أن لا يعد شتمه شتما ، ولا إغلاظه إغلاظا ، ولا التقصير في حقه ذنبا ؛  
لأن ربح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه  
فلا يثقنّ بها ، وليجانب معه كلام الملقّ والإكثار من الدعاء في كل وقت ،  
وكثرة الانبساط ، فربّ كلمة أثارت الوحشة ، بل يجتهد في توقيره وتعظيمه عند  
الناس ، فإن غضب فليحتلّ في تسكين غضبه باللين والمداراة ، ولا يكون سببا  
لتهميجه .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال :  
بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إني أستشيرك في أمر ، إني قد تأنيت أهل

المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ، ولا يُعتبون<sup>(١)</sup> . وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها ، وأغور عيونها . فما ترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لا تكلم ؟ قال : إن أذنت لي تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قَدَّر فغفر . وقد جعلك الله من النسل الذي يعفون ويصفحون . قال : فطفيء غضبه وسكن .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد بن حميد بن فروة عن أبيه قال : لما استقرت للمأمون الخلافة ، دعا إبراهيم بن مهدي المعروف بابن شكلة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت المتوثب علينا تدعى الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت ولي التار ، مُحَكِّمٌ فِي الْقِصَاصِ ، وَالْعَفْوِ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ ، كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ ، فَإِنْ أَخَذْتَ أَخَذْتُ بِحَقِّ ، وَإِنْ عَفَوْتَ عَفَوْتُ بِفَضْلِ ، وَلَقَدْ حَضَرْتُ أَبِي وَهُوَ جَدُّكَ أَنِّي بَرَجَلٌ كَانَ جَرْمُهُ أَعْظَمُ مِنْ جَرْمِي ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِقَتْلِهِ وَعِنْدَهُ الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ ، فَقَالَ الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَأْنِي فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ حَتَّى أَحْدِثَهُ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنَ الْحَسَنِ يَحْدُثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : إِيهَ يَا مَبَارَكُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٌ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ : أَلَا لِيَقُمَّ الْعَافُونَ مِنَ الْخَلْفَاءِ ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ لَهُ : يَا مَبَارَكُ ، قَدْ قَبِلْتُ الْحَدِيثَ ، وَعَفَوْتُ عَنْهُ ، أَخْرَجَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَلَا سَبِيلَ لِأَخْذِ عَلَيْكَ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَمَّ ، هَاهُنَا ، يَا عَمَّ ، هَاهُنَا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على من ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله جل وعلا في كل لحظة وطرفة ؛ لئلا يطغيه ما هو فيه من تسلطه ، بل يذكر

(١) يعتبون - بضم حرف المضارعة - يزيلون عتبي عليهم بترضيم إياي .

عظمة الله وقدرته وسلطانه ، وأنه هو المنتقم عن ظلم ، والمجازي لمن أحسن ، فليزِم  
في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين ، وليعتبر بمن كان  
قبله من أشكاله ، فإنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه ، كما هو لا محالة مسئول  
عن حسابه ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى يوم  
القيامة : ألم أحملك على الخير ، ورزقتك النساء ، وجعلتك ترأس وتربع ؟ فيقول :  
بلى ، فيقول : فأين شكر ذلك ؟ »

وأُشِدني ابن زنجي البغدادي :

يدبر أسباب الرجال مؤمراً إذا صلحت في الصدر أشنى وأبين  
من العقل أن تحتاط فيما وليته وتحسم ما نخشاه ، والأمر ممكن

### ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام ، حدثنا عبد الله بن هانيء بن  
عبد الرحمن بن أبي عبيدة ، حدثنا أبي عن عمه إبراهيم بن أبي عبيدة عن أم الدرداء  
عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في  
بدنه ، آمنأ في مربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا <sup>(١)</sup> يا ابن  
جشم يكفيك منها ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، فإن يكن ثوباً تلبسه  
فذاك ، وإن كانت دابة تركبها فبئح فلق الخبز ، وماء الحب ، وما فوق الإزار  
حساب عليك » .

---

(١) كذا في الأصل ، وليس لسراقة بن مالك بن جشم ذكر في الحديث ، ولعله  
حديثان ، وفي الترغيب والترهيب : يروى عن ثوبان قال : قلت « يا رسول الله  
ما يكفيني من الدنيا ؟ قال : ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان لك بيت  
يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فبئح » رواه الطبراني في الأوسط .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يفتخر بالدنيا وزهرتها ،  
وحسنها وبهجتها ، فيشتغل بها عن الآخرة الباقية ، والنعم الدائمة ، بل ينزلها حيث  
أنزلها الله ؛ لأن عاقبتها لاحالة تصير إلى فناء ، يخرب عمرانها ، ويموت سكانها ،  
وتذهب بهجتها ، وتبيد خضرتها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤمراً ، ولا فقير مسكين  
محقر ، إلا ويجرى عليهم كأس المنايا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فيبلون حتى  
يرجعون إلى ما كانوا عليه في البداية إلى الفناء ، ثم يرث الأرض ومن عليها  
علام الغيوب ، فالعاقل لا يركن إلى دار هذا نعمتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها ،  
وقد ادخر له ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيضن  
بترك هذا القليل ، ويرضى بفوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال :  
سمعت بشر بن الحارث يقول :

لا تأس في الدنيا على فائتٍ      وعندك الإسلام والعاقبة  
إن فات أمرٌ كنت تسعى له      ففيهما من فائتٍ كافية

وأشدنى الكريزى ، أنشدنى شعيب بن أحمد لسليمان بن يزيد العدوى :

ألم تر أن المرء يودى شيابه      وأن النيا للرجال تشعبُ  
فمن ذائق كأساً من الموت مرةً      وآخر أخرى مثلها يترقبُ  
لها منهم زادٌ حيث وسائق      وكل بكأس الموت يوماً يشربُ  
وما وارثٌ إلا سيورث ماله      ولا سالبٌ إلا وشيكا يسلبُ  
ولا آلفٌ إلا سيتبع إلهه      ولا نعمة إلا تبديد وتذهب  
وما من معانٍ والمصائب حجة      يعاورها العصران إلا سيمطبُ  
أرى الناس أصنافاً أقاموا بقرية      تقلبهم أيامها وتقلبُ  
بدارٍ غرور حلوة يعمرونها      وقد عاينوا فيها زوالاً وجربوا

يذمون دنيا لا يريحون دَرَّهَا فلم أر كاللنيا تدم وتحلب  
تسرم طوراً ، وطوراً تَدْيِقُهُمْ مَضِيضَ مَكَوٍ حَرَّهَا يتلهب  
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبيد الله قال : عاد  
رجل مريضاً فسمع قائلًا يقول من ناحية البيت :

نادربَّ الدارِ ذا المبالِ الذي جمع الدنيا بحرصٍ : ما فعل ؟  
فأجابه مجيب :

كان في دار سواها داره علته بالني ، ثم انتقل  
لم يتمتع بالذي كان حوى من حطام المال ، إذ حلَّ الأجل  
إنما الدنيا كظلِّ زائل طلعت شمسٌ عليه فاضمحل  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :

العيش لوان : فخلو ومرّ والدهر نصفان : فريف<sup>(١)</sup> وضر  
والنطق جزآن : فبعر ، ودُرّ والناس اثنان : فنذل ، وحر  
يومك يومان : فخير ، وشر نهار يزول ، وليل يُكرّ  
وكذاك الزمان على من مضى وكل السنين على ذا تمرّ

وأنشدني الأبرش :

إنما الدنيا نهارٌ ضوءها ضوءٌ معارُ  
بينما غُصنك غضٌّ ناعمٌ فيه اخضرار  
إذ رماء زمانه فإذا فيه اصفرار  
وكذاك الليل يأتي ثم يحويه النهار

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

---

(١) الريف - بالكسر - أرض فيها زرع وخصب ، وسعة في المأكل والمشرب .  
والأبيات غير متسقة الوزن .

يالأثمَ الدهر إذا مانبا      لانلم الدهر على غَدْرِهِ  
الدهرُ مأمور له أمر      ينصرف الدهر إلى أمره  
كم كافرٍ بالله أمواله      تزداد أضعافاً على كفره  
ومؤمن ليس له درهم      يزداد إيماناً على فقره  
لاخير فيمن لم يكن عاقلاً      ييسط رجله على قدره  
وأنشدني الكريزي :

ما الدهر إلا ليلةٌ ويومٌ      والعيش إلا يقظةٌ ونومٌ  
يعيش قوم ، ويموت قوم      والدهر قاضٍ ماعليه لوم

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا إسحاق الموصلي قال : قال أبو حازم : بضاعة الآخرة كاسدة ، فاستكثر منها في أوان كسادها ؛ فإنه لو جاء أوان نفاقها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الدنيا بحر طغّاح ، والناس في أمواجها يعومون ، وفي أمثال تضربها الأيام للأنام — وما أكثر أشباهها منها — لأن كل ما يصير إلى فناء منها يشبهها ، فمن أوتى من الدنيا أشياء ثلاثة فقد أوتى الدنيا بحذافيرها : الأمن ، والقوت ، والصحة ، لا يفتقر بشيء منها إلا كل خداع ، ولا يركن إليها إلا كل مناع .

فالعاقل يعلم أن ما لم يبق لغيره عليه غير باق ، وأن ما سلب عن غيره لا يترك عليه ، فالقصد إلى ما يعود بالنفع في الآخرة للعاقل من الدنيا ، أحرى من السلوك في قصد الضنّ بها ، والجمع لها من غير تقديم ما يقدم عليه في الآخرة من الأعمال الصالحة ، وترك الاعتزاز بها والاعتبار بتقلبها بأهلها ، ولا شيء أعظم خطراً من الحياة ، ولا غبن أعظم من إفنائها لغير حياة الأبد ، ومن اشتبهى أن يكون حراً فليجتنب الشهوات ، وإن كانت لذينة ، وليعلم أن كل لذية ليس بنافع ، ولكن

كل نافع هو اللذيذ ، وكل الشهوات مملوءة إلا الأرباح فإنها لا تمل ، وأعظم الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

فأعظم بصير للزمان ، فإنه على حالة المكروه ليس بدائم  
تدورُ لنا أفلاكه بعجائب إذا ما انقضت كانت كأحلام نائم  
سُرورٌ وهمٌّ وانتعاشٌ ، وسقطه إلى أجلٍ دانٍ لذلك هادم  
وبالله دون الناس ، فاستغن واستغن إذا أنزلت إحدى الأمور العظام  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

والناس في هذه الدنيا على رتب هذا يُحطُّ ، وذا يعلو فيرتفعُ  
فاخلصِ الشكر فيما قد حُببتَ به وآثرِ الصبر ، كلٌّ سوف ينقطع  
وأنشدني المنتصر بن بلال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوماً نساءً ، ويوماً نُسرُّ  
كذلك التقارض بين الأنام فخيرٌ بخير ، وشرٌّ بشرُّ

أبنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يدركه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى للعاقل إلى إنزاله الدنيا منزلتها ، ترك الركون إليها مع تقديم ما قدر منها للعيش الدائم ، والنعيم المقيم هو ترك طول الأمل ، ومراقبة ورود الموت عليه في كل لحظة وطرفة ؛ لأن طول الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب أخلف من رجاه ، وخاب من رآه .

فالعاقل يلزم تركها ، مع الاعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السالفة ، والقرون الماضية ، كيف عفت آثارهم ، واضمحلت أنباؤهم ، فما بقي منهم إلا الذكر ، ولا

من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على بعثهم وجمعهم للجزاء والمعقاب .  
ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أنشدنا الغلابي قال : أنشدني مهدي بن سابق :

كنا على ظهرها ، والعيش ذو مهلٍ      والدهر يجمعنا ، والدارُ والوطنُ  
ففرق الدهر ذو التصريف أفتنا      فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن  
كذلك الدهر لا يبقى على أحد      تأتي بأقداره الأيام والزمنُ  
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

حتى متى يبقى حليف الأسي      مستشعراً للدهر أحزانا  
فلا يردُّ الحزنُ شيئاً ، ولا      يُعْتَبُ هذا الدهر إنسانا  
قد يُقبل الدهر بسرَّائه      طَوَّراً ، وقد يدبر أحيانا  
فاصبر على ماجرٍ من حادث      مازال غداراً وخوانا  
وأحسن الظنَّ بمن لم يزل      عليك مفضالاً ومنانا  
وأنشدني عمرو بن محمد قال : أنشدنا الغلابي لابن أبي عيينة المهلبى :

ماراح يوم على حى ولا ابتكرا      إلا رأى عبرة فيها إن اعتبرا  
ولا أتت ساعة في الدهر فأنصرفت      حتى توثر في قوم لها غيرا  
إن الليالي والأيام أنفسها      عن غيب أنفسها لم تكتب الخبرا

أبنا علي بن سعيد العسكري ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنا الحسن بن  
سعيد الجرجاني قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كاتم يقول : كانت امرأة من  
بنى إسرائيل متعبدةً ، وكانت تظفر كل سبت ، فبينما هي ذات يوم قد وضعت  
إفطارها بين يديها جعلت تقول : محب يحب حبيبه يتشاغل بالأكل عن خدمة  
محبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو متشاغل بأكله عن خدمته ، فلا  
تقرُّ عينه في لقائه ، فكثت كذلك مدة لا تظفر . قال : ثم وضعت إفطارها بين  
يديها ، وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شابُّ من ناحية البيت جميل

الوجه طيب الريح ، فقال : سلام عليك ورحمة الله يا حبيبة الله ، أو يا ولية الله ،  
قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : ياملك الموت ،  
أتأذن لي أن أسجد سجدة أناجى فيها ربي ، فإذا رأيتني قد فعلت ذلك قبضت  
روحي ؟ قال : لك ذلك ، قال : فنحَّت إبطارها ، ثم وثبت فسجدت ، فقبض  
روحها في اجتهادها رضى الله عنها .

### ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان السعدي ، حدثنا يحيى بن أكرم ، ومحمود  
ابن غيلان قالا : حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي  
هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أ كثروا ذكر هادم اللذات :  
الموت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يضم إلى رعاية ما ذكرنا  
من شُعب العقل في كتابنا هذا لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك  
الاعتزاز بالدنيا في الأسباب كلها ، إذ الموت رَحَى دَوَّارة بين الخلق ، وكأس يُدارُ  
بها عليهم ، لا بد لكل ذى روح أن يشربها ويذوق طعمها ، وهو هادم اللذات ،  
ومنغص الشهوات ، ومكدر الأوقات ، ومزيل المعاهات .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

أيا هادم اللذات، مامنك مهربٌ      تحاذر نفسى منك ماسيصيبها  
رأيتُ المنايا قُسمت بين أنفس      ونفسى سيأتى بعدهنّ نصيبها

وأنشدني الكريزى :

إنَّ من عاش آمناً في سرورٍ      قاعدٌ من سروره في غرور  
ما لمن يذكرُ المقابرَ والمو      ت إذا كان عاقلاً من سرور

حدثنا عمرو بن محمد الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قرىء على قصر  
.. هذه الأبيات :

هذي منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش عجيب ، ماله خطرُ  
صاحت بهم حادقات الدهر ، فانقلبوا إلى القبور ، فلا عينٌ ، ولا أثرُ  
حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم  
، ابن عبد الملك ، حدثني علي بن سلعة الحلبي قال : سمعت أبي يقول : كان معاوية  
يقول « أنا والله من زرع قد استحصد » وتعي له عبد الله بن عامر بن كريز ،  
والوليد بن عقبة ، وكان أحدهما أكبر منه ، والآخرون ، فقال :  
إذا سار من خلف امرئ وأمامه وأفرد من إخوانه ، فهو سائرُ  
حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت  
عبيد الله بن مسلم بن زياد الهمداني قال : سمعت عمر بن ذر يقول :  
ورث فتى من الحى داراً عن آبائه وأجداده فهدمها ، ثم ابتناها وشييدها ،  
فأتى في منامه فقيل له :

إن كنت تطعم في الحياة فقد ترى أرباب دارك ساكنوا الأموات  
أني تحبس من الأكارم ذكركم ؟ خلت الديار وبادت الأصواتُ  
قال : فأصبح الفتى مغتاضاً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على  
نفسه .

حدثنا عمر بن حفص البزاز ، حدثنا إسحاق بن الضيف ، حدثنا جعفر بن  
عون قال : سمعت مسعراً يقول :

ومشيّد داراً ليسكن داره سكن القبور وداره لم يسكن  
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

لو أنني أعطيت سؤلى لما سألت إلا العفو والعافية

فكم فتى قد بات في نعمة فسَلَّ منها الليلةَ الثانية؟  
حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأبلة ، حدثنا ذهل بن أبي شراعة القيسي ،  
قال : حدثتني سُكينة - وكانت علامة - قالت : قال لي أبو العتاهية : دخلت  
على هارون أمير المؤمنين ، فلما بَصَرَ بي قال : أبو العتاهية ؟ قلت : أبو العتاهية ،  
قال : الذي يقول الشعر ؟ قلت : الذي يقول الشعر . قال : عظمى بأبيات شعر ،  
وأوجز ، فأنشدته :

لأتأمن الموت في طرف ولا نَفْسٍ ولو تمنمت بالحجَّاب والحرس  
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مُدَّرِعٍ منا ومترس  
ترجو النجاة ، ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس  
قل : فخر منشيأ عليه ، أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا أبو جعفر البغدادي قال : قرأت  
على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلاً سلب القوم وارتحل

قلت : ما هذا ؟ فقالوا : مات أهل القصر كلهم ، فأصبحوا وهذا الكتاب على  
الباب لا يدري من كتبه ، وأنشدني البسامي :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلكُ العواد  
ويُصاد القطا فينجو سليماً بعد هلك ، ويهلكُ الصياد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا ينسى ذكر شئ ، هو مترقب له ، ومنتظر  
وقوعه من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شجرة ، فكم من مكرم في أهله ، معظم  
في قومه ، مبجل في جبرته ، لا يخاف الضيق في المعيشة ، ولا الضنك في المصيبة ،  
إذ ورد عليه مدلل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه سريعاً بين الأحبة  
وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لا يملكون له نفعاً ، ولا يستطيعون عنه

دفعاً . فكم من أمة قد أبادها الموت ، وبلدة قد عطلها ، وذات بعل قد أرملها ،  
وذى أب أيتمه ، وذى إخوة أفرده .

قالعاقل لايفتر بحالة نهايتها تؤدي إلى ماقلنا ، ولا يركن إلى عيش مغيبته ما ذكرنا  
ولا ينسى حالة لا محالة هو مواقفها ، وما لاشك يأتيه ، إذ الموت طالب حيث  
لا يعجزه المقيم ولا ينفلت منه الهارب . ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ،  
حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت  
الوضاح بن حسان يقول : سمعت ابن السماك يحدث قال : بينما صياد في الدهر الأول  
يصطاد السمك ، إذ رمى بشبكة في البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل  
الصياد ينظر إليها ويبكي ، ويقول : عزيز ، فلم تُترك لعزك ، غني ، فلم تُترك لثناك  
فقير ، فلم تُترك لفقرك ، جواد ، فلم تُترك لجودك ، شديد ، فلم تُترك لشدتك ، عالم ،  
فلم تُترك لملكك ؟ يردد هذا الكلام ويبكي .

وأنشدني الكريزي :

أموالنا لذوى الميراث نجحها      ودورنا لخراب الدهر نبنيها  
والنفس تكلف بالدنيا ، وقد علمت      أن السلامة فيها ترك ما فيها  
فلا الإقامة تنجى النفس من تلف      ولا الفرار من الأحداث ينجيها  
وكل نفس لها زورٌ يصبُّحها      من المنية يوماً أو يمسيها

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، قال : سمعت ابن واقد المدني قال :  
حدثنا عبد المنعم الرياحي قال : فقد مالكُ بن دينار يوماً ، فقالوا : أين كنت  
يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبله ، قالوا : ما أحسنُ ما رأيت ؟ قال : ما رأيتُ  
شيئاً أعجبتُ به إلا أني رأيت امرأة تصلي ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبُ  
شيء رأيت ؟ قال : رأيت بالبحرين قصرأ مشيداً ، وإذا على بابه مكتوب :  
طلبتُ العيش أسعدَ ناعميه      وعشتُ من المعاش والنعيم

فلم البث وربّ الناس طوّراً سلبتُ من الأقارب والحميم  
وأنشدني الأبرش :

والنفوس وإن كانت على وجل من النية آمال تقويها  
والمرءُ ييسطها ، والدهر يقبضها والنفس تنشرها ، والموت يطويها  
أنبأنا حمزة بن داود بن سليمان بالأبلة ، حدثنا الهدادي ، حدثنا جليس الكلبي  
عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقيني عمران بن حطان فقال لي : يا أعمى ،  
إنني عالم بخلافك ، ولكنك رجل تحفظ ؟ فاحفظ عني هذه الأبيات :

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ريب المنون ، وأنت لاهٍ ترتع ؟  
أفقد رضيت بأن تعلق بانني وإلى المنية كل يوم تدفع ؟  
أحلام نوم ، أو كظل زائل إن اللبيب يمثها لا يندع  
فتزودن ليوم فقرك دائماً واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع  
حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، قال : سمعت أبا داود السنجي يقول :  
خرج أبو معاذ النهوي يوماً على أصحابه فقال : إنه قد نُعت إلى نفسي البارحة ،  
أتاني آت فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك ميتٌ عما قليل ، قم لنفسك واقعد  
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى وكان ما هو كأن فكأن قد  
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي كثيراً  
ما ينشد :

تمنى رجال أن أموت ، وإن أمت فتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد  
فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى : تهباً لأخرى مثلها فكأن قد  
حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إسماعيل  
ابن عبد الله العجلي قال : أنشدنا رجل ونحن في المقابر :

ألا يا عسكر الأحياء ، هذا عسكر الموتى  
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرو الكبرى  
يحثون على الزاد وما زاد سوى التقوى  
يقولون لكم : جدوا فهذا آخر الدنيا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض ،  
فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لا محالة تنزل  
المنية بهم ، وتغنيهم عن السعي والحركات ، مع تعطل الجثث والآلات ، ثم تعيدهم  
إلى الأرض التي منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا أثمارها ، وتشرب  
دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالقبر أول  
منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن مهد في دنياه  
لقبره ، وقدم منها لآخرته ، فكم عقرت الأرض من عزيز وأفقدت الخير من أنيس .  
حدثني محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن  
عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرايياً وقف على مقبرة وهو يقول :

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون ، والقبور تزيد  
وما إن ترى داراً لحي قد أقفرت وقبرا لميت بالفناء جديد  
فهم جيرة الأحياء ، أما محلهم فدان ، وأما الملقى فبيد

وأنشدني أحمد بن عبد الله الكرجي لعمر بن شبة في نفسه :

يا ابن سبعين وعشري وثمان كاملات  
غرضاً للموت مشغو لا بجذ منى وهات  
ويك ، لاتعلم ماتلقى به بعد المات  
من صفار موبات وكبار مهلكات  
يا ابن من قدمات من آباءه والأمهات

هل ترى من خالد من ذى طغاةٍ وعُتاةٍ ؟  
إن من يبتاع بالدين خسيات الحياة  
لغبي الرأي محسوف بطول الحسرات

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، حدثنا شعيب بن واقد المري عن  
عبد المنعم الرياحي قال : سمعت صالح المري يقول : دخلت المقابر يوماً في شدة الحر  
فنظرت إلى القبور خامدة ، كأنهم قوم صموت ، فقلت : يا سبحان الله ! من يجمع  
بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحييكم وينشئكم من طول البلى ؟ قال :  
فناداني مناد من بين تلك الحفر : يا صالح ( ٣٠ : ٢٥ ) ومن آياته أن تقوم السماءُ  
والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم مخرجون قال : فسقطت  
والله مغشياً علىَّ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرنا السير من الكثير من الآثار ، والتليل  
من الجسم من الأخبار ، في كتابنا هذا بما نرجو أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى  
الحجى ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غنية إن تدبرها  
واستعملها ، وإن كنا تنكبنا طرق السانيد ، ونخرج الحكايات ، وأناشيد الأشعار ،  
إلا ما لم نجد بدا من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى القصد ، جعلنا  
الله ممن دعت تباشير التوفيق إلى القيام بمقائق التحقيق ! إنه منتهى الغاية عند رجاء  
المؤمنين ، والمأن على أوليائه بمنازل المقربين .

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين . والحمد لله  
رب العالمين .

وجد في النسخة الأصلية ماصورته :

فرغ من نَسْخه بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفوره أحمد بن محمد بن  
سالم بن جناب المنبجى ، بالرها المحروسة ، يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سنة  
ثمان وعشرين وستمائة ، ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين ! .

---

## فهرس

### روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

٢٨	ذكر استحباب افشاء السلام واظهار البشر والتبسم	٣	ترجمة الإمام ابن حبان
٨١	ذكر ما أبيح من المزاح للعرض وما كره له منه	١٣	مسند الكتاب
٨٥	ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً	١٤	مقدمة »
٩٠	ذكر استحباب المؤاخاة للعرض مع الخاص	١٦	ذكر الحث على لزوم العقل وصفة العقائل اللبيب
٩٨	ذكر كراهية المعادة للناس	٢٧	ذكر اصلاح السرائر بلزوم تقوى الله تعالى
١٠٤	الحث على صحة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار	٣٤	ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه
١٠٨	ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتواخين .	٤٣	ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان
١١٣	ذكر ائتلاف الناس واختلافهم	٥٣	ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب
١٢٠	الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم	٥٨	ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة
١٢٤	ذكر صفة الأحمق والجاهل	٦٤	ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر
١٣١	الزجر عن التجسس وسوء الظن	٦٦	ذكر استحباب التحيب إلى الناس من غير مقارفة المأثم
١٣٥	ذكر الحث على مجانبة الحرص للعائل	٧٣	ذكر استعمال لزوم المداراة وترك المداهنة مع الناس

٢٢٥	ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية العجلة فيها	١٣٩	ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء
٢٢٩	ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة	١٤٥	ذكر الحث على مجانية الغضب وكرهية العجلة
٢٣٤	ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه	١٤٨	ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس
٢٤٠	الحث على إقامة المروءات	١٥٢	الحث على مجانية المسألة وكرهيتها
٢٤٦	باب الحث على لزوم السخاء ومجانبة البخل	١٥٦	ذكر الحث على لزوم القناعة
١٥٤	ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان	١٦١	الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق
٢٥٨	ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الخوائج	١٦٥	ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها
٢٦٥	ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي	١٧٤	ذكر الحث على الغفوع عن الجاني
٢٧١	ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام	١٨٠	صفة الكريمة والثلثم
٢٧٦	ذكر الحث على المجازاة على الصنائع	١٨٥	الزجر عن قبول قول الوشاة
٢٨١	ذكر الحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية	١٩١	استحباب قبول الاعتذار من المعتذر
٢٩١	ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها	١٩٦	ذكر الحث على لزوم كتمان السر
٢٩٣	الحث على لزوم ذكر الموت وتقديم الطاعات	٢٠٣	الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة
(تم الفهرست)		٢٠٧	مطلب وصية الخطاب بن المعلى الخزومي ابنه
		٢١٣	ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة
		٢١٨	الحث على لزوم الحلم عند الأذى